

نموذج رقم (٨)

اجازة اطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات المطلوبة

الإسم الرباعي: صالح بن محمد صغير بن مقبل بن مقبل الكلية : التربية القسم : التربية الإسلامية والمقارنة
التخصص : تربية إسلامية ومقارنة
الأطروحة مقدمة لنيل درجة : الدكتوراه
عنوان الأطروحة : استراتيجية تطوير التربية العربية دراسة تحليلية نقدية من منظور التربية الإسلامية .

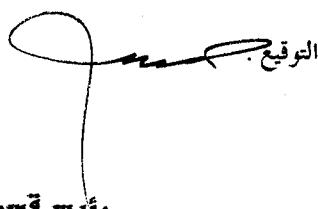
الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد :
 فبناء على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة عاليه والتي قمت مناقشتها بتاريخ ١٤١٨/١/١ بقبول الأطروحة بعد إجراء التعديلات المطلوبة ، وحيث قد تم عمل اللازم فإن اللجنة توصي
 بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة كمطلوب تكميلي للدرجة العلمية المذكورة أعلاه .

وَاللَّهُ أَعْلَمُ

أعضاء اللجنة

مناقش من داخل القسم	مناقش من خارج القسم	المشرف
الإسم : د. محمد أحمد الصادق كيلاني	الإسم : د. محمد بن حسن الغماري	الإسم / د. محمود محمد عبدالله كستاوي


التوقيع


التوقيع


التوقيع

يعتمد

رئيس قسم التربية الإسلامية والمقارنة

د. طاوه بن سالم العربي



يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحة في كل نسخة من الرسالة .

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية التربية بمكة
قسم التربية الإسلامية والمقارنة



استراتيجية تطوير التربية العربية

دراسة تحليلية نقدية من منظور التربية الإسلامية

بحث تكميلي لنيل درجة الدكتوراة
في الأصول الإسلامية للتربية

أعْدَادُ الطَّالِبِ

صالح بن محمد صغير بن مقبل

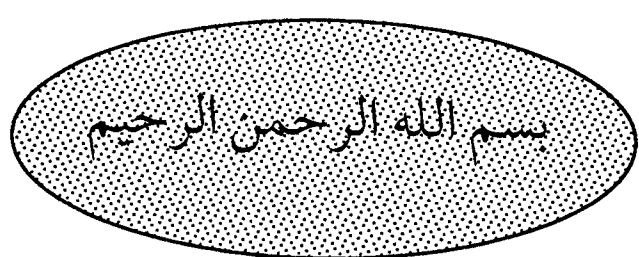
أشراف

سعادة الدكتور محمود بن محمد بن عبدالله كستاوي



مقدم لقسم التربية الإسلامية و المقارنة
كلية التربية - جامعة أم القرى - مكة المكرمة
الفصل الدراسي الثاني - لعام ١٤١٦ هـ .

الجزء الأول



قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَطْبِعُوهُ فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ
أَوْتَوْا الْكِتَابَ يَرْجُونَكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفَّارٍ﴾.

(سورة آل عمران: ١٠٠)

قال رسول الله ﷺ :

﴿لَا تَسْأَلُوا أَهْلَ الْكِتَابَ عَنْ شَيْءٍ فَإِنَّهُمْ لَن
يَهْدِوكُمْ وَقَدْ هُدُوا﴾.

ابن حنبل، المسند، ١٣٦٨ هـ، ٣/٢٣٨.

«إن الذين تهيمن على أفكارهم ونقوسهم النزعة القومية أو النزعية الاشتراكية أو النزعة العلمانية ... أو غير ذلك إذا أرادوا وضع سياسة تعليمية لبلدانهم أو لبلد خاضع لسلطانهم أو مشورتهم فإنهم يجعلون من أول المواد التي يقررونها في هذه السياسة التعليمية تربية أجيال تحمل هذه النزعة أو تؤمن بها وتعمل على تأصيلها وخدمة قضائها».

(آل سعود، المستشركون وتوجيه السياسة التعليمية في العالم العربي، ١٤١٤ هـ، ص ١٨٤).

«إن العقول التي تعودت أن تفكر بأسلوب الغرب وتومن بمبادئ حضارته لا تصلح بحكم مزاجها وتركيبها المخصوص أن تستقر فيها مبادئ الإسلام، وإذا هي لم تتسع للمبادئ فما أحراها أن تنفر من الجزئيات والفروع، وتخالجها في بابها أنواع الشكوك».

(أبو الأعلى المودودي، نحن والحضارة الغربية، د. ت، دار الفكر، ص ٢٣).

ملخص الدراسة

العنوان : استراتيجية تطوير التربية العربية دراسة تحليلية نقدية من منظور التربية الإسلامية .
تناولت هذه الدراسة استراتيجية تطوير التربية العربية والتي تعتبر أبرز إنجاز حفته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في ميدان التربية وتسعى إلى تبني ما جاء في هذه الاستراتيجية من مبادئ وتضمينها في المناهج الدراسية في العالم العربي .

وقد لخص الباحث دراسته في سؤال عام عن الموضوع وبيان أهميته قائلاً: مامدى صلاحية استراتيجية تطوير التربية العربية الموضعية من قبل "المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم" لتحقيق أهداف التربية الإسلامية في العالم العربي؟ وللإجابة عن هذا السؤال تكونت الدراسة من ثلاثة أبواب وخاتمة ، تناول الباحث في الباب الأول واقع النظام التربوي في العالم العربي وسماته ويعتبر هذا الباب بمثابة العين البارزة للقارئ لهذه الدراسة .

وجاء الباب الثاني مكملاً للباب الأول حيث تناول الباحث فيه بعض المبادئ الواردة في الاستراتيجية بالنقد والتحليل إضافة إلى تناوله للتعليم الأساسي .

وكان الباب الثالث «الخطوط الموجهة لاستراتيجية تطوير التربية العربية» خاتمة المطاف للدراسة حيث قدم الباحث فيه معالم الإنطلاقة التربوية في العالم العربي والإسلامي والقواعد المهمة لتطوير التربية مستقبلاً . وتوصل الباحث إلى نتائج مهمة منها :-

- إن العالم العربي يعيش فوضى فكرية وبحاجة إلى إصلاح منهج حياته وفق عقيدته الإسلامية .
- اختلال المفاهيم والتصورات سمة بارزة في الاستراتيجية العربية لتطوير التربية ، ولهذا أوصى الباحث .

- إعادة النظر في مناهج التربية والتعليم في العالم العربي ، وإقامتها على أساس آخر غير ما هو قائم وواقع في معظم الدول العربية ، واقتراح الباحث بإجراء دراسات أخرى حول الاستراتيجية ، منها إعداد المعلم العربي المسلم من خلال الاستراتيجية ومدى قريبه أو بعده من أهداف التربية الإسلامية ، وتأكد الدراسة على أن التربية الإسلامية هي سبيل البشرية إلى الحياة الهائلة ولكن بشرط أن يجري عرضها وتطبيقاتها وفق منهاج واضح وترتيب محدد لتحقيق الغاية القصوى من التربية ، وهي عبودية الله سبحانه وتعالى ، واستخلافه في الأرض .

عميد الكلية

المشرف

الباحث

صالح بن محمد صغير بن مقبل / د/ محمود بن محمد كنساوي

التوقيع:

التوقيع:

التوقيع:

الطبعة الأولى

- إلى الذين أدعوهما في كل صلاة «رب اغفرلي ولوالدي» ، «رب ارحمهما كما ربباني صغيراً».

- إلى من كان السبب بعد الله في وجودي.

- إلى والدي الكريم الذي وسعني بحبه ووفر لي سبل الراحة وشجعني على طلب العلم أرجو الله سبحانه وتعالى أن يمتع بصحته في طاعة الله ويحسن له الخاتمة.

- إلى والدتي الغالية التي شملتني بالعاطف والحنان ولم يفتر لسانها بالدعاء الصالح لي. أرجو الله أن يكسبني رضاهما.

- إلى زوجتي العزيزة -أم عبد الرؤوف- التي تحملت المتاعب وهبات لي الجو الملائم وحرمت نفسها من كثير من الحقوق أثناء إعداد هذا البحث.

- إلى قافلتي الصغيرة، أبنائي: ثريا، رقية، أسماء، سعاد، علياء، نجيبة، عبد الرؤوف، عبد اللطيف، عبد الرحيم، الذين أرجو لهم مستقبلاً زاهراً في ظل الإسلام، وهديه سائلاً المولى أن ينبع لهم نباتاً حسناً.

- إلى الباحثين عن ثغرة يسدونها في خدمة هذه الأمة.

- إلى الذين يجاهدون من أجل إعلاء كلمة "لا إله إلا الله محمد رسول الله".

- إلى هؤلاء جميعاً، أهدي هذا العمل المتواضع..

الباحث

شكراً وتقدير

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم أحمره وأشكره على توفيقه القائل (وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ) (النمل، ٤٠)، وأصلي وأسلم على رسوله الأمين القائل: «من لا يشكر الناس لا يشكر الله» (أحمد، المسند، ١٣٦٨ هـ، ٥/٢١١). وبعد:

فيسرني أن أتقدم عبر هذه الأسطر بجزيل الشكر والعرفان إلى منسوبي جامعة أم القرى وعلى رأسهم مدير الجامعة الدكتور/ سهيل حسن قاضي، ومعالي الدكتور/ راشد الراجح مدير الجامعة سابقاً، وجميع منسوبي كلية التربية من أساتذة وزملاء وأصدقاء، وأخص بالشكر والتقدير أستاذي الفاضل سعادة الدكتور/ بشير بن محمد عثمان حاج التوم المشرف على الرسالة سابقاً الذي كان له الفضل بعد الله سبحانه وتعالى عليّ في اختيار موضوع الدراسة، وكما لا يفوتي أن أزجي شكري وتقديري للأستاذ الدكتور/ محمود بن محمد بن عبد الله كساواني الذي قدم لي كل توجيهه وعون ووسعني بحلمه وعلمه ومنحني من وقته الثمين الشيء الكثير حيث لم يدخل عليّ بعلمه الجم وخلق المتواضع، وكان لي نعم الموجه والمرشد.

كما أزجي شكري وتقديري لسعادة رئيس قسم التربية الإسلامية والمقارنة الدكتور حامد سالم الحربي الذي لم يدخل عليّ بتوجيهاته ونصحه.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لسعادة الأستاذين الفاضلين الدكتور/ محمد بن حسن الغماري، والدكتور/ محمد أحمد الصادق كيلاني، اللذين تكرما مشكورين بالموافقة على قبول مناقشة هذه الدراسة على الرغم مما يعانيه كل منها من مشاغل فلهمما جزيل الشكر والامتنان.

ولا يفوتي أن أتقدم بشكري وتقديري إلى كل من ساهم بجهد مشكور في إخراج هذا البحث بصورةه الحالية ولم يتسع المجال لذكر اسمه سائلاً المولى العلي القدير أن يجزي الجميع عني خير الجزاء، إنه سميع مجيب.

الباحث

قائمة المحتويات

الصفحة

الموضوع

ج	- شعار البحث
د	- ملخص الرسالة
هـ	- الإهداء
و	- شكر وتقدير
ز-ص	- المحتويات

الباب الأول:

(١١١-١)	واقع النظام التربوي في العالم العربي:
(٢٤-٣)	الفصل الأول: المدخل إلى الدراسة:
٤	١ - مقدمة
١٢	٢ - موضوع الدراسة.
١٥	٣ - أسئلة الدراسة
١٦	٤ - أهداف الدراسة
١٦	٥ - أهمية الدراسة
١٩	٦ - حدود الدراسة
٢٠	٧ - منهج الدراسة
٢١	٨ - مصطلحات الدراسة
٢٢	٩ - الدراسات السابقة
(٤٠-٢٥)	الفصل الثاني: واقع التعليم في العالم العربي:
٢٦	١ - تمهيد
٢٧	٢ - حاجة التعليم في البلاد العربية إلى العقيدة
٢٨	٣ - نقد الواقع التربوي من بعض علماء التربية المسلمين
٣١	٤ - المراحل التي مر بها التعليم الإسلامي الأصيل
٣٣	٥ - مظاهر جمود التربية والتعليم في العالم العربي

الموضوع

الصفحة

- ٦- أهم معالم الغزو الفكري الغربي في مناهج التعليم في العالم العربي الإسلامي ٣٥
 ٧- نماذج من دراسات تربوية للغزو الفكري الغربي في مناهج التعليم

٣٧

في بعض البلدان العربية والإسلامية

الفصل الثالث: السمات العامة للتربية والتعليم

- (٤١-٥٥) في العالم العربي وواقع مستخرجهاته:
- ٤٢ تمهيد
- ٤٣ أولاً: السمات العامة:
- ٤٣ ١- عدم وضوح الفلسفة التعليمية
- ٤٣ ٢- جمود الفلسفة التعليمية وعجزها عن مسايرة التطورات الاجتماعية المتسارعة.
- ٤٤ ٣- تمييزها بين التعليم العام والتعليم المهني.
- ٤٥ ٤- مركزية الإدارة في العالم العربي.
- ٤٥ ٥- تأخر تعليم الفتاة
- ٤٥ ٦- جعل الامتحانات أساساً لعملية التقويم
- ٤٦ ٧- التوسيع الكمي على حساب الكيفي
- ٤٧ ٨- انتشار الأممية
- ٤٧ ٩- تماثل البنية التعليمية.
- ٤٩ ١٠- فقدان التوازن في الخدمات التعليمية التي تقدم للمواطنين
- ٤٩ ١١- الإغراء في الجانب النظري دون العملي
- ٥٠ ١٢- قصور التخطيط للتعليم في العالم العربي
- ٥١ ثانياً: واقع مستخرجات التربية والتعليم في العالم العربي

الفصل الرابع: الجهود الفردية والجماعية لإصلاح

- (٥٦-١١١) التربية والتعليم في العالم العربي:
- (٥٧-٦٢) أولاً: الجهود الفردية لإصلاح التربية والتعليم:
- ٥٨ تمهيد:
- ٥٨ ١- منذ عصر الازدهار حتى العصر الحديث

الصفحة

الموضوع

٥٩	ب - وفي العصر الحديث
٦٠	ج - وفي القرن الرابع عشر الهجري .
(١١١-٦٢)	ثانياً: الجهود الجماعية لإصلاح التربية والتعليم في العالم العربي
٦٥	تمهيد:
٦٥	أ - منذ العصور الإسلامية الأولى حتى العصر الحديث
٦٦	ب - وفي العصر الحديث .
٦٧	ج - وفي القرن الرابع عشر الهجري
	١ - جهود تمتلك تصوراً صحيحاً عن الإنسان والكون والحياة والألوهية
٦٧	واقتصرت على الجانب النظري
	٢ - جهود تمتلك تصوراً صحيحاً عن الإنسان والكون والحياة والألوهية
٦٨	وجمعت بين الجانب النظري والعملي معاً
٦٩	٣ - جهود جماعية فاقدة للتصور الإسلامي
٦٩	(١) منظمات دولية
٧٠	(٢) جهود عالمية
٧٠	(٣) جهود عربية (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم):
٧٧	(أ) التعريف بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .
٧٩	(ب) أهداف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .
٧٩	(ج) مجالات عمل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلم .
٨١	(د) تاريخ انضمام الدول العربية إلى هذه المنظمة .
٨١	(ه) علاقات التعاون بين المنظمة والمنظمات الأخرى .
٨٢	(و) استراتيجية تطوير التربية العربية .
٨٦	(ز) المراحل التي مررت بها الاستراتيجية .
٨٨	(ح) الخطوط الرئيسية لاستراتيجية تطوير التربية العربية .
٩٣	٤ - الاستراتيجية في عيون معاصرتها .
١٠٥	٥ - من إيجابيات الاستراتيجية .

الموضوع

الصفحة

- ٦- بعض السليات الواردة في الاستراتيجية.
٧- المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الاستراتيجية.

الباب الثاني:

دراسة نقدية لبعض المبادئ الواردة في الاستراتيجية

(٣٦٠-١١٢)

والتعليم الأساسي

(١٤٤-١١٤)

الفصل الأول: المبدأ الإنساني:

تمهيد: ١١٥

١- تعريف المبادئ. ١١٥

٢- الإنسان في القرآن. ١١٧

أولاً : المبدأ الإنساني من خلال الاستراتيجية:

١- الثورة العلمية والإنسانية. ١١٩

٢- الأمة العربية والإنسانية. ١٢٠

٣- الإسلام والإنسانية

٤- العقيدة الإسلامية والإنسانية. ١٢٣

٥- التربية والإنسانية

٦- الرسالة القومية التي يحملها العرب - والإنسانية. ١٢٥

٧- المعلمون والإنسانية.

٨- الأرض والإنسانية.

٩- الاقتصاد والإنسانية.

١٠- المنظمات الأجنبية والإنسانية.

ثانياً : المبدأ الإنساني من منظور التربية الإسلامية:

أ - الغاية من التربية في تقرير استراتيجية تطوير التربية العربية.

ب - تعريف الإنسانية.

ج - تاريخ ظهور الحركة الإنسانية.

د - الروابط التي قامت عليها الإنسانية.

الصفحة

الموضوع

١٣٧ هـ - مصادر تقرير الاستراتيجية في تأكيد المبدأ الإنساني.

١٤٠ و - دعاوي الإنسانية في العصر الحاضر.

١٤٢ ز - أدلة بطلان الإنسانية.

الفصل الثاني: مبدأ التربية للإيمان:

١٤٦ تمهيد:

(١٥٧-١٤٦) أولاً : التربية للإيمان من خلال الاستراتيجية:

١٤٦ ١ - وحدة الأمة والروابط التي تقوم عليها.

١٥٠ ٢ - التغيير والعقيدة.

١٥٢ ٣ - العقيدة والتربية.

١٥٤ ٤ - المخالفة في الدين.

١٥٥ ٥ - الإسلام نظام حياة.

(١٧٥-١٥٨) ثانياً: التربية للإيمان من منظور التربية الإسلامية.

١٥٨ تمهيد:

١٥٩ ١ - تعريف العقيدة:

١٦٠ ب - تعريف الإيمان اصطلاحاً.

١٦١ ج - أهمية العقيدة الإسلامية في حياة الفرد والمجتمع.

١٦٤ د - الروابط التي تقوم عليها الأمة.

١٦٦ هـ - علاقة التربية بالعقيدة.

١٧٠ و - خطورة المخالفة في الدين.

١٧٣ ز - الإسلام نظام حياة.

الفصل الثالث: المبدأ القومي في التربية:

١٧٧ تمهيد:

١٧٧ أ - أهمية التعاون مع المنظمات التربوية من وجهة نظر التقرير.

١٨٠ ب - تعريف القومية.

١٨١ ج - نشأة القومية.

الموضوع

الصفحة

(١٨٤-١٩٩)	أولاً : القومية من خلال الاستراتيجية:
١٨٤	١- روابط القومية .
١٨٨	٢- القومية والعقيدة .
١٩٢	٣- القومية والتغيير والتربيـة والمعلـمون والإنسـان العـربـي .
(٢٠٠-٢٢٤)	ثانياً: القومية من منظور التربية الإسلامية:
٢٠٠	أ - حقائق مهمة .
٢٠٢	ب - أضواء كاشفة على الاستراتيجية القومية .
٢٠٥	ج - وجود القومية العربية قبل الإسلام وأثرها في التقدم والرقي .
٢٠٨	د - الغربيون والقومية العربية .
٢١١	ه - العرب والإسلام .
٢١٤	و - ما يسمى بـ مـقـومـاتـ الـقـومـيـةـ .
٢١٥	ز - مضار الوطنية وال القومية من منظور التربية الإسلامية .
٢٢٢	ح - القومية عند بعض علماء المسلمين .
(٢٢٤-٢٣٣)	ثالثاً: الإخوة الإيمانية وأثرها في تماسك المجتمع الإسلامي:
٢٢٤	١- القرآن الكريم ودعوته إلى الأخوة الإيمانية .
٢٢٦	٢- السنة النبوية المطهرة ومحاربتها للقومية .
٢٢٨	٣- التأخي بين المهاجرين والأنصار صورة مشرقة لرفض القومية التنتة .
(٢٣٤-٢٦٣)	الفصل الرابع: المبدأ الديمقراطي في التربية
٢٣٥	تمهيد:
٢٣٥	أ - مفهوم الديموقراطية .
٢٣٧	ب - تاريخ الديموقراطية .
(٢٢٨-٢٤٤)	أولاً : المبدأ الديمقراطي في التربية من خلال الاستراتيجية:
٢٣٩	١- قدرة الإنسان على صنع حياته بنفسه دون الحاجة إلى وحي إلهي .
٢٤٠	٢- الديموقراطية والتربية .
٢٤١	٣- الديموقراطية والأمة ومصدر السلطة .

الموضوع

الصفحة

- ٤- الديقراطية والأخلاق والمجتمع .
٥- مبررات قبول الديقراطية في الاستراتيجية .
ثانيا : الديقراطية من منظور التربية الإسلامية .
١- موقف الإسلام من المصطلحات الوافدة .
٢- غاية التربية ومصدر السلطة .
٣- الحاكمة المطلقة لله .
٤- الفرق بين الديقراطية والشوري عند بعض علماء المسلمين .
٥- واقع الديقراطية اليوم .
- الفصل الخامس: مبدأ التربية للعلم:**
- تمهيد:
أولا : مبدأ التربية للعلم من خلال الاستراتيجية:
١- الحركة العلمية .
٢- انهيار البلاد العربية بالتنمية الغربية .
٣- التربية و حاجتها إلى الثورة العلمية .
٤- ركود وجمود الحركة العلمية .
٥- المؤسسات التعليمية .
- ثانيا : مبدأ التربية للعلم من منظور التربية الإسلامية:
تمهيد .
١- مغزي التربية للعلم .
٢- غاية العلم وحياده ومفهوم التقدم العلمي والتكنى .
٣- أسباب تخلف المسلمين في المجال العلمي .
أ - الأسباب المادية لتأخر المسلمين علميا وتقنيا .
ب - الأسباب المعنوية لتأخر المسلمين اليوم علميا وتقنيا .
٤- وسائل مواجهة التقدم العلمي .

الصفحة

الموضوع

(٣١٩-٣٠٠)	الفصل السادس: مبدأ التربية للعمل:
٣٠١	تمهيد:
(٣٠٨-٣٠١)	أولاً : مبدأ التربية للعمل من خلال الاستراتيجية
٣٠١	١- العقيدة الإسلامية والعمل.
٣٠٣	٢- فقدان الملاءمة بين التربية ومتطلبات العمل.
٣٠٥	٣- ضعف النظام التربوي في البلاد العربية وأسبابه.
٣٠٥	٤- حل قضية مبدأ التربية للعمل.
(٣١٩-٣٠٩)	ثانياً : مبدأ التربية للعمل من منظور التربية الإسلامية:
٣٠٩	تمهيد :
٣١٠	أهمية العمل من منظور التربية الإسلامية
٣١٣	أ - العمل في القرآن الكريم.
٣١٤	ب - العمل في السنة النبوية.
(٣٦٠-٣٢٠)	الفصل السابع: التعليم الأساسي:
٣٢١	تمهيد
(٣٢٢-٣٢١)	أولاً : التعليم الأساسي من خلال الاستراتيجية:
٣٢٢	أ - مبررات وضعه على قمة الأسبقيات.
٣٢٣	ب - أهمية التعليم الأساسي.
٣٢٥	ج - مفهوم التعليم الأساسي.
٣٢٦	د - المدخل التي جربت في المناطق الريفية لتطوير التربية فيها.
٣٢٦	ه - الفرق بين التعليم الأساسي والتعليم الإبتدائي.
٣٢٨	و - ملامح التعليم الأساسي.
٣٣٠	ز - التعليم الأساسي والحلول المقترنة للتربية العربية.
٣٣١	ح - طبيعة محتوى التربية.
(٣٦٠-٣٣٣)	ثانياً : التعليم الأساسي من منظور التربية الإسلامية.
٣٣٣	تمهيد:

الصفحة

الموضوع

- ٣٣٣ - آراء في التعليم الأساسي .
- ٣٣٧ - موضوعات التعليم الأساسي في صدر الإسلام .
- ٣٤٠ أ - القرآن الكريم وعلومه .
- ٣٤٢ ب - علم القراءات .
- ٣٤٢ ج - التوحيد .
- ٣٤٣ د - الحديث النبوي الشريف .
- (٣٤٩-٣٤٤) ٣ - موضوعات التعليم عند بعض علماء التربية المسلمين عبر التاريخ .
- ٣٤٥ أ - أبو الحسن على بن محمد القابسي .
- ٣٤٥ ب - ابن سينا .
- ٣٤٥ ج - أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية .
- ٣٤٧ د - ابن قيم الجوزية .
- ٣٤٧ ه - ابن خلدون .
- ٣٤٨ و - محمد بن علي الشوكاني .
- ٣٤٩ ٤ - تقويم التعليم الأساسي .
- ٣٥٦ ٥ - الملامح العامة لموضوعات التعليم الأساسي في التربية الإسلامية .

الباب الثالث:

الخطوط الموجهة لاستراتيجية تطوير التربية العربية

الفصل الأول: المفاهيم العامة لبناء خطة تربوية

إسلامية مستقبلية:

- ٣٦٤ تمهد:
- ٣٦٤ ١ - أهمية التعرف على الطبيعة الإنسانية .
- ٣٦٦ ٢ - مفهوم الاقتباس في تقرير الاستراتيجية .
- ٣٦٩ ٣ - ضوابط المقتبس .
- ٣٧٠ ٤ - ضوابط المقتبس .
- ٣٧٢ ٥ - المحتوى في تقرير الاستراتيجية .

الصفحة

الموضوع

الفصل الثاني: معالم الانطلاقة التربوية في العالم

(٤٠١-٣٧٤)

العربي والإسلامي:

- ٣٧٥ تمهيد:
- ٣٧٦ ١- الطريق إلى النهوض بالأمة العربية والإسلامية.
- ٣٨٠ ٢- أصول تحقيق الوحدة الإسلامية.
- ٣٨٤ ٣- نماذج من مخرجات التعليم في صدر الإسلام.
- ٣٨٥ أ - خصائص الرعيل الأول.
- ٣٨٦ ب - معالم التربية عند الرعيل الأول.
- ٣٨٧ أولا : أن يكون الولاء للدين الإسلامي.
- ٣٨٩ ثانيا : التأسي برسول الله ﷺ.
- ٣٩٠ ثالثا: العمل الجاد على الاستفادة من المتخصصين المسلمين في كل المجالات
- ٣٩٢ رابعا: الإحساس بالمسؤولية.
- ٣٩٢ خامسا: الاستفادة من الآخرين.
- ٣٩٣ سادسا: تطبيقات تربوية على هذه المعالم.

الفصل الثالث: معالم الخطة التربوية البديلة من

(٤٨٣-٤٠٢)

منظور التربية الإسلامية:

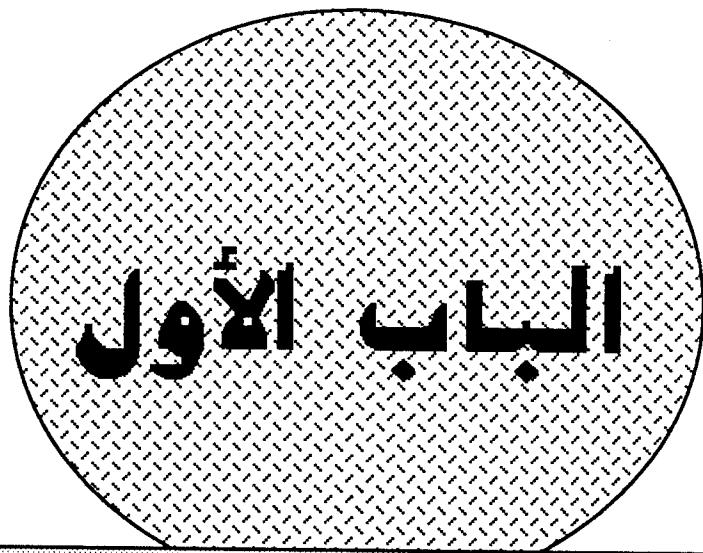
- ٤٠٣ ١- خصائص الإنسان المسلم من منظور التربية الإسلامية.
- ٤٦٢-٤١١ ٢- المبادئ والتوجه العام.
- ٤٢٨-٤١٢ أولا : مبدأ الربانية.
- ٤١٢ أ - تعريف الربانية.
- ٤١٧ ب - مقاصد الربانية.
- ٤١٩ ج - آثار الربانية.
- ٤١٩ د - ثمرات الربانية.
- ٤٢٢ ه - نماذج تطبيقية على مبدأ الربانية.
- ٤٢٥ و - اهتمام الاستراتيجية بمبدأ الربانية.

الصفحة

الموضوع

- ثانياً: مبدأ الشمول.
- ٤٤٥-٤٢٩ أ - استيعاب مبدأ الشمول لجوانب الحياة كلها.
- ٤٢٩ ب - جوانب الشمول في حياة المسلم.
- ٤٣٠ ١ - الانفتاح على الثقافات الوافدة.
- ٤٣١ ٢ - التأكيد على أن العلوم النافعة هي علوم دينية.
- ٤٣٢ ٣ - اهتمامه بختلف فئات المجتمع دون تمييز أو تفرقة بينها.
- ٤٣٤ ٤ - إعداده للإنسان المسلم للدنيا والآخرة.
- ٤٣٤ ٥ - اهتمامه بالجسم والروح معاً.
- ٤٣٥ ٦ - الجانب العقدي هو القاسم المشترك لكل فئات المجتمع الإسلامي.
- ٤٣٧ ج - واقع مبدأ الشمول في المجتمع المسلم.
- ٤٤٠ د - واقع مبدأ الشمول في الاستراتيجية.
- (٤٦٢-٤٤٥) ثالثاً : مبدأ الحاكمة:
- ٤٤٥ تمهيد:
- ٤٤٦ أ - أدلة قرآنية تؤكد هذا المبدأ.
- ٤٤٨ ب - أهمية مبدأ الحاكمة في حياة المسلم.
- ٤٤٨ ١ - تصحيح الاعتقاد والتصور.
- ٤٥٠ ٢ - التسليم والاستسلام لتعاليم الدين الإسلامي.
- ٤٥٣ ٣ - قبول ما أنزل الله.
- ٤٥٤ أ - آثار الحاكمة في حياة المسلم.
- ٤٥٥ ب - ثمار الحاكمة في حياة المسلم.
- ٤٥٦ ٤ - التحاكم عند الاختلاف والنزاع إلى الكتاب والسنة.
- ٤٥٧ ٥ - التطبيق الفعلي لتعاليم التربية الإسلامية.
- ٤٥٨ ٦ - رفض التوجيهات والتعليمات الواردة من الجهات الأخرى.

الصفحة	الموضوع
(٤٦٣-٤٨٣)	رابعا : التعليم الأساسي ومنظقاته (تصور مقترن).
٤٦٣	١- تمهيد:
٤٦٤	٢- تميز عقل المسلم في الواقع.
٤٦٦	٣- نموذج تطبيقي على تميز عقل المسلم.
٤٦٦	أ - المدرسة الإسلامية للتربية والتعليم بدبي.
٤٦٦	ب - الأسس التي تقوم عليها المدرسة.
٤٦٨	ج - نظام الدراسة في المدرسة
٤٦٨	د - مراحل التعليم بالمدرسة
٤٧١	ه - المواد الدراسية في بعض السنوات الدراسية.
٤٧٤	٤- منظقات التعليم الأساسي.
٤٧٤	أ - وضوح التصور للكون والألوهية وعلاقات الإنسان بذلك.
٤٧٧	ب - إقصاء التغريب من المواد الدراسية.
٤٧٨	ج - تحديد المصادر التربوية والعلمية والتعريف بها.
٤٨٠	د - أولويات التعليم الأساسي.
الفصل الرابع: قواعد عامة توجهه تطوير التربية	
(٤٨٤-٥٠٠)	الإسلامية مستقبلا في العالم العربي والإسلامي:
٤٨٥	١- اعتماد المصادر الإسلامية عند بناء الخطط التربوية.
٤٨٦	٢- جعل العقيدة الإسلامية محور الأنشطة الحياتية كلها.
٤٩٠	٣- تحديد وفهم الغاية العليا من التربية تحديدا سليما.
٤٩٢	٤- التميز التربوي "الولاء والمفاسدة".
٥٠١-٥٠٨	الخاتمة:-
٥٠٥	أ - نتائج الدراسة.
٥٠٦	ب - التوصيات.
٥٠٧	ج - البحوث المقترنة.
٥٠٩	قائمة المراجع



واقع النظام التربوي في العالم العربي

هذا الباب يعتبر مرآة عاكسة للواقع التربوي القائم في العالم العربي والإسلامي غالباً، وهو يقدم صورة واضحة وجلية عن تدهور ميدان التربية والتعليم ورداة أحواله من حيث الكفاية الخارجية والداخلية، ويقصد الباحث من هذا التدهور في هذا الميدان تلك الدول التي كانت خاضعة للاستعمار الذي كان له اليد الطولى في وضع المناهج الدراسية أو التأثير عليها إبان احتلاله لها.

ومن المعلوم أن الاحتلال نوعان:

- ١ - احتلال فكري .
- ٢ - احتلال عسكري .

فإذا كان الاستعمار قد رحل عن البلدان العربية والإسلامية التي بسط نفوذه عليها رحرا من الزمن، فإنه رحل عن الأرض فقط، وبقيت أفكاره وتصوراته ومبادئه متضمنة في المناهج الدراسية في تلك البلدان وسلم ميدان التربية والتعليم بعد رحيله إلى أوليائه وأتباعه الذين قاموا بمواصلة نشر هذه الأفكار والمبادئ الوافدة الدخيلة على الأمة الإسلامية ، وهم من بني جلدتنا .

ولم يسلم من هذا الغزو الفكري الغربي إلا المملكة العربية السعودية والمملكة اليمنية،
ويشتمل هذا الباب على الفصول التالية :

- ١ - الفصل الأول : المدخل إلى الدراسة .
- ٢ - الفصل الثاني : واقع التعليم في العالم العربي .
- ٣ - الفصل الثالث : السمات العامة للتربية والتعليم في العالم العربي وواقع مستخرجاته .
- ٤ - الفصل الرابع : الجهود الفردية والجماعية لإصلاح التربية والتعليم .

الفصل الأول

المدخل إلى الدراسة

١- مقدمة

٢- موضوع الدراسة

٣- أسئلة الدراسة

٤- أهداف الدراسة

٥- أهمية الدراسة

٦- حدود الدراسة

٧- منهج الدراسة

٨- مصطلحات الدراسة

٩- الدراسات السابقة

١- مقدمة:

الحمد لله القائل: «وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَلَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» الأنعام: ١٥٣ . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله ﷺ القائل: «قد تركتم على البيضاء، ليها كنهاها لا يزيغ عنها بعدي إلا ها لك» (ابن حنبل، المسند، ١٣٦٨هـ، ١٢٦/٤) وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:-

فإن ما يراه الباحث اليوم في معظم البلاد العربية والإسلامية من غلبة الفكر الوافد، وخاصة في ميدان التربية والتعليم، هو نتيجة طبيعية لما في النفوس من مفاهيم وتصورات فاسدة، وابتعاد عن كتاب الله وسنة رسوله سيدنا محمد ﷺ .

لقد جاء الإسلام ليصحح للإنسانية الضالة مسار اتصالها بالله تعالى، وذلك بعد أن اختلط ذلك المسار بشوائب الشرك والوثنية، فانتشرت فيها الإسلام من غياب الجهل والظلم إلى نور الإسلام، وبعث الله سيدنا محمدًا ﷺ إلى عالم بعد الشقة بينه وبين وحي السماء، وأبى مكة قبول دعوته، بل قاومته بكل سلاح، لكن سيدنا محمدًا ﷺ لم يستسلم للأمر الواقع ولم يتخاذل عن مهمة التربية لأصحابه، بل ربي ثلاثة مؤمنة، وأنشأ جيلاً على مبادئ وقيم سامية. وقد استهدفت التربية المكية بناء الجانب العقدي، وتوثيق الصلة بالله سبحانه وتعالى، وكانت المؤسسة التربوية الأولى التي قامت بهذه المهمة لإعداد المؤمنين هي المترزل "مدرسة دار الأرقام بن أبي الأرقام" وتم إنشاء هذه الثلاثة وصياغتها في سرية تامة لتكون قاعدة صلبة يعتمد عليها بعد الله تعالى في تربية الآخرين.

إن من ينعم النظر في صدر الإسلام يجد أن الرسول الكريم سيدنا محمد ﷺ كان هو الموجه لهذه الأمة في حياتها حيث حرص على تربية أمته تربية متزنة، فربى الفرد ووجه سلوكه بمثل قوله عليه الصلاة والسلام: «قل أمنت بالله ثم استقم» (ابن حنبل، المسند، ١٣٦٨هـ، ٤١٣/٣).

ونزل الوحي ليوجه الإنسان للعمل للدارين بمثل قوله تعالى: «وَابْتَغْ فِيمَا ءاتَكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا» (القصص: ٧٧).

إن التربية النبوية تربية متكاملة ومتزنة ، فقد استطاع سيدنا محمد ﷺ أن يكون من عرب الجزيرة أمة تنشئ حضارة ، وتبني أمة في فترة وجيزة تعتبر ضربا من الخيال ، و علينا نحن المسلمين أن نترسم خطى التربية النبوية ، «ولاشك أن الاستهاء بتعاليها والاسترشاد عنهاجها ، واتباع أساليبها من طرف الآباء والمربيين والمسئولين عامة - في البيت والمدرسة والمجتمع ، وفي مختلف المناهج والبرامج والأنشطة التعليمية والتربية والتنقifyية والتوجيهية - يضمن لنا إلى أقصى حد ممكن "إيجاد" جيل سوي متكامل الشخصية روحيا و عقليا و وجداً نريا وأخلاقيا و اجتماعيا وجسديا ، محمض ضد الإنحرافات والمفاسد وأسباب التحلل العقائدي والخلقي والاجتماعي» (الزناتاني ، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية ، ٤٠٤ هـ ، ص ٩-١٠) .

و هذا يؤكّد للمسلم أنّ المربي الكريم سيدنا محمد ﷺ قد ترك أمته على البيضاء والطريق الواضح ، وأنه لا يزيغ عنها إلا هالك ، وانطلاقا مما سبق يحاول الباحث هنا أن يطل إطلالة سريعة موضحة لواقع النظام التربوي في العالم العربي والإسلامي ، لتكون هذه الإطلالة مدخلا للموضوع الذي يريد الباحث أن يقوم بدراسته ، واستكشافا للواقع الذي يعيشه العالم العربي والإسلامي في أنظمته التربوية .

إن الدعوة إلى إصلاح ميدان التربية والتعليم ليست وليدة العصر فكثير من المخلصين نادوا بهذه الدعوة لإصلاح الخلل والقصور الذي تسرب إليه من أعداء الإسلام ومن سار في ركبهم - فعلى سبيل المثال يجد المرء المسلم أن "محمد إقبال" في شبه القارة الهندية يشكّو من ولاة التعليم وأن التعليم الحديث قد جنّى على هذا الجيل جنایة عظيمة فأهتم بعقله وأهمل قلبه ونشأ جيل غير متوازن بسبب هذا التعليم الحديث (الندوي ، التربية الإسلامية الحرة ، ١٣٩٦ هـ ص ٤٢-٤٥) وفي المسار نفسه يستصرخ "شكيب أرسلان" (١٣٤٨ هـ) في مقالته "الأزمة الحقيقية الحاضرة في الإسلام هي أزمة التعليم" ضمير الأمة الإسلامية ويدعوها إلى اليقظة والحذر فيؤكّد على أنّ الأزمة الحقيقية الحاضرة في الإسلام هي أزمة التربية والتعليم حيث فشا في هذا الميدان الأفكار والمبادئ المضرة مستشهادا بما نشره الكاتب السويسري "ويليام مارتين" عن الوضع التعليمي في كل من بلاد الشام والعراق حيث توصل هذا الكاتب

السويسري إلى أن «الناشئة الحديثة في العراق حسبما لحظ في بغداد ليست على شيء من الدين الإسلامي» (ص ٣٧).

ولم يكن هذا التحذير الصادر من هذا الكاتب السويسري مخالفًا للواقع. فهذا إيدجارد فور وزملاؤه (١٣٩٩هـ) يؤكدون على أن بعض الدول النامية «أثرت النظم التعليمية المأخوذة عن النماذج الغربية أيام الاستعمار قد أدركت الآن أن النماذج المستوردة لا تناسب حاجاتها ولا تحل مشكلاتها». (تعلم لتكون، ص ٧١).

ومن هنا تعلالت الصيحات وارتفعت الأصوات محذرة من مغبة الإستمرار من السير على النمط الغربي في العالم العربي والإسلامي - غالباً - في ميدان التربية والتعليم، ففي مقالة لأحد المربين المعاصرين والتي نشرت في مجلة الفكر العربي أكد في مقالته وجوب تغيير النظام التعليمي السائد في المجتمعات الإسلامية واستبداله بنظام إسلامي. (عثمان، النظام التعليمي السائد في المجتمعات الإسلامية واستبداله بنظام إسلامي، ١٤٠١هـ، ص ٢٧٩).

وفي الميدان نفسه قدم "محمد بن عبد العليم مرسي" (١٤٠٩هـ) دراسة عنوانها "التغريب في التعليم في العالم الإسلامي" وأكده في دراسته هذه على أن العالم الإسلامي - غالباً - لم يسلم من غبار التبعية والتقليد ومن العزو الفكري في مناهجه ودعم دراسته بتقديم نماذج من التغريب في كل من مصر والأردن والجزائر والسودان وقال: «إن الهدف الأساسي لكل أنواع الاستعمار هو تخريب الإنسان العربي المسلم عن طريق تغريمه وإبعاده عن دينه وعقيدته». (ص ٣٧).

كما أن "أبا الأعلى المودودي" (١٤٠٤هـ) دعا إلى إصلاح التربية والتعليم وجعله منطلقاً من منطلقات اسلامية وقال: ونحن إذا قبلنا التعليم الحديث «كما هو وروجناه في أجيال الناشئة أضعناهم للأبد» (ص ١٩٩). وكذلك في المسار نفسه دعا "محمد المبارك" (١٤٠٠هـ) في كتابه "بين الثقافتين الغربية والإسلامية" إلى محاولة التخلص من سلطان الثقافة الغربية في المناهج التربوية والتعليمية في العالم العربي والإسلامي. (ص ٩٦-٥٣)، وفي دراسة حديثة قدمت إلى مؤتمر (قضية التعليم بمصر - أسس الإصلاح والتطوير) والذي عقد في جامعة سيوط ما بين (٢٣-٢٥ ربيع أول

عام ١٤١١هـ) أكد صاحب الدراسة على أن مواد التعليم العام والتعليم الأزهري بمصر أصابها الخلل والقصور وتسرب إليها كثير من المفاهيم والتصورات والقيم الفاسدة وأن التغييرات والتطویرات التي أجريت على النظام التربوي هدفت إلى طمس عقيدة الأمة وتذويب هويتها وتقديم هذه القيم والمفاهيم بصورة مشوهة مسوخة . (عبدالهادي، التطوير بين الحقيقة والتضليل، ١٤١١هـ، ص ٥).

لقد فطن أعداء الإسلام إلى مكمن الداء ألا وهو ميدان التربية والتعليم، فوجهو إليه سهامهم وصوبوا إليه رماحهم، ذلك لأن «من الأمور المسلم بها الآن أن التعليم عنصر أساسي من عناصر التغيير التي تلجم إليها المجتمعات والجماعات المختلفة لصعب ما تريده في عقول أفرادها، وبالتالي في تشكيل شخصياتهم، وبمدى التأثير الذي يتم في عقول الأفراد وبقدر التغيير الذي يحدث في شخصياتهم يكون التأثير في مستقبل المجتمع ذاته، وفي مسيرته عبر التاريخ، وكم من مجتمعات تغيرت مسیرتها وتحولت بسبب ما أدخل على تربية أفرادها، وما وضع في برامج تربيتهم وتعلیمهم» من مبادئ وقيم وتصورات يراد للنائمة أن يتشربوها وينشأوا عليها . (مرسي، التغريب في التعليم في العالم الإسلامي، ١٤٠٩هـ، ص ٤٥).

إن من يدقق النظر وينعمه يجد أن الدول عند ما تشعر ببهو ط المستوى التعليمي والفكري لدى المتعلمين تسارع بخطى حثيثة نحو إصلاح ميدان التربية والتعليم، ومامن أمة تنشد التقدم والرقي لأنبائها إلا ولها منهج تربوي تصوغ من خلاله نموذج الأفراد والمجتمع الذي تريده .

إن العالم العربي والإسلامي غالبا لم يول اصلاح ميدان التربية أهمية تذكر، وذلك نتيجة تعرضه لهجمات متتابعة من قبل المستعمرین والمستشرقين وكثرة المساس بذلك الإحساس وأصبح الأمر سيان عندهم، فأعداء الإسلام استخدمو التسخير العالم العربي والإسلامي وابقاء سيطرتهم عليه «وسائل لا يعرف لها مثيل في تاريخ استيلاء أمة على أمة، فقد اشتركت في هذا الغزو عناصر عديدة، من العاطفة والقوة والعلم وتفكير علماء الغرب ومفكريه ومخططيه، والدهاء والمكر... وساعد الغرب في تحقيق هذه الغاية تدهور البلاد الإسلامية في عصر الإنحطاط، وعدم استقامتها في الإحتفاظ بروح الدعوة والجهاد التي كانت تدفعه... فسرت فيها نفسية

الإنهزامية ومركب النقص والتردد، فلم يتمكن العقل السليم من الوقوف أمام الغزو الأوروبي العلمي والعسكري موقف صرامة وتحليل بحرية القبول والرفض، وصلاحية التميز، كما وقف أمام الحضارات الغازية في عهده الزاهر» (الندوي، المسلمين تجاه الحضارة الغربية، ١٤٠٧هـ، ص ٣). بل استسلم لكل وافد دخيل نظراً لتقاعسه وإغلاقه بباب الإجتهاد، ووقعه تحت الاحتلال الأجنبي، ونزعوه إلى التبعية وتقليد الآباء التي انحدرت إليه منذ عصور الضعف والتمزق والإنحطاط.

إن اتساع العالم العربي والإسلامي مساحة و تعرضه للغزو الفكري جعل من السهل تحديد سمات مشتركة يمكن من خلالها تبيان الواقع التربوي الذي يعيشه. ومنها:

أولاً: إن جميع الأقطار الإسلامية عانت لفترة طويلة من التخلفمنذ بدء توقف باب الإجتهاد والركون إلى التقليد، وهذه السمة تفضي إلى التي تليها وهي:

ثانياً: إن الفترة التي سبقت فترة الاستعمار كانت فترة خمول حضاري وثقافي، وأن النشاط الثقافي كان قاصراً على الشرح والتقليد والتكرار.

ثالثاً: إن المستعمر حرص أثناء وجوده في البلاد التي احتلها -على الإهتمام بعيدان التربية والتعليم ووجهه توجيهها يخدم أغراضه أثناء استعماره، وخطط له أن يخدم مصالحه على المدى الطويل عن طريق الأتباع الذين تلقوا تعليمهم على يديه.

رابعاً: قامت حركات إصلاحية للتحرر من الاستعمار وإعادة البلاد العربية والإسلامية أمة واحدة، ولكن لم يوجد من يسند مثل هذه الحركات نظراً لضعف القادة في البلاد العربية والإسلامية غالباً، واختلاف المشارب والثقافات لديهم، وبالتالي جوهرت هذه الحركات من قبل المستعمر وأنصاره وحمّلت في مهدها. (الفرحان وآخرون، نحو صياغة إسلامية لمناهج التربية، ١٤٠٤هـ، ص ٢، ٣).

ويزيد الأمر وضوحاً وتفصيلاً لما يتسم به الواقع التربوي في العالم العربي

والإسلامي من تخبط واضح، قول "العليان" (١٤٠١هـ) في كتابه "التربية والتعليم في الدول الإسلامية خلال القرن الرابع عشر" الذي يصفه بأنه:

(أ) قد تأثر بفصل الدين عن العلم وهي فكرة غربية لمولد غير شرعي في بيئه غربية، ونقلت إلى العالم الإسلامي عن طريق المستغرين وتلامذتهم.

(ب) كما أن نظرية التطور والإرتقاء انتشرت على نطاق واسع وعمت أرجاء المعمورة غالباً، وهي فكرة يهودية بحثة أريد لها أن تنتشر في العالم العربي والإسلامي لتحطيم عقيدة المسلم على الرغم من أن العلم الحديث قد أثبت بطلانها وزيفها ومع ذلك فما زالت تدرس في بعض ديار المسلمين على أنها نظرية علمية.

(ج) انتشار الفكر المادي، وهي فكرة شيوعية يهودية تعمل على تأليه الطبيعة متناسية بذلك خالق الطبيعة ومن عليها.

(د) كما أن العالم العربي والإسلامي نتيجة لوقوعه تحت الاحتلال الأجنبي ومن باب تقليد المغلوب للغالب اعتقاد على أن ماجاء من الغرب صالح وحديث وأن الذي عند المسلمين قديم وعتيق.

(هـ) ولم تسلم اللغة العربية من المحاربة فأقصيت عن التعليم من أجل قطع الصلة بين هذه الأجيال وبين لغة القرآن لتبقى الأجيال القادمة عالة على غيرهم حتى في شؤون الثقافة والتربية. (ص ٥٢).

إن الأمة الإسلامية اليوم تقف موقفاً لا تحسد عليه فهي في مؤخرة الركب وفي مختلف ميادين الحياة، ولم يشهد هذا القرن أمة تعرضت لمثل ما تعرضت له الأمة الإسلامية من هزيمة وإذلال و«ليس هناك أدنى ريب في أن مركز الداء ومنبعه في هذه الأمة، إنما هو في النظام التعليمي السائد إنه التربية الخصبة لトレبيه العلل... إن النظام التعليمي هو المعلم الذي فيه يعجن ويشكل الشباب المسلم، وهناك يصاغ وعيهم في قالب هو صورة مسوخة للغرب». (الفاروقى، أسلمة المعرفة، ٤١٤٠٤هـ، ص ٢٩).

لقد عجز المستعمر عن طريق عتاده العسكري أن يحتل النفوس والديار فلجاً إلى وسيلة أخرى إنها «التربية و التعليم التي سيطر عليها النفوذ الإستعماري واحتواها،

وعند ما انحسر ظله لم يسلمها إلى أهلها مرة أخرى بل مضت تدار بإشراف أوليائه وتحت لواء أتباعه». (الجندى، التربية وبناء الأجيال في ضوء الإسلام، ١٣٩٥هـ، ص ٨).

يؤكد أحد المربين المعاصرين مدى تغلغل الإزدواجية التربوية في العقلية المسلمة ويلخصها في ثلات نقاط هي :-

(١) وجود نوعين من التعليم السائد: تعليم عصري لا يمت بصلة غالباً إلى الثقافة الإسلامية وجوهرها، وتعليم ديني يعنده المحدود الضيق الذي لا يتصل بالعلوم الكونية وتطبيقاتها العملية، وتكون النتيجة وجود نوعين من أبناء الأمة الإسلامية في صراع ثقافي متطرف.

(٢) وجود الإزدواجية لدى الفرد المتعلم في نفسه فهو في عقله وعلمه وتفكيره يسير في اتجاه يحارب الإسلام عقيدة وخلقاً، بينما هو مسلم في مظهره واسميه وهويته.

(٣) فتح مدارس تبشيرية في بعض بلاد المسلمين، وهذا يشكل خطورة على أهل البلاد التي فتحت فيها مدارس من هذا القبيل، فلكل مدرسة ثقافتها ولغتها (الهاشمي، التعليم بين وحدته واختلافه، ١٣٩١هـ، ص ٩٢). إن هذه الإزدواجية ليست نسجاً من الخيال، أو من باب الوهم والإيهام، بل هي حقيقة تقال، فمناهج العالم العربي والإسلامي - غالباً - تدرس علوماً متعددة وهذه العلوم ليس فيها لله نصيب غالباً، وبالتالي تسقط عظمة الرب من قلوب الناشئة، وهذا يدل بكل تأكيد على أن هذه المناهج لم تنطلق من منطلقات إسلامية، وإنما هي مقتبسة من نظام بعيد عن بيئة الإسلام، فمثلاً نظريات دور كايم تدرس على نطاق واسع في بعض البلاد الإسلامية، على الرغم من أنها تتعارض تعارضاً «مباشراً» مع وجهة النظر الإسلامية، إذ تلغى كل القيم الثابتة في الحياة البشرية، تقول: إن الدين والأخلاق والزواج والأسرة ليست من الفطرة، وإنما من صنع العقل الجمعي الذي يثبتها إذا شاء ويحوها إذا شاء». (قطب، دور الدين في التربية، ١٤٠٤هـ، ص ٧٩).

إذا كان هذا حال المناهج الدراسية في العالم العربي والإسلامي فهل آن الأوان

للعالم العربي والإسلامي أن يرفض هذه الإزدواجية والثانية في مناهجه الدراسية، ويخلص منها وينبذها لأنها فكرة غربية قامت على أساس الفصل بين الدين والحياة. إن تقسيم العلوم إلى علوم دينية وعلوم دنيوية «تعتبر مثل هذه النظرية متعارضة تعارضًا تاماً مع الإسلام الحنيف؛ ذلك أن الدين في نظر الإسلام ليس شيئاً منفصلاً عن الحياة». (ال媦ودي، المنهج الإسلامي الجديد للتربية والتعليم، ٤٠٤هـ، ص ٢٣).

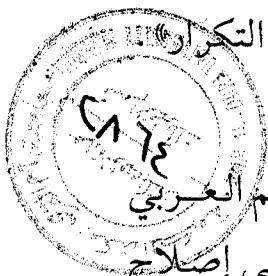
إن الباحث عند ما يسترسل في الإستشهاد بكثرة النصوص إنما يؤكّد على الواقع المريض الذي يعيشه النظام التربوي القائم في العالم العربي والإسلامي؛ ذلك أن الخلل لم يقتصر على جانب واحد، بل تعدى إلى مختلف عناصر المنهج الدراسي، فالمنهج الدراسية كما يشخصها أحد قادة التربية المعاصرین كانت ممثلة لإتجاهات الفلسفة التربوية السائدة، فهي إما مقتبسة من الغرب على عlatها، و إما محصورة في دائرة التقليد والإتباع والنقل عن الكتب القدية دون تطوير للوسائل والمناهج، وقد ظهر سلطان الثقافة الغربية - على فكر المسلمين - المعاصرة في مختلف ميادين الحياة، ومنها الميدان التربوي، وكان ظهور هذه السيطرة والسلطان نتيجة الضعف الذي أصاب "فكر المسلمين" في القرون الأخيرة، ونتيجة القوة التي بلغها المجتمع الغربي من جهة أخرى، وبالتالي أصبحت هذه المنهج التعليمية في البلاد الإسلامية عاجزة عن تكوين المسلم القوي في عقيدته، المسؤولية بتراثه، المتمكن من علوم العصر، المحافظ بالأصالة والقدرة على نقد الأفكار البشرية وضعها في إطارها الصحيح.

(المبارك، بين الثقافتين الغربية والإسلامية، ٤٠١هـ، ص ٥٣-٩٦).

يلخص أحد المربيين المعاصرين القول لكل ماسبق، فيقول: «إن المادة التربوية المتداولة بيننا - بالإضافة إلى مافيها من القصور - لا تنطلق من منطلقات إسلامية، ... بل هي تنطلق من منطلقات المربيين، أصحاب المبادئ والأفكار غير الإسلامية، أو المتعارضة مع الإسلام فتأتي المادة التربوية لطلابنا متاثرة بهذه الأفكار، بعيدة عن الإسلام... . تأتي مفككة لا رابط بينها، صعبة الفهم، متناقضة، كثيرة التكرار»^(١)

(التوم، تأصيل تربية المعلم، ٤٠١هـ، ص ٦).

من خلال الإطلاة والعرض السريع للواقع التربوي في العالم العربي والإسلامي غالباً يتضح للقارئ مدى حاجة العالم العربي والإسلامي إلى إصلاح



تربوي يعالج مختلف أوجه الخلل الذي تعرضت له مناهجنا الدراسية، ومن هنا فقد قام محاولات عديدة للإصلاح التربوي من قبل الأفراد والمؤسسات التربوية، وعقدت مؤتمرات متعددة منادية بضرورة الإصلاح والخروج من المأزق الذي تعيشه الأمة الإسلامية، وبرزت في هذا الميدان مؤسسة تربوية تبنت إصلاح هذا الخلل ومعالجة هذا القصور من حيث تصورها هي ألا وهي: "المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم" التي أخذت على عاتقها التصدي لهذا الواقع، وذلك من خلال "استراتيجية تربوية قدمتها للعالم العربي" إدراكا منها بخطورة الوضع، وتردي الأوضاع التعليمية والتربوية في العالم العربي غالبا، ومن هنا ارتأى الباحث أن يقوم بدراسة هذه الاستراتيجية ليري هل هي السبيل إلى الإصلاح التربوي المنشود في العالم العربي أم لا؟

إن الإصلاح المنشود الذي نقصده ينبغي أن يكون قريبا من الإصلاح الذي أسس قواعده سيدنا محمد ص ، وهذا ينقلنا إلى موضوع الدراسة:

٢- موضوع الدراسة:-

نظرا للواقع المتردي الذي يعيشه النظام التربوي القائم في العالم العربي فقد أصدر المؤتمر الرابع لوزراء التربية والتعليم العرب الذي انعقد في صنعاء عام (١٣٩٢هـ) قرارا بأن تقوم "المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم" بتشكيل لجنة عربية من رجال الفكر التربوي المختصين في العلوم الاجتماعية والطبيعية ومهمة هذه اللجنة هي وضع "استراتيجية لتطوير التربية العربية" بحيث يمكن لكل قطر عربي أن يستهدي بعناصرها الرئيسية في رسم سياساته وخططه وأهدافه، وكان تبني "المنظمة العربية" لهذه الاستراتيجية انطلاقا من أهداف المنظمة نفسها التي تنص على السعي، و«التمكين للوحدة الفكرية بين أجزاء الوطن العربي عن طريق التربية والثقافة والعلوم، ورفع المستوى الثقافي في هذا الوطن، حتى يقوم بواجبه في متابعة الحضارة العالمية و المشاركة الإيجابية فيها». (صابر، من قضايا الثقافة العربية المعاصرة، ١٤٠٨هـ، ص ٣٩).

إن من المبررات التي دفعت "المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم" إلى تبني استراتيجية عربية للتربية هو ما لسته «من صلابة المناهج و جمودها بالنسبة لمطالب

التغيير في البيئات المختلفة و حاجاتها». (الشريف وأخرون، استراتيجية تطوير التربية العربية ١٤٠٠هـ، ص ١٥٢). ليس هذا فحسب بل إن المنظمة قامت بدراسة الكفاية الخارجية والداخلية للنظام التربوي العربي فوجده غير ملائم و ضعيفاً، وهذا الضعف أكد أيضاً «جمود الأنظمة التربوية و اتخاذها أشكالاً و قوالب مكررة في البيئات المختلفة بالبلاد العربية». (الشريف وأخرون، ١٤٠٠هـ، ص ١٥٥).

ولم تكن هذه المبررات كافية أيضاً بل كان الواقع التربوي المتردي الذي قامت المنظمة باستقصائه يدل دلالة أكيدة على أهمية الإصلاح التربوي للعالم العربي الذي وقع معظم دوله تحت الاحتلال الأجنبي الذي ترك بصماته على نظام التربية والتعليم، وبالتالي كان النظام التربوي العربي السائد قائماً على أسس واهية، وهذه الأمور كلها أدت إلى «غياب فكر قومي عربي متتكامل يجمع بين الأصالة والمعاصرة، ويحقق لحركة التربية السرعة والإتساق». (الشريف وأخرون، ١٤٠٠هـ، ص ١٣٢).

هذه هي المسوغات التي دفعت المنظمة العربية إلى أن تسعى بخطى حثيثة "لتطوير التربية العربية"؛ وصولاً لتحقيق هذا الهدف عقدت عدة ندوات ومؤتمرات كانت حصيلتها استقرار الرأي على تشكيل لجنة لدراسة "تطوير التربية العربية" و قامت هذه اللجنة بمناقشة موضوعات متعددة من أهمها هو أن تقوم التربية والتعليم في البلدان العربية على مبادئ وأسس واحدة تكون بمثابة منارة تسترشد بها البلدان العربية في رسم السياسة التربوية وتكون إطاراً عاماً من خلالها ينشأ بناء الأجيال، وهناك موضوعات أخرى ناقشتها هذه الإستراتيجية، وهي تمس الميدان التربوي ورأيت من واجبي أن أبحثها بحثاً علمياً لأرى هل هي البديل للإصلاح أم لا؟ إنه على الرغم من كثرة الندوات و انعقاد المؤتمرات في العالم العربي تحت اشراف "المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم" بحثاً عن تقديم الجديد و ملاحقة التطورات في الميدان التربوي، إلا أن عطاء هذه الندوات و المؤتمرات مازال دون المستوى المطلوب فهو لا يروي الظمآن و لا يشفى العليل، فالكثير مما كتب و قدم لا ينطلق من منطلقات إسلامية بل هو خليط من نظريات متعددة، وهذا عائد إلى اختلاف المشارب و الثقافات و تعددتها من قبل محرري هذه الإستراتيجية، وهم يحاولون إنقاذ أمتهم و إزالة الغموض و إصلاح أخْلَل و معالجة القصور في النظام

التربوي العربي، إلا أنهم أنفسهم لم يسلمو من غبار التبعية والتقليد غالباً.

إن من يدقق النظر في هذه الإستراتيجية يجد أنها أعدت بتوجيهه معين، وأن المنظمة اختارت أناساً لتحريرها من ذوي الفكر التربوي ليكتبوا و يقدموا على أنها هي البديل الأمثل للعالم العربي، وإن مهمة الباحث هو أن يقوم بدراستها ونقدتها وتوضيح جانب القوة والضعف فيها. وهل هي السبيل إلى الإصلاح أم لا؟

إن الباحث هنا لن يتتجنى على هذه الإستراتيجية مسبقاً ولن يلقى الكلام على عواهنه بل سيورد نصوصاً منها ليؤكد الحاجة إلى دراستها وتحقيقها ونقدتها وخطورة ماجاء فيها من مفاهيم وتصورات غير إسلامية وما ورد فيها ما يلي:

«والإسلام لا يرى أن مجرد المخالفة في الدين تبيح العداوة والبغضاء وتنزع المسالمة والتعاون على شئون الحياة العامة فضلاً عن أن تبيح القتال لأجل تلك المخالفة بإستثناء المشركين الذين يعبدون غير الله أو ينكرون وجوده فلم يبح الإسلام للمسلم أن يرتبط بهم مثل هذا الإرتباط». (الشريف وآخرون، استراتيجية تطوير التربية العربية، ١٤٠٠هـ، ص ٤٨-٤٩). ليس هذا فحسب، فمحررو الإستراتيجية يصفون عقيدة الإسلام بأنها من صنع البشر والنص التالي يوضح ذلك.

«و هذه الفكرة عن الإنسانية يأتي بها الإسلام غير مسبق بعقيدة سالفة أو بفلسفة مدونة فهو عقيدة إنسانية شاملة». (الشريف وآخرون، ١٤٠٠هـ، ص ٤٥).

إن محرري الإستراتيجية يزعمون بأن الحضارة العربية لها آثار في فصل الدولة عن الكنيسة. (الشريف وآخرون، ١٤٠٠هـ، ص ٤٥). أي فصل السلطة المدنية عن الدينية بل إنهم يؤكدون على أن العرب يحملون رسالة عربية قومية إلى العالم الإسلامي وإلى الإنسانية جموعاً. (الشريف وآخرون، ١٤٠٠هـ، ص ٧٢).

إن من أهداف الإستراتيجية التأكيد على «تربية وإعداد المواطن العربي المؤمن بتراث الأمة العربية وبقيمها الأصيلة ورسالتها الحضارية». (الشريف وآخرون، ١٤٠٠هـ، ص ١٣١).

وتأكيد المثل هذه الأهداف الضيقة في إعداد المواطن العربي يحرص محررو الإستراتيجية على ترسيخ القومية في بناء الناشئة، ومن ذلك قولهم: «إن أهداف

التربية وظائفها إعداد المواطن الملزِم نحو مجتمعه المتمثَّل لشخصيَّته القوميَّة في نقاوتها وصفائها، العامل على الوفاء بِطَالبَها». (الشَّرِيف وآخرون، ١٤٠٠هـ، ص ٢٢٨). أليس مثل هذه النصوص وغيرها جديرة بأن توضح مدى قربها أو بعدها من المفاهيم والتصرُّفات الإسلاميَّة؟

وإذا كانت هذه الإستراتيجيَّة تحمل مثل هذه المفاهيم والتصرُّفات فكيف سيكون الناشئة مستقبلاً؟ وهل يتوافق هذا مع مبادئ التربية الإسلاميَّة وقيمها ومفاهيمها وأهدافها؟

إن هناك الكثير مما ورد فيها وإنما اقتطف الباحث بعضاً مما ورد فيها للتدليل على أهمية دراسة مثل هذه المفاهيم والتصرُّفات من منظور التربية الإسلاميَّة. وضرورة نقدُّها وتحقيقها وبيان وجه الصواب والخطأ فيها، والدعوة إلى ضرورة اختيار المختصين لتحرير مثل هذه الإستراتيجيات التربويَّة وأن يكون المحررون لها من ذوي التوجُّهات الإسلاميَّة، أصحاب الإتجاه الإسلاميَّ، لتهْوي ثمارها يانعة.

٣- أسئلة الدراسة:

من خلال موضوع الدراسة يبرز للباحث سؤال عام يمكن به تلخيص الموضوع وبيان أهميته وهو:-

س : ما مدى صلاحية استراتيجية تطوير التربية العربيَّة الموضعية من قبل "المنظمة العربيَّة للتربية والثقافة والعلوم" لتحقيق أهداف التربية الإسلاميَّة في العالم العربي؟ ويتفرع عن هذا السؤال أسئلة فرعية منها:-

س ١ : ما الملامح الرئيسيَّة لاستراتيجية تطوير التربية العربيَّة؟

س ٢ : ما حقيقة المبادئ التي قامت عليها استراتيجية تطوير التربية العربيَّة؟

س ٣ : كيف نظرت الإستراتيجية إلى :

(أ) التعليم الأساسي .

(ب) المبادئ التي قامت عليها الإستراتيجية .

س ٤ : ما تصور التربية الإسلاميَّة البديل الذي يمكن أن يحل محل هذه الإستراتيجية

فيما يتعلّق بالآتي : -

(١) المبادئ التي تقوم عليها الإستراتيجية العربية الإسلامية لتطوير التربية .

(ب) التعليم الأساسي للإنسان العربي المسلم .

٤- أهداف الدراسة:

هدفت الدراسة إلى تحقيق ما يلي : -

أولاً : التعرّف على منطلقات استراتيجية تطوير التربية العربية المقررة أو الموضوعة من قبل "المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم" ، ومدى قربها أو بعدها من مبادئ التربية الإسلامية .

ثانياً: توضيح مواطن الإيجابيات والسلبيات التي تضمنتها "استراتيجية تطوير التربية العربية".

ثالثاً: توضيح وتحليل بعض المبادئ التي قامت عليها "استراتيجية تطوير التربية العربية".

رابعاً: التعرّف على منطلقات "استراتيجية تطوير التربية العربية" في التعليم الأساسي ومدى قربها أو بعدها من مفهوم التربية الإسلامية لهذا الجانب .

خامساً: دراسة رأي الإستراتيجية في : -

(أ) التعليم الأساسي .

(ب) المبادئ التي قامت عليها "استراتيجية تطوير التربية العربية" .

سادساً: وضع بدائل لإستراتيجية تطوير التربية العربية من وجهة نظر التربية الإسلامية تتضمن الآتي : -

١- التعليم الأساسي للإنسان العربي المسلم .

٢- المبادئ التي قامت عليها الإستراتيجية .

٥- أهمية الدراسة:

إن من ينعم النظر في ميدان التربية و التعليم يجد أنه الميدان الذي يقوم بدور كبير

في حياة الأمم والشعوب فهو الذي يصيغ ويشكل الأفراد، وهو يتعامل مع أعقد المهمات؛ لأن أي خطأ أو خلل أو عجز أو تقصير في صياغة هذا الإنسان وتشكيله تكون نتائجه على المستويات كلها، وأى محاولة للتغيير ومعالجة القصور والخلل الناشئ في الأمة تم بعيداً عن الإرتقاء بنظام التعليم ومراجعةه وقويه تعتبر فاشلة فالأعداء فطنوا إلى أهمية هذا الجانب «وأجمعوا على أن سر نهضتنا إنما يكمن في ديننا، وأن الإسلام هو مبعث وحدتنا وقوتنا، وانطلاقنا في الحياة، ثم أجمعوا أمرهم ودبروا كيدهم، وقالوا تعالوا نهدم بنيانهم بهدم إسلامهم فنحاربه في نفوسهم، ونضعفه في قلوبهم، وننفرهم منه، ونبعدهم عنه، ونشغلهم بمبادئ أخرى». (الصواف، المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام، د. ت، ص ١٧).

ومن هنا فالتربيـة في أي مجتمع لابد أن تتأثر بما فيه من مبادئ ونظم وفلسفـات وقيم وتصورـات و «ما كان أول شـيء في الإصلاح هو التـربية، وأخر شـيء في الإصلاح هو التـربية». (المودودي، المنـهج الإسلامي الجديد للـتربيـة والتـعلـيم، ١٤٠٢ـهـ، ص ٥). فإن الأمة الإسلامية إذا أرادت أن تظفر بـقيادة العالم كـله، وأن تعود إلى أمجادـها، فعليـها أن تنطلق في مناهجـها من منطلقات اسلامـية، وتجعل القرآن والسنة المطهرـة هـما المصـدر الـوحـيد لـكل أنـظـمة الحـيـاة، ومنـها الجـانـب التـربـوي، كما وإن «من أـهم المقـايـيس التي نقـيس بها إـخـلاـصـها لـهـذا العمل هو عـنـايـتها بـالـمـعـلـم وـإـهـتمـامـها بـإـصـلاحـ منـاهـجـ تـربـيـتهـ، ذلك لأنـهـ إـذـ صـلـحـتـ منـاهـجـ تـربـيـةـ المـعـلـمـ صـلـحـ المـعـلـمـ وـاستـقـامـ، وـبـصـلـاحـهـ وـاستـقـامـتـهـ تـصلـحـ الأـجيـالـ النـاسـثـةـ، وـتـسـتـقـيمـ وـتـكـونـ قـادـرةـ عـلـىـ تـحـمـلـ أـعبـاءـ النـهـوضـ الحـضـارـيـ». (التـومـ، تـأـصـيلـ تـربـيـةـ المـعـلـمـ، ١٤٠١ـهـ، ص ١).

إن الإـضـطـرـابـاتـ الـوـاقـعـةـ فيـ منـاهـجـ الـعـالـمـ الـعـرـبـيـ وـالـإـسـلامـيـ، وـضـخـامـةـ التـحـديـاتـ سـبـبـهاـ نـاتـجـ عـمـاـ فيـ «الـنـفـوسـ مـنـ مـفـاهـيمـ وـتصـورـاتـ وـقـيمـ وـاتـجـاهـاتـ». (الـكـيلـانـيـ، تـطـورـ مـفـهـومـ النـظـرـيـةـ التـربـوـيـةـ الـإـسـلامـيـةـ، ١٤٠٥ـهـ، ص ١١).

لـقدـ كانـ تـخـبـطـ الـعـالـمـ الـعـرـبـيـ وـالـإـسـلامـيـ غالـباـ هوـ نـتـيـجـةـ إـرـتـاطـمـهـ فيـ «بـؤـرةـ الضـيـاعـ فيـ غـيـابـ التـرـبـيـةـ الـإـسـلامـيـةـ وـالـجـهـلـ بـعـنـاصـرـهاـ وـخـصـائـصـهاـ وـأـهـدافـهاـ». (حسـينـ، التـرـبـيـةـ فـيـ السـنـةـ النـبـوـيـةـ، ١٤٠٣ـهـ، ص ١١).

يـؤـكـدـ المعـنىـ السـابـقـ أحـدـ المـربـيـنـ الـمـعاـصـرـيـنـ قـائـلاـ: «قـبـلـ أـنـ يـصـطـدـمـ الغـربـ

المتحضر بالشرق المتخلّف، كانت التربية في الأخير متأخرة أسلوباً و موضوعاً». (الحوالي، العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، ٢٠١٤هـ، ص ٥٨٨). بل و يعيش المسلمون في أحوال وأحوال سيئة للغاية لم يسبق لها نظير عند أمّة من الأمّ، بحيث إذا فتشت عن دورهم في الحياة ومركزهم فيها وجدت ترتيبهم في ذيل القائمة المتخلّفة و في شتى مجالات الحياة.

إن هذا التخبط الذي وصل إليه حال الأمّة الإسلامية، إنه يعبر عن مدى الإنحراف الذي أصابها و هو «إنحراف عن فهم الإسلام و انحسار مفهوماته التصورية في معانٍ ضيقة، و مدلولات محدودة». (الحوالي، ٢٠١٤هـ، ص ٥٠٧).

ما سبق ذكره يتضح للقارئ مدى الحاجة إلى مفاهيم و تصورات إسلامية واضحة في أنظمتنا التربوية، لأنها تمثل الخل الأصيل و السد المنيع لناشتئنا من التيارات الوافدة فالإستعمار الفكري، أشد على النفوس وأمضى سلاحاً من الإستعمار العسكري. (الندوي، ٢٠١٤هـ، الصراع بين الفكرة الإسلامية وال فكرة الغربية ص ٢١٣).

ولما لمس الباحث بأن هناك استراتيجية تربوية للعالم العربي تبنتها "المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم" ، و ت يريد أن تطبقها على العالم العربي ليهتدى بعنصراها و أهدافها و خصائصها في رسم سياسته التربوية وجدت أن من واجبي أن أدلي بدلوى في دراسة هذه الإستراتيجية التربوية التي سوف ينشأ عليها الأجيال القادمة لأرى إلى أيّ مدى تقترب أو تبتعد من المنطلقات الإسلامية؟ ، وهل هي البديل المناسب لتسخير دفة التربية و التعليم في العالم العربي أم لا؟ لأن الإصلاح المنشود الذي تتطلع إليه الأمّة العربية والإسلامية ينبغي أن يكون قريباً من الإصلاح الذي أرسى قواعده سيدنا محمد ﷺ و من هنا تنبع أهمية الدراسة:-

(أ) شعور الباحث بوجود غموض في بعض المفاهيم و التصورات لدى كثير من المربين نتيجة الضعف في الثقافة الإسلامية.

(ب) الإسهام في إفادة واضعي المناهج و المعلمين و المربين عن طريق توضيح أهم المبادئ التي تقوم عليها عملية التربية و التعليم في منهج التربية الإسلامية.

(ج) بروز مناهج تربوية محدثة لإصلاح الأمّة و إنقاذها و كل منهج ادعى أصحابه

أنهم الوجه الإسلامي الذي لا ينقد الأمة غيره، وبيان وجه الصواب والخطأ فيها وأنها غير مؤهلة لذلك لأن منطلقاتها غير إسلامية.

(د) إن هذه الدراسة تهتم بالصلحة العامة وهي تختص بشرائح عديدة من الذين يستفيدون من النظام التربوي الإسلامي والعاملين فيه ومن ورائهم الأمة جموعاً.

(هـ) إبراز خطورة الإستراتيجية التي أقرها وزراء التربية والتعليم في العالم العربي؛ والتي من خلالها سيوجهون التربية على أساس المبادئ التي قامت عليها والمواضيعات التي ناقشتها.

(و) الدعوة إلى توحيد التربية والتعليم في العالم العربي والإسلامي بحيث تكون التصورات والمبادئ موحدة.

(ز) تسهم هذه الدراسة في إبراز مواطن الإيجابيات والسلبيات في التعليم الأساسي والمبادئ المتضمنة في الإستراتيجية وبيان أهميتها في ميدان التربية والتعليم.

٦ - حدود الدراسة:

الإستراتيجية التربوية كبيرة وواسعة ومواضيعاتها كثيرة ومتعددة ومتعددة ما جاء فيها يهم العالم العربي جميعاً، حيث تبنت هذه الإستراتيجية مبادئ عامة للتربية والتعليم وتدعى العالم العربي لتطبيقها والأخذ بها لكن الباحث هنا ركز في دراسته على الموضوعات التالية:-

١- دراسة بعض المواضيعات التي ناقشتها الإستراتيجية مثل:

(أ) الإستراتيجية والتعليم الأساسي:

إن التعليم الأساسي يعتبر نقطة البداية لإصلاح التعليم في العالم العربي والإسلامي، وقد جعلته الإستراتيجية في قائمة الأسبقيات؛ لأنها يتصل اتصالاً مباشراً بطالب التنمية، بل ويعتبر الأخذ به توجهاً عاماً ومطلباً لازماً في مسارات التنمية ويعني أن العالم العربي اهتم بالتعليم الإلزامي في سن معين لكل متعلم أما التصور الإسلامي لهذا النوع من التعليم فسيأتي في الفصل الخاص بذلك.

-٢: دراسة بعض المبادئ التي قامت عليها الإستراتيجية، ذلك أن هذه المبادئ هي الأسس التي يجب أن ينطلق منها ميدان التربية والتعليم سلباً أو إيجاباً. مثل المبدأ الإنساني والقومي والديقراطي ومبدأ التربية للإيمان و مبدأ التربية للعمل والعلم، وقد يقتصر الباحث على هذه المبادئ فقط دون غيرها.

٧- منهج الدراسة:

إن طبيعة الدراسة التي يقوم الباحث بدراستها هي التي تحدد نوع المنهج الملائم الذي يمكن استخدامه في دراسته، والدراسة هنا اعتمدت على منهجين هما:-

(أ) المنهج الوصفي الذي يهدف إلى وصف ظواهر وأحداث وأشياء معينة «وجمع الحقائق والمعلومات واللاحظات عنها ووصف الظروف الخاصة بها، وتقدير حالتها كما توجد عليه في الواقع، وفي كثير من الحالات لا تقف البحوث الوصفية عند حد الوصف والتشخيص الوصفي، بل تهتم أيضاً بما ينبغي أن تكون عليه الأشياء والظواهر التي تناولها الباحث، وذلك في ضوء قيم ومعايير معينة، واقتراح الخطوات أو الأساليب التي يمكن أن تتبع للوصول بها إلى الصورة التي ينبغي أن تكون عليها في ضوء المعايير والقيم».

(جابر وكاظم، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ١٣٩٨هـ، ص ٤٠).

و الباحث هنا استخدم هذا المنهج أثناء تناوله للإستراتيجية و عرضها و اظهار ايجابياتها و سلبياتها و نقد مبادئها، و الموضوعات التي لها صلة بالإستراتيجية، و يمكن للباحث دراستها و وصفها و وضع تصور بدليل عنها.

(ب) كما استعان الباحث بالمنهج الاستنباطي الذي يعرفه "عبدالرحمن صالح وزميله" (١٤٠٧هـ) في كتابهما: "المرشد في كتابة الأبحاث التربوية" بأنه «الطريقة التي يقوم فيها الباحث ببذل أقصى جهد عقلي ونفسي عند دراسة النصوص بهدف استخراج مبادئ تربوية مدعمة بالأدلة الواضحة».

(ص ٤٣).

و قد استفاد الباحث من هذا المنهج أثناء وضعه تصور بدليل للإستراتيجية، حيث يقتضي هذا التصور من الباحث تجميع النصوص المتعلقة بقضية معينة، و هذا

يتطلب الرجوع إلى القرآن الكريم و السنة المطهرة التي تناولت القضايا الواردة في الإستراتيجية ، وذلك لإستنبط تصور بديل عن المبادئ التي قامت عليها الإستراتيجية واستنباط تصور بديل عن التعليم الأساسي من منظور التربية الإسلامية مستعيناً بأفكار و آراء المربين الذين تناولوا هذه الموضوعات التي لها صلة بالإستراتيجية - بالدراسة و المناقشة في مؤلفاتهم المتعددة .

٨- مصطلحات الدراسة:

من الألفاظ التي تعرض لها الباحث أثناء كتابة البحث ما يلي :

الإستراتيجية:-

هي مصطلح عسكري في بداية ظهوره ثم استخدم استخدامات متعددة وأصبح يستخدم في مختلف ميادين الحياة ، فيقال : استراتيجية ثقافية ، و اقتصادية ، و تربية .

أما الإستراتيجية العربية التربوية فتوصف :

« بأنها تلك الجهدات التي تبذل في سبيل توجيه التعليم المستحدث توجيهاً يفي به إلى الأهداف الوطنية والقومية ، وإلى نشره ، وتحسين نوعيته وجعله مستنداً إلى أسس فكرية إلى جانب التكيف لما هو مستمد من الفكر الأوروبي ». (الشريف وأخرون ، ١٤٠٠هـ، ص ٩٤).

و أما الإستراتيجية التربوية :

فهي صياغة الإختيارات في مجموعة من الإجراءات لتحديد ما يجب عمله تبعاً للحالات التي قد ت تعرض في المستقبل . (النجار ، أزمة التعليم المعاصر ، ١٤٠٠هـ، ص ١٣٦).

ويرى الباحث بأن الإستراتيجية التربوية الإسلامية :

« هي تحديد المسار التربوي وما يجب عمله للحالات التي قد تطرأ في المستقبل من خلال هدى القرآن الكريم و السنة الشريفة المطهرة ، وأن تكون مضامين هذه الإستراتيجية "أهدافاً ، و مبادئ و تصورات " منطلقة من منطلقات إسلامية لتحقيق الغاية النهائية من الخلق ، وهي تحقيق العبودية لله تعالى من خلال العلوم التي يدرسها المتعلم كافة مع الاستفادة من الحضارات الأخرى ما لم يتعارض مع عقيدتنا الإسلامية ».

التعليم الأساسي :

هو مرحلة التعليم الأولى بالمدرسة ، و التي تكفل للطفل التمرس على طرق التفكير السليم ، و تؤمن له حد أدنى من المعارف والمهارات التي تسمح له بالتهيؤ للحياة ، و ممارسة دوره كمواطن متوج . (يوسف ، التعليم الأساسي ، ١٣٩٨ هـ ، ص ١٦ - ١٧) .

٩- الدراسات السابقة :

لم يعثر الباحث - حسب علمه - و من خلال استقصاء العلومات الواردة من مراكز البحوث العلمية والتربوية مثل : مركز البحوث التربوية والنفسية بجامعة أم القرى و مثل مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتكنولوجيا بالرياض ، وكذلك مؤسسة الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - على دراسة تناولت " استراتيجية تطوير التربية العربية " دراسة تحليلية ناقدة من منظور التربية الإسلامية ، وهناك دراستان تناولتا الاستراتيجية ، وهما :

١- الدراسة الأولى :

هناك دراسة واحدة تناولت مفهوم الإستراتيجية للتعليم الأساسي في الدول العربية وصاحب هذه الدراسة هو " محمد عبد القادر أحمد " الذي حصل على درجة الماجستير في أصول التربية من جامعة عين شمس عام ١٤٠٣ هـ ، عن دراسته هذه .
و عنوان الدراسة :

«استراتيجية التربية العربية لنشر التعليم الأساسي في الدول العربية» .

تكونت هذه الدراسة من اثنى عشر فصلاً :

كان الفصل الأول فصلاً تمهيدياً تناول حدود البحث و منهجه و أهدافه وأهميته كما هو متبع في الدراسات التربوية . وأما الفصل الثاني فتحدث صاحب الدراسة فيه عن مبررات التعليم الأساسي و مميزاته . وفي الفصل الثالث عرج فيه على مفهوم التعليم الأساسي و تاريخه و قدم مصر نموذجاً في تطبيقه و تتبع المدارس في هذا الميدان . وفي الفصل الرابع تحدث فيه الدارس عن مدة التعليم الأساسي و أهدافه وأسسها التربوية .

وفي الفصل الخامس قدم نماذج للتعليم الأساسي المطبقة في دول متقدمة مثل إنجلترا وأمريكا وروسيا، ودول نامية مثل إسبانيا والسويد وغيرها. وفي الفصل السادس قدم نماذج من التعليم الأساسي في بعض الدول العربية مثل الأردن والجزائر وغيرهما. وفي الفصل السابع قدم تطبيقات التعليم الأساسي في مصر.

وكان الفصل الثامن عن تقويم تجربة التعليم الأساسي في مصر إيجابياته وسلبياته

وتحتختلف الدراسة الحالية عن هذه الدراسة بما يلي : -

أ - كان تناول الدارس للتعليم الأساسي ليس من منظور التربية الإسلامية وإنما من منظور إستراتيجية .

ب - اقتصر في دراسته على مصر وهي لا تمثل بالضرورة الدول العربية جمها .

ج - لم يقدم محتوى للتعليم الأساسي من منظور التربية الإسلامية وإنما كان تناوله عاما .

د - والدراسة الحالية تناول التعليم الأساسي من منظور التربية الإسلامية ومواد التعليم ومحفظاته إضافة إلى دراسة بعض المبادئ التي تقوم عليها التربية والتعليم من منظور التربية الإسلامية .

٢- الدراسة الثانية:

و هذه الدراسة تعتبر تلخيصا لبعض الموضوعات التي وردت في الإستراتيجية وهي من قبيل التعريف بالإستراتيجية و قدّم هذا التلخيص بعنوان " استراتيجية تطوير التربية العربية إلى أين " ؟

وصاحب هذا التلخيص هو " حمد بن ابراهيم السلوم " حيث إحتوى على ثمانية فصول :

جاء الفصل الأول معبرا عن مراحل الإستراتيجية و الوقت التي استغرقته حتى ظهرت بصورتها الحالية .

أما الفصل الثاني فلخص مبادئ الإستراتيجية كما جاءت ، وكذلك كان الشأن في

الفصل الثالث الذي تحدث فيه الكاتب عن عناصر الإستراتيجية . وفي الفصل الرابع قدم السلوم فيه مختصرًا للأس比قيات الواردة في الإستراتيجية ، وجاء الفصل الخامس بعنوان تنفيذ استراتيجية تطوير التربية العربية وسبلها .

وأما الفصل السادس والسابع فهما يتحدثان عن متابعة تنفيذ الإستراتيجية في كل من المجتمع الأول لوكلاء وزارات التربية والتعليم العرب المنعقد في الرياض عام ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، ووسائل هذه المتابعة وكيفية تنفيذها ، وكذلك المجتمع الثاني الذي انعقد في قطر الدوحة بين ١٤٠١/١٧-١٤٠١هـ ، وهو يهدف أيضًا إلى متابعة الإنطلاق في تنفيذ هذه الإستراتيجية .

وجاء الفصل الثامن الملمكة العربية السعودية وسياسة تطوير التربية خاتماً للكتاب .

الفصل الثاني

واقع التعليم في العالم العربي

١- تمهيد

- ٢- حاجة التعليم في البلاد العربية إلى العقيدة
- ٣- نقد الواقع التربوي من بعض علماء المسلمين
- ٤- المراحل التي مر بها التعليم الإسلامي الأصيل
- ٥- مظاهر جمود التربية والتعليم في العالم العربي
- ٦- أهم معالم الغزو الفكري الغربي في مناهج التعليم في العالم العربي
- ٧- نماذج من دراسات تربوية للغزو الفكري الغربي في مناهج التعليم في بعض البلدان العربية والإسلامية.

١- تمهيد.

هذا الفصل يعتبر من وجهة نظر الباحث مرآة عاكسة للواقع التعليمي القائم في العالم العربي يستطيع الإنسان من خلاله أن يحلق في أجواء متعددة ليدرك مدى ما وصلت إليه الأمة العربية في مجال التعليم من تخلف وتدور وتردي أوضاعه التعليمية والتربيوية، وليقف على حقيقة الأمر الذي من أجله ارتفعت صيحات المصلحين منذرة من الوضع الحالي القائم في العالم العربي والإسلامي ومحذرة من مغبة الإستمرار على ما هو عليه.

إن الصراع محتمد بين الشر والخير منذ أن خلق الله آدم عليه الصلاة والسلام، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولن يتنهى هذا الصراع وسيظل مشتعلًا وقائماً، ولكن للباطل جولات كالزبد تذهب جفاد وللحق صولة تكث في الأرض لتصلح التعليم في العالم العربي والإسلامي الذي وجه إليه أعداء الإسلام سهامهم وطعنوه طعنة نجلاء لم يفق منها حتى العصر الحاضر.

إن المسلمين في هذه الأيام يعيشون هجمة شرسa مستعرة من كافة الأعداء الذين تجمعوا الهدف واحد وهو النيل من الإسلام، وطمس معالمه ومحاولته القضاء عليه، وتمثلت هذه الهجمة في غارات شتى وفي مختلف ميادين الحياة، وخسر الأعداء معاركهم الخربية ضد المسلمين ولم يفلحوا في القضاء عليهم، وهنا جاؤا إلى أسلوب جديد في حرب الإسلام والمسلمين، إنه أسلوب لا يكلفهم عناء الذهاب إلى بلدانهم، ولكنه أشد فتكا وأعظم خطرًا من المعارك الخربية لقد اعتمد الأعداء «سلاح التغريب بواسطة المدرسة والكتاب والجامعة والصحف والمجلات، والتلفاز والابتعاث للدراسة العلمية في بلادهم». (مرسي، التغريب في التعليم في العالم الإسلامي، ١٤٠٩هـ، ص ٨).

إن السيطرة على العالم العربي والإسلامي من قبل الغرب لم تكن حاصلة لو كان المسلمون في موقف القوة والندية؛ ولكن هذه السيطرة حصلت وال المسلمين في موقف ضعف ومذلة وتفرق، وبالتالي تمكن الغرب من التغلغل في بلدان المسلمين واحتل بلادهم وعاش فيها فساداً، ومن جملة ما أفسده التعليم الذي وجه مساره وجاهة يرضيها هو، ومن هنا نشأ جيل لا صلة له بدنيّة وعقيدته، اللهم إلا إذا كانت

العقيدة كلاما يحفظ والدين أمرا فرديا مقتضاها على شعائر تؤدي لا يوجه الحياة ولا يتغلغل فيها. (قطب، واقعنا المعاصر ١٤٠٨هـ، ص ٢٢٣).

٢- حاجة التعليم في البلاد العربية إلى العقيدة:-

إن الأمة الإسلامية ذات دين وعقيدة خاصة، فلابد أن يكون نظام التعليم وال التربية عندها خاضعا لهذا الدين وتلك العقيدة و«إن مسألة التعليم في البلاد الإسلامية مسألة مستقلة قائمة بذاتها؛ لأن الأمة الإسلامية أمة خاصة في طبيعتها ووضعها، هي أمة ذات مبدأ وعقيدة ورسالة ودعوة، فيجب أن يكون تعليمها خاضعا لهذا المبدأ والعقيدة، وهذه الرسالة والدعوة، والتعليم أداة لإنشاء الأجيال التي تؤمن بهذا المبدأ وتدين بهذه العقيدة وتحمل هذه الرسالة وتؤدي هذه الدعوة». (الندوي، نحو التربية الإسلامية الحرة، ١٣٩٦هـ، ص ١٨).

إن العقيدة الإسلامية هي المنطلق لأنشطة الحياة والمعول عليها، وهذه حقيقة لا يختلف عليها اثنان ذلك «أنه ما من نظرية تربوية أو اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية إلا وانبثقت من عقيدة تحدد نظرها في الكون والحياة والإنسان وتتشعب عنها جميع أنظمة الحياة فيما بعد». (الغضبان، من معن التربية الإسلامية، ١٤٠٢هـ، ص ٦).

من الحقائق التي يجب ألا تغيب عن بال الإنسان وذاكرته هي: «أن التربية نبت لا يصلح إلا في بيئته ولا ينمو إلا من رى أهله، ولا قيمة له إذا فقد جذوره الأصلية، ولكن ذلك لا يعنينا أن ننتفع من تجارب الآخرين... فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها». (عبد المعطي، أمة معرضة للخطر، ١٤٠٦هـ، ص ١٣).

إن هذه الحقائق الآنفة الذكر تؤكد للمسلم أهمية انشاق النظام التربوي وغيره من عقيدة الأمة التي تدين بها وأن تخضع تلك المفاهيم والتصورات المقتبسة لمفاهيم الإسلام وتصوراته فالنظام «التربوي لأي أمة من الأمم مرآة عاكسة للأهداف التي تسعى لتحقيقها والقيم التي تؤمن بها، والمثل العليا التي تصبو إليها، وبالتالي فمنهاج التربية في أي بلد من البلدان تعطينا فكرة واضحة عن حياة الأمة وأسلوب عيشها وهي في النهاية تبرز لنا بوضوح مقومات حضارتها وخصائصها التي انفردت بها».

(برحجام، النظام التربوي مفهومه وأهدافه مجلة البعث الإسلامي، العدد الأول، المجلد ٣٦، ١٤١١هـ، ص ٨٨-٨٩).

لقد أصبح من المسلم به أن أمتنا الإسلامية منيت بهزائم مختلفة عسكرياً وفكرياً وتربوياً واقتصادياً وحل بها من الأدواء والمصائب التي اثقلت «كاهلها وناءت به حيث أعرضت عن دين الله تعالى واتبعت غير سبيله فولها الله ما تولت، ووصلت إلى ما وصلت إليه». (العقل، التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة الإسلامية، ١٤١٤هـ، ص ٥).

وبسبب إعراضها عن دين الله عاشت فوضى فكرية في المفاهيم والتصورات والمبادئ، يصور هذه الفوضى الفكرية "الفاروقي" (١٤٠٤هـ) قائلاً: «إن المواد والمناهج التي تدرس في البلاد الإسلامية حالياً إنما هي نسخ مما عند الغربيين؛ لكن مع افتقارها للرؤى التي تمدها بالحياة في بيئتها الأصلية، وهي بهذه الصورة تصبح من عوامل الضعف» و«تأثير في الطالب تأثيراً سيئاً معاذياً للإسلام باعتبارها في نظر من اختارها بدائل للمواد والمناهج الإسلامية، وهي نموذج للتقدم والتحديث». (ص ٣٣). ومن هنا يجد المسلم أن المستقر في حقيقة التربية والتعليم المعاصر القائم في العالم العربي والإسلامي غالباً يعلم علم اليقين أن هذا الميدان يحتاج إلى إصلاح جذري وتجديد؛ لأنه نشأ في أحضان الغرب وساده التغريب والتجهيل، ولم يبن على أساس علمية بل كان مقتبساً من مناهج أخرى، وهنا غابت الرؤى الواضحة للكون والإنسان والحياة والألوهية، وهذا أدى إلى فشل النظام التعليمي المعاصر في العالم العربي والإسلامي غالباً.

٣- نقد الواقع التربوي من بعض علماء التربية المسلمين:-

أجمع المخلصون من المربيين على «أننا في البلاد الإسلامية في حاجة ملحة إلى نظام تعليمي إسلامي في الروح والوضع والسبك والترتيب». (الندوي، نحو التربية الإسلامية الحرة، ١٣٩٦هـ، ص ٢٠).

وبسبب تدهور التعليم وتخلفه ورداة أحواله من حيث الكفاية الخارجية والداخلية تualaت الأصوات وارتقت الصيحات منادية بالإصلاح التربوي ومنتقدة لواقعه السيء القائم في العالم العربي والإسلامي، وداعية إلى إعادته إلى حظيرة الإسلام بعد أن أبعد عنها دهراً طويلاً.

يقول: "محمد بن المبارك" (١٤٠٠هـ) في كتابه "بين الثقافتين الغربية والإسلامية" بأن النظام التعليمي الغربي دخل البلاد الإسلامية في بداية القرن

التاسع عشر الميلادي، وهذا النظام التعليمي «منقول كله من النظام الغربي بجميع مواده ومناهجه من العلوم الطبيعية والرياضية حتى التاريخ والفلسفة والحقوق وما يكمن وراء هذه المواد - حين دخل هذا النظام التعليمي - من مفاهيم ونظريات فلسفية وعقائد». (ص ٩).

إن هذا النظام التعليمي القائم في العالم العربي والإسلامي غالباً يهدف إلى إزالة معالم الإسلام وصرف المسلمين عن دينهم وإذابة الشخصية المسلمة في كيان هذا النظام التعليمي المستورد المسوخ.

لقد اصطبغت حياة أكثر المسلمين بالصبغة الجاهلية الغربية في الفكر والتصور والاعتقاد، ولم يسلم أي نشاط من هذه الصبغة الجاهلية ويعتبر ميدان التربية والتعليم أكثرها تأثراً، بل هو أسوأ مما كان عليه أيام الإستعمار، إذ كانت هناك مقاومة، أما الآن فقد صار لهذا النظام التعليمي المستورد صدى في مختلف وسائل الإعلام وأوساط المثقفين بثقافته من المسلمين ووقفت معه غالبية الدول ودعمته مادياً ومعنوياً. يؤكّد هذا الانحراف السائد في مناهج التربية والتعليم أحد المعاصرين لهذه الأزمة التربوية، والذي له باع طويلاً في الدفاع عن النظام الإسلامي وصلاحيته لكل زمان ومكان وقد نفّسه فداء عن العقيدة الإسلامية، وتربى على كتبهآلاف الشباب إنه (سيد قطب، ١٣٩٣هـ) القائل في كتابه "في ظلال القرآن": «فَأَمَّا نَحْنُ الَّذِينَ نَزَّعْنَا مِنْ أَنَا مُسْلِمُونَ فَأَرَانَا نَتَلَقَّى فِي صَمِيمِ فَهْمِنَا لِقْرَآنَنَا وَحْدِيْثَ نَبِيْنَا صَ عَنِ الْمُسْتَشْرِقِينَ وَتَلَمِّذَةِ الْمُسْتَشْرِقِينَ! وَأَرَانَا نَتَلَقَّى فِي فَلْسِفَتِنَا وَتَصْوِيرَاتِنَا لِلْوُجُودِ وَالْحَيَاةِ مِنْ هَؤُلَاءِ . . . وَأَرَانَا نَتَلَقَّى قَوَاعِدَ سُلُوكِنَا وَآدَابِنَا وَأَخْلَاقِنَا مِنْ ذَلِكَ الْمُسْتَنْقَعِ الْآسِنِ الَّذِي انتَهَى إِلَيْهِ الْحُضَارَةُ الْمَادِيَّةُ الْمُجْرَدَةُ مِنْ رُوحِ الدِّينِ . . . فَنَحْنُ بِهَذَا نَشَهِدُ عَلَىِ الْإِسْلَامِ بِالْفَشْلِ وَالْمُسْخِ» (٤٤٠/١).

ويزيد الأمر وضوحاً عن سبب اصطباغ حياة أكثر المسلمين بالصبغة الجاهلية في الفكر والتصور والسلوك والإعتقاد. "محمد المبارك" (١٤٠٠هـ) ويعزّ وذلك إلى أنه «أنشئت في جميع البلاد الإسلامية المدارس الإبتدائية والثانوية ثم الجامعية العالية على نمط هذا النظام الغربي منذ أواخر الدولة العثمانية وكذا في سائر بلدان العالم الإسلامي». (بين الثقافتين الغربية والإسلامية، ص ١١-١٢).

ليس هذا فحسب هو السبب الوحيد الذي غير المفاهيم والتصورات في المجتمع الإسلامي؛ بل هناك أسباب أخرى مكنت الفكر الغربي من التسلل إلى مختلف أوجه النشاط التربوي وغيره من أنشطة الحياة، إنه الولع بتقليد المتصر وصاحب القوة والسلطان، فالاستعمار دخل البلاد الإسلامية عن طريق الفكر والسلاح معاً «وكل ذلك كان سلاحاً تقوى به النظام الغربي الحديث الوافد الذي أقيم في البلاد الإسلامية». (المبارك، ١٤٠٠هـ، ص ١٢).

وفي نقد الواقع التربوي أيضاً يؤكّد "عمر بن سليمان الأشقر" (١٤١٤هـ) في كتابه "أسلمة التعليم في ديار المسلمين" على تأثير هذا الميدان بالنمط الغربي، وهو يدعو إلى «إعادة التعليم في ديار المسلمين إلى حظيرة الإسلام بعد أن أبعد عنها دهراً طويلاً». (ص ٦).

وفي الإطار نفسه يرى "محمد القصار" (١٤٠٤هـ) أن «منهج التربية والتعليم المطبق حالياً في البلدان الإسلامية منهج غير إسلامي غالباً، إنه منهج مستورد في معظم أصوله التي يقوم عليها والتي غلت عليه وطبعته بطبعها... وإن هذا المنهج الغربي الأوروبي قد سيطر بأسلوبه وخططه على معظم المناهج التعليمية في دول العالم، ومنها الدول الإسلامية التي كانت قد ترققت وخضعت لسلطان الاستعمار الغربي وسلطان حضارته التي تحمل اسم العلم والتقدم والرقي». (المنهج الإسلامي في تعليم العلوم الطبيعية، ص ٨٢).

ولعل ما يؤكّد تلك السيطرة أن "صمويل زويمير" الذي يعتبر أحد المربين الغربيين قد أكد في "مؤتمر القدس التبشيري" الذي انعقد برئاسته عام (١٣٧٣هـ) بأن الغزو الفكري التربوي الغربي قد تسلل إلى مختلف برامج التعليم في الممالك الإسلامية، وسعى لإنشاء جيل يسير في الطريق الذي رسمه له أعداء الإسلام. (الصواف، د.ت، ٢١٦-٢١٧).

إذن هذه حقيقة قائمة لا يمكن تجاهلها أو إنكارها، ولهذا أصاب عباسي مدني (١٤٠٩هـ) كبد الحقيقة عندما حدد المشكلة الرئيسة التي يعاني منها التعليم في العالم العربي والإسلامي بأنها راجعة إلى «أن عناصر العملية التعليمية ابتعدت كثيراً عن التوجيه الإسلامي وأن السياسات التربوية المطبقة حالياً لا تهدف إلى تربية إنسان القرآن والسنّة الذي يتتجاوز الإمتيازات العرقية والقومية إلى شمولية رسالة

الإسلام». (مشكلات تربوية في البلاد الإسلامية، ص ١٣٨).

ويخلص "مقداد يالجند" (١٤١١هـ) أسباب تدني الواقع التربوي في العالم العربي والإسلامي ويعزو هذه الأسباب إلى أن منبع هذا التدني هو الإنسان المسلم، والسبب في هذا، النقص في بنائه، وسبب النقص في بنائه المناهج التعليمية والتربوية؛ لأن الأجيال تكون كما تكون مناهج تعليمها وتربيتها، وسبب النقص في المناهج أنها مستعارة وليس أصلية، وتفادي ذلك يكون بإعادة بناء المناهج من جديد في ضوء متطلبات التربية الإسلامية وتوجيهاتها) (منابع مشكلات الأمة الإسلامية والعالم المعاصر، ص ٤٦).

٤- المراحل التي مر بها التعليم الإسلامي الأصيل:

قد يتساءل المرء عن التدهور الحاصل في الميدان التربوي، ولماذا وصل الحال إلى هذا الوضع السيء؟.

يجيب أحد المربين الذي له باع طويل في سير أغوار التربية الحديثة والإسلامية قائلاً: «قبل أن يصطدم الغرب المتحضر بالشرق المتخلف كانت التربية في الأخير متأخرة اسلوباً وموضوعاً، وكانت الثقافة جامدة ومحدودة». (الحوالي، العلمانية نشأتها وتطورها وأثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، ١٤٠٢هـ، ص ٥٨٨).

إن النظام التعليمي الإسلامي كما يبدو من السياق السابق لم يبق على صفائحه ونقائه كما كان في عصور الازدهار، وهذا سبب آخر مكن للفكر الغربي من اكتساح البلاد الإسلامية وفرض التبعية له عليها، «فسرت فيها نفسية الإنهازامية ومركب النقص والتردد، فلم يتمكن العقل السليم من الوقوف أمام الغزو الأوروبي العلمي والعسكري موقف صرامة وتحليل بحرية القبول والرفض وصلاحية التميز، كما وقف أمام الحضارات الغازية في عهده الظاهر، خلال احتكاكه بالحضارات الرومية والفارسية والهندية». (الندوي، المسلمين تجاه الحضارة الغربية، ١٤٠٧هـ، ص ٣).

لقد كان وقوف العالم العربي والإسلامي غالباً من الغزو الغربي موقف التقليد والاقتداء وهذا موقف خاضع ومشين، ذلك أن المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوايشه كما يقول "ابن خلدون" في مقدمته (د.ت، ص ١٠٣-١٠٤).

وإذا كان التعليم الإسلامي الأصيل لم يبق على نقاشه وصفاته فهل كان على
وتيرة واحدة أم لا؟ وما المراحل التي مر بها هذا التعليم؟ . يلخص "محمد المبارك"
(١٤٠٠هـ) هذه المراحل ويصنفها إلى :-

أ - مرحلة الازدهار والتي اتصفت بتقدم العلوم واتساعها و يأتي كل جيل فيها
بجديد .

ب - مرحلة الركود واتصفت هذه بالاقتصر على الحفظ والنقل وقلة الجديد فيها إلا
ماندر .

ج - مرحلة الجمود ويقصد بها أنها اقتصرت على ترديد معارف السلف أو شرحها
أوتلخيصها . *

وقد آل الأمر بهذا النظام التعليمي الإسلامي الأصيل إلى : «الجمود وضعف
ملكة النقد والمناقشة والتفكير الجزئي والبعد عن قضايا الحياة العملية ومشكلاتها ،
وعن آفاق الثقافة الواسعة وعن تطور الثقافة ، بل حتى عن التفكير في قضايا العالم
الإسلامي إلا إذا شاعت على الألسنة وصفحات الصحف بعد ظهورها» (بين الثقافتين
الغربية والإسلامية ، ص ٣٦-٣٧) .

وفي وصف المرحلة الأخيرة بالذات "مرحلة الجمود" يجد المرء المسلم أن
"أباال أعلى المودودي" (١٤٠٢هـ) قد شخص العيوب الجوهرية في نظم التربية
الإسلامية الأصيلة في أمرین اثنین الأول يتمثل في عدم استخدام حاسة البصر والسمع
والفؤاد واهتمامها وتعطيل وظائفها هذا من جهة أما العيب الثاني : فهو أن المراكز
التعليمية الدينية ما زالت مقتصرة على ما خلفه الأسلاف دون تجديده أو تطويره (المنهج
الإسلامي الجديد للتربية والتعليم ، ص ١٠-١١) .

ومن هنا يجد المرء المسلم أن الخلل الطارئ في نظم التربية الإسلامية له جذور

* وفي وصف هذه المراحل وخصائص كل مرحلة وأبرز مفكريها وروادها ألف "ماجد عرسان
الكيلانی" (١٤٠٥هـ) كتاباً قيماً عن هذه المراحل الثلاث أطلق عليه إسم "تطور مفهوم
النظرية التربوية الإسلامية" يستطيع القارئ من خلال الإطلاع على هذا الكتاب أن يخرج
بالتبيّنة التي توصل إليها محمد المبارك في كتاب السالف الذكر .

بعيدة وتاريخ طويل، وأنه هو سبب مصائب الأمة الإسلامية التي عجزت عن إيجاد الإنسان المسلم القادر على مواجهة التحديات التي فرضها المستعمر عليه من خلال هذه المراكز الدينية الجامدة.

إن الخلل والقصور القائم في نظم التربية الإسلامية ليس قاصراً على هذه المراكز الدينية بل شمل أيضاً المؤسسات التربوية الإسلامية المتطورة والمؤسسات التربوية الحديثة التي أنشئت على النمط الغربي بل هي أشد عجزاً من سابقتها. (النقيب، التربية الإسلامية رسالة وسيرة، ١٤١١هـ، ص ٢٥٦-٢٥٧).

وإذا الإنسان أنعم النظر في التحديات التي يواجهها العالم الإسلامي في ميدان التربية والتعليم يجدها تحصر في أمرين:

- ١ - «التبعة للغرب في علومه المصطبغة بفكرة وعقيدته ونظرته إلى الحياة والأحياء».
- ٢ - الجمود والتقليد اللذان ورثهما من العصور الخالية في مجال العلم والتأليف والتدريس، وهذا يقتضي منا إيجاد منهج لإصلاح ذلك كله». (الأشقر، أسلمة التعليم في ديار المسلمين، ١٤١٤هـ، ص ٢٩).

٥- مظاهر جمود التربية والتعليم في العالم العربي:-

بما أن الجمود قد عم العالم العربي والإسلامي وأصبحت المراكز الدينية غير مؤهلة لإيجاد المسلم المعاصر القادر على مواجهة التحديات، وكذلك المؤسسات التربوية الحديثة التي أنشئت على النمط الغربي، فإن هذا يستدعي من الباحث أن يوضح مظاهر هذا الجمود الذي عم العالم العربي والإسلامي وجعله غير مؤهل لإيجاد الإنسان المسلم ليحتل مكان الصدارة والقيادة.

هناك مظاهر كثيرة أدت إلى تردي الواقع التربوي وتدحرجه في العالم العربي والإسلامي وجعلته يعيش على فتات الآخرين وفي مؤخرة الركب، ومن هذه المظاهر ما يلي:-

(١)- «عدم نزوعه بوجه عام إلى التطوير النافع والتجديد المفيد والابتكار والتحسين في طرائق عرض المعرفة».

(٢)- «عدم الاهتمام ببيان وجوه الحكمة المستندة إلى نظرات الفكر الثاقب والتجارب

الإنسانية والتي من خلال هذه النظارات والتجارب يظهر كمال الإسلام في أحكامه ونظمه مقارنة بالأحكام الوضعية والنظم العالمية الأخرى».

(٣) - «عدم مواكبة العالم الإسلامي للتطور العلمي في العالم وعدم اقتباس ماجد في المعرفة الصحيحة العالمية» والاستفادة منها «ما له طابع التقدم الحضاري السليم الخالي من زيف الأفكار المناقضة للتعاليم الربانية والأخلاق الإسلامية ، لاسيما في العلوم البحتة . . . الوضعية . . . التجريبية . . .».

(٤) - «عدم الاهتمام بالعلوم التي يعتمد عليها البناء الحضاري المادي ويعتمد عليها انتاج الوسائل المادية وإهمال جوانب التطبيق والتجربة فيها مع أن العناية بهذه العلوم واستخدام أعمال التطبيق والتجربة فيها من أركان الحركة العلمية الإسلامية إبان العصور الإسلامية الزاهرة الأولى ، وما يدعو إليه الإسلام» ويبحث عليه . (الميداني ، غزو في الصميم ، ١٤٠٥ هـ ، ٢٢-٢٣).

إن مظاهر الجمود هذه كانت نتيجة لإعراض الأمة الإسلامية عن تعاليم دينها وعقيدتها مما سبب خللاً وتنزقاً في فهم نصوص الإسلام فهما صحيحاً على الوجه الأكمل ، ولهذا كان الأعداء يتربصون بالأمة الإسلامية الدوائر ، وكانوا ينتظرون فرصة الانقضاض عليها وفعلاتم لهؤلاء الأعداء ما يريدون .

إن غالبية الدول العربية والإسلامية وقعت تحت نيران المحتل الغربي حيث اقسم هؤلاء الأعداء البلدان الإسلامية فيما بينهم وبالتالي غير هذا العدو من مسلكه نحو التعليم الإسلامي وأبعد الأمة الإسلامية عن عقيدتها وإسلامها ، بل إن بعض الدول ترسمت خطاه في تنظيم التعليم وغيره بدعوى العصرنة أو رغبة في التقليد ودفع تهمة التخلف عنها ، وأصبح محتوى التعليم في معظم هذه الدول الإسلامية بعيداً عن التطبيق العملي وليس له رصيد في الواقع . (سلیمان ، نظم التعليم في العالم الإسلامي ، ١٤٠٣ هـ ، ٢٠٧-٢٠٨).

هنا أصبح الضعف ضعفين : ضعف داخلي ناشئ من مظاهر الجمود الذي اعتبرى ميدان التربية والتعليم في العالم العربي والإسلامي ، وضعف خارجي تمثل في الغزو الخارجي الغربي للعالم العربي والإسلامي وهنا أصبح العالم العربي والإسلامي يعاني الأمرين .

«لقد سيطرت النظريات الغربية الثلاث: الفرنسية، والإنجليزية، والأمريكية على المدرسة وفرضت اسلوبها وتجاهلت أى اعتبار للعربي أو للمسلم وإنما حاولت أن تشكل هذا الدارس وكأنه غريب تماماً عن بيته وثقافته». (الجندى، التربية وبناء الأجيال فى ضوء الإسلام، ١٣٩٥هـ، ص ١١٤).

وإذن فلا غرابة أن تأتي مناهج التربية والتعليم طبقاً لما يريد الغرب، وخاصة إذا كانت الأمة الإسلامية في موقف لا تحسد عليه، ولقد تملأ العجب "مصطفى عبد الواحد" (١٣٩١هـ) من حال المسلمين وحال مناهج تعليمهم فقال مستغرباً: «ومن عجب أن برامج التعليم في الأمة الإسلامية حتى اليوم غير موحدة، وإنما يتوجه بعضها إلى ما يريد أعداء الإسلام من معرفة ضئيلة بالإسلام ومن ثقافة مضطربة عن تاريخه ورجاله ومن مناقضة للحقائق الإسلامية في الدراسات المنقولة عن علماء الغرب دون تمييز... إنها نكبة أصابت المسلمين ولا تزال، إن جيلهم الجديد لا ينشأ على ثقافة الإسلام ولا يدرك تصوره الحق للحياة بكل جوانبها إلا في بीئات قليلة من بلاد الإسلام». (نحو نهضة إسلامية، ص ٥٧).

٦ - أهم معالم الغزو الفكري الغربي في مناهج التعليم في

العالم العربي والإسلامي:-

إذا كانت البلاد الإسلامية قد تعرضت للغزو الفكري الغربي فلا بد أن الأعداء قد تركوا بصماتهم في هذه المناهج وفي تصورات المسلمين واعتقادهم وسلوكياتهم، ومن أهم معالم هذا الغزو الفكري في مناهج التربية والتعليم في العالم الإسلامي كما يقول "العليان" (١٤٠١هـ) في كتابه "التربية والتعليم في الدول الإسلامية خلال القرن الرابع عشر":

أ - فصل الدين عن العلم، وهي فكرة غربية، الهدف منها التخلص من العقيدة الإسلامية من قبل الناشئة، وألا تهتم هذه الناشئة بمبادئ دينها وعقيدتها بل تقتصر على تخصصها الذي انتزع منه كل ما له صلة بدينها وعقيدتها ليظل إنساناً بلاصلة له بخالقه.

ب - فكرة التطور والارتقاء، وهذه فكرة غربية غريبة عن العالم العربي والإسلامي، وتهدف هذه الفكرة إلى تقويض عقيدة المسلم ونسفها وعلى الرغم من عدم

صحتها ومنافاتها للعلم إلا أنها تدرس في غالب بلاد المسلمين باعتبارها حقيقة علمية واقعية لا سبيل إلى إنكارها.

ج - الفكرة المادية: وتهدف هذه الفكرة إلى ترسيخ مفهوم الحياة في نفوس الناشرة بأنها هذه الحياة الدنيا فقط، وليس هناك حياة أخرى، وعلى الإنسان أن يبحث عن طعامه وشرابه فقط؛ لأنه ليس هناك وراء المادة إله، وإنما الطبيعة هي التي توجد نفسها بنفسها.

د - اعتبار كل ماجاء عن الغرب صالح وحديث وأن الذي عند المسلمين قديم وعتيق، وهذا يهدف إلى إضعاف المسلمين بدينهم والإعلاء من شأن الغرب وتحقيق المسلمين ولزهم وتنفيرهم من دينهم بشتى الوسائل التي تخدم ما يسعى إليه أعداء الإسلام والمسلمين.

ه - محاربة اللغة العربية، ذلك أن محاربتها هو محاربة للإسلام والمسلمين والهدف من هذا تقويض الدين وإضعاف احترام المسلم للغته وقطع الصلة بين الأجيال وبين تراثهم الضخم لتبقى الأجيال عالة على غيرهم حتى في شؤون الثقافة والتعليم. (ص ٤٤-٥٢).

هذه هي أهم معالم الغزو الفكر الغربي للعالم العربي والإسلامي، وإن الغرب بهذا الأسلوب الماكر «يريد تغريب الشرق وصهره في حضارته؛ ولذلك فهو لا يقره على نهضة فكرية مستقلة لأنه لا يريد أن يحيا، بل يريد تحريده من كيانه حتى لا يصبح ندا ولا خصما». (الجندى، إطار إسلامي للفكر المعاصر، ١٤٠٠هـ، ص ٣٨٤).

لقد استحق العالم العربي والإسلامي أن يصل إلى هذه المرحلة من الضعف والتدحرج وذلك لإعراضه عن دينه وعقيدته التي تطلب منه أن يكون قويا في كل شيء، وبما أنه تخاذل عن دينه وعقيدته استحق أن يكون في مؤخرة الدول، وأصبح بهذا أصلح أو قابلا للعبودية الفكرية وأكثر استعدادا للخنوع من غيره، وإن هذا التخبط الحاصل في العالم العربي والإسلامي في ميدان التربية والتعليم هو نتيجة ارتقابه «في بؤرة الضياع في غياب التربية الإسلامية والجهل بعناصرها وخصائصها وأهدافها». (حسين، التربية في السنة النبوية، ١٤٠٣هـ، ص ١١).

لقد انتشرت الأفكار الغربية في المنطقة الإسلامية انتشاراً واسعاً فالتفكير العلماني

والقومي والوجودي والماركسي والشيوعي له صدى في الواقع ومازالت الأمة الإسلامية تعاني منه حتى الآن. (جريدة، حاضر العالم الإسلامي، ١٤٠٨هـ، ص ٥٣-٦٨).

٧- نماذج من دراسات تربوية للغزو الفكري الغربي في مناهج التعليم في بعض البلدان العربية والإسلامية.

هناك دراسات تربوية ومؤلفات وبحوث علمية تناولت الواقع المريض الذي تعيشه أمتنا الإسلامية في ميدان التربية والتعليم والذي تعرض لمعركة حربية فكرية شرسة ، وهذه الدراسات توضح حقيقة واقعة لا يمكن إنكارها أو تجاهلها وهي أن ميدان التربية والتعليم في العالم العربي والإسلامي لم يبق على صفائته ونقائه وأن مفاهيمه وتصوراته ومبادئه التي تقدم للنائحة قد اعترافها غبشاً في الرؤية وغموض في فهمها على حقيقتها وليس صالحة ليشربها النائحة لفساد المفهوم والتصور الذي تسرب إليها من خلال الغزو الفكري الغربي وإليك نماذج من هذه الدراسات :-

أ - قام أحد الباحثين "أبو بكر" (١٤١٢هـ) بجامعة أم القرى كلية الدعوة - فرع العقيدة - بدراسة «الغزو الفكري في مناهج التعليم في السودان، أهدافه ووسائله وأثاره في العقيدة والأخلاق» وذلك للحصول على درجة التخصص العليا "دكتوراة" وقد أبرز هذا الباحث الآثار التي خلفها هذا الغزو الفكري في مختلف المواد الدراسية، وقدم نماذج منها في المواد المقررة والتي منها مادة التاريخ والجغرافيا وعلم الاجتماع والعلوم واللغة العربية والفلسفة واللغة الإنجليزية .
ص ٣١١-٣٩٦.

ب - وقدم الباحث "خادم حسين إلهي بخش" (١٤٠٨هـ) موضوعاً نيل درجة التخصص العليا "دكتوراة" عنوانه: "أثر الفكر الغربي في انحراف المجتمع المسلم بشبه القارة الهندية" خصص الفصل الثاني من رسالته "أثر الفكر الغربي في مجال التربية والتعليم" من الباب الثاني "أثر الفكر الغربي في حياة المسلمين" لمعالجة الآثار المترتبة على الغزو في مجال التربية والتعليم، والمحاولات الإصلاحية التي تمت في هذا الميدان لتلافي القصور والخلل الناشئ في هذا الميدان من قبل المستعمر البغيض الذي غير المفاهيم والمبادئ وجعلها تنطلق من منطلقات غربية .

ج - وقدم أمير البيان "شكيب أرسلان" (١٣٤٨هـ) مقالة عنوانها: «الأزمة الحقيقة الحاضرة في الإسلام هي أزمة التعليم» أكد فيها أن أخطر شيء ابتلى به العالم الإسلامي طريقة التعليم «التي جرت عليها الحكومات الإسلامية والمسلمون في هذا العصر، وهي الطريقة التي ستكون نتيجتها أشد ويلًا على المسلمين من الاستعمار ومن الحروب الصليبية ومن الغارات الاقتصادية ومن كل مصيبة وداهية» (ص ٣٦). ثم قدم "أرسلان" «دليلًا عملياً لأحد الكتاب السويسريين وهو "ويليام مارتين" الذي قام بزيارة إلى الشام والعراق وألقى محاضرات «في جنيف صرخ فيها بأن الناشئة الحديثة في العراق حسبما لاحظ في بغداد ليست على شيء من الدين الإسلامي» (ص ٣٧).

د - وأما الباحث "محمد أمين إدريس إسماعيلي" (١٣٩٩هـ) فقد كان عنوان أطروحته «الغزو الفكري في مناهج التعليم في مصر والمغرب في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين» التي قدمها إلى جامعة أم القرى للحصول على درجة التخصص العليا "دكتوراة" وهي تعالج القضايا التربوية التي تعرضت لهذا الغزو في الميدان التربوي.

ه - وفي المسار نفسه صدرت (المجتمع الكويتي، ١٤١٥هـ) في شهر جمادي الأولى مجلتها بافتتاحية عنوانها: "التغيير والهدم في مناهج التعليم" مؤكدة أن المناهج الحالية بحاجة إلى إصلاح وتجديد وأنها فاقدة للتصور الإسلامي في معظمها وضررت مثلًا بالمناهج الكويتية وغيرها من الدول التي تصاحمت مع إسرائيل وكيف أصبحت مناهجها متوافقة مع هذا الصلح من حيث حذف الآيات التي تندم اليهود وتوضح خصائصهم. (ص ٥).

و - وخاتمة المطاف في تقديم هذه النماذج أن "محمد بن عبد العليم مرسي" (١٤٠٩هـ) ألف كتاباً عنوانه: "التغريب في التعليم في العالم الإسلامي" حوى أمثلة لهذا التغريب في كل من دولة تركيا، وتونس، والمغرب، والجزائر، ومصر، والسودان، وذكر برامج التعليم ومحتواء أثناء وجود المحتل الأجنبي في هذه البلدان، وهذا المؤلف حوى في ثناياه أدلة دامغة وبراهين قوية لمن ينكر هذا الغزو الفكري الغربي في مناهج التعليم في العالم العربي والإسلامي ويؤكده بما لا يدع مجالاً للشك فيه.

إن الواقع التربوي القائم في العالم العربي والإسلامي غالباً لا يبشر بخير إذا استمر على هذا النمط، ذلكم أن العالم الإسلامي لم يختلط لنفسه منهجاً معيناً يسير عليه، بل كان ضائعاً يمشي على غير هدى، وسائراً في منعطفات متعددة، ولم يتبيّن طريقه الصحيح حتى الآن، وذلك لبعده عن الإسلام وافتقاده «المنظومة التربوية متماسكة ومتناسبة تنسجم فيها الأهداف والتصورات مع التقنيات والوسائل، ففكروا نا التربوي عبارة عن فسيفساء من الأفكار المتناقضة إسلامية، علمانية، اشتراكية، قديمية، وينعكس هذا الخلط والغموض على تربيتنا في المدرسة والمنزل، وعلى توجيهات وسائل التربية المسموعة والمرئية والمكتوبة». (السباعي، قراءة في الكتابات التربوية الإسلامية من ابن سحنون إلى ابن خلدون، ١٤١٠هـ، ص ١٢٨).

إن الغزو الفكري الغربي قد «تسلل في فلسفاته الفكرية ومذاهبه العقائدية بما فيها من حق وباطل ... من خلال التعليم وعبر جميع فروع المعرفة والثقافة إلى عالمنا الإسلامي يحمله الاستعمار بجيوشه والغزو بشتى أنواع جنوده ودخل دخول القوى المستعلى بقوة الظاهر، وفتنة الباطن». (المبارك، بين الثقافتين الغربية والإسلامية، ١٤٠٠هـ، ص ٩٧).

ولهذا لم يكن موقف العالم العربي والإسلامي موحداً تجاه هذا الغزو الفكري فقد تباينت المواقف إزاءه وكان هناك ثلاثة تيارات هي:-

(أ) - التيار الانسلاхи، وهو الذي تقبل هذا الفكر بخيرو شره وتنكر لقيم الإسلام وعقيدته واستمد مبادئه وعقيدته من هذا الفكر الدخيل.

(ب) - التيار الانتقائي، وهو الذي قصد إلى اختيار بعض الوجوه التي تتناسب مع عقيدة الإسلام وطرح ما يتنافي معها.

(ج) - التيار الحضاري، وهو الذي هدف إلى بناء الإنسان المسلم في العالم الإسلامي بناء متكاملاً دون الاقتصار على الجانب الاقتصادي السياسي. (خياط، النظرية التربوية في الإسلام، ١٤٠٧هـ، ص ٨-٧).

لا يشك أحد في أن العالم العربي والإسلامي يموج بالفتنه، وأن السياسات التعليمية متباعدة من مجتمع إلى آخر ويعود هذا التباين إلى اختلاف الفلسفات التربوية المتبناه واختلاف العقائد السائدة التي توجه الميدان التربوي وهذا «يعني في التحليل

الأخير غياب سياسة تعليمية واضحة ومحددة». (بدران، سياسة التعليم في الوطن العربي، ١٤١٤هـ، ص ٥).

من خلال ما تقدم ذكره من تدهور الواقع التربوي وتخلفه وتبعيته للغير يتضح للمسلم أهمية «حاجة الأمة الإسلامية إلى نظام تربوي يتناسب مع واقعها ومثلها الأعلى وعقيدتها وصراعها لاسترداد مجدها، نظام تقوم عليه حياة المسلم من أولها إلى آخرها ويشمل المجتمع الإسلامي بكل طبقاته وأجناسه وينهض به في كل ظروفه وأحواله». (التحلاوي، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، ١٤٠٢هـ، ص ٣).

ولتأكيد الحاجة إلى نظام تربوي إسلامي مستمد من العقيدة الإسلامية يورد الباحث في الفصل التالي بعض السمات العامة التي اتصف بها العالم العربي والإسلامي في ميدان التربية والتعليم ليتبين للقارئ إلى أي مدى هي قريبة أو بعيدة من أهداف التربية الإسلامية أو مخالفة لها؟ وهل هذه السمات يمكن من خلالها إيجاد الجيل القوي القادر على تحمل أعباء الحياة وتسخير البلاد الإسلامية وجعلها في مصاف الأمم أم لا؟.

الفصل الثالث

**السمات الخامة للتربية والتعليم في
العالم العربي وواقع مستخرجاته.**

نهاية

أولاً - السمات العامة

**ثانياً - واقع مستخرجات التربية
والتعليم في العالم العربي**

تمهيد:

قبل الدخول في ذكر السمات العامة للتربية والتعليم في العالم العربي يود الباحث أن يرجع على ذكر أهداف التربية والتعليم في الأقطار العربية ، والتي تصنف إلى الأصناف التالية كما يقول "زين" (١٤١٤هـ) في دراسته التي هي بعنوان "الوحدة العربية في فلسفة التربية والتعليم وأهدافهما في الأقطار العربية" :

أ - الهدف الاجتماعي وهو إيجاد المواطن الذي يستطيع أن يتعامل مع الآخرين بنجاح والإسهام من أجل الجماعة والعمل على تقدمها.

ب - الهدف الفردي الشخصي أي : تربية المواطن كاملة عقليا وخلقيا وبدنيا وعاطفيا ومساعدته على النمو السوي المتكامل .

ج - الهدف الوطني القطري ترسیخ الوحدة الوطنية بين أبناء الوطن الواحد .

د - الهدف القومي إيجاد جيل يحبون أوطانهم ويعتزون بالقيم العربية والشعب العربي وبالتالي وحدة الأمة العربية .

ه - الهدف الديني والإسلامي تنشئة مواطنين مؤمنين بالله وبالعقيدة الإسلامية وإظهار التصور الإسلامي الكامل للكون والإنسان والحياة .

و - الهدف الاقتصادي إنشاء مواطنين متوجهين ومتخصصين لرفع المستوى الاقتصادي للفرد والجماعة وزيادة الدخل القومي .

ز - الهدف العلمي والتكنولوجي لإيجاد جيل يستفيد من التقنية والتقدم العلمي في مجال العلم والتعليم .

ح - الهدف الإنساني والدولي أي إيجاد جيل يسعى إلى أنه فرد من المجتمع الإنساني وتزويده بروح النضال والعمل من أجل الإنسانية جموعا والإسهام في تعزيز التفاهم العالمي .

ي - الهدف الإيديولوجي تنشئة مواطنين يؤمنون بالتعاليم والمبادئ والقيم والأفكار المتصلة بالإشتراكية والديمقراطية وبأي مذهب سياسي آخر (ص ١١٠-١١٢).

وهذه الأهداف تؤكد عدم وضوح الفلسفة التعليمية لدى من يقوم بصياغة المناهج التعليمية في العالم العربي غالبا . وفي الصفحات التالية يتناول الباحث هذا الموضوع من جانبين :-

أولاً : السمات العامة للتربية والتعليم في العالم العربي .

ثانياً : واقع مستخرجاته التربية والتعليم في العالم العربي .

أما السمات العامة للتربية والتعليم في العالم العربي فهي على النحو التالي :

١- عدم وضوح الفلسفة التعليمية:

إن نظم التعليم القائمة في العالم العربي لم تكن عند المخططين لها رؤية واضحة عنها، وذلك نظراً لاختلاف المشارب وتعدد الثقافات وتنوعها لدى هؤلاء المخططين وبالتالي لم يكن هناك اتفاق موحد وقاسى مشترك ينطلقون منه في تحديد الإطار، وإذا فقد الأساس الذي ينطلقون منه، كان البناء هشا وغير رصين، وما زاد الطين بلة أن كثيراً من البلدان العربية والإسلامية وقعت تحت نيران المحتل الأجنبي البغيض الأمر الذي جعل ميدان التربية والتعليم لم يبن على أساس متين، وبالتالي كان المخططون لهذا الميدان يسعون إلى تحقيق أهداف هم يعتقدونها ويؤمنون بها ولهذا أقام العالم العربي والإسلامي نظامه التعليمي على أساس قومية ووطنية وإقليمية وهذه النظم كانت في مضمونها وفلسفتها امتداداً للنظم الوافدة الأجنبية حيث لم تبذل جهود حقيقة من قبل المخططين أو الدول لمكافحة مخلفات روابط هذه النظم لأنهم يفتقدون الرؤية الصحيحة وفائد الشيء لا يعطيه . (الفرحان وأخرون، نحو صياغة إسلامية لمناهج التربية، ١٤٠٤هـ، ص ٦-٥).

وبما أن هذا الميدان قد اعتبره النقص في الرؤية وتحديد الفلسفة التعليمية التي من خلالها يسترشد المعلم بها في حياته العلمية، فإن مخرجات هذا التعليم ومدخلاته ستتصبح هشة ومهلهلة وغير محددة، وهذا يعكس على مختلف عناصر العملية التعليمية وهذا دليل على انعدام الرؤية الإسلامية الشاملة في نظم التعليم القائمة في العالم العربي . (عبد، لأيديولوجيا التربية، ١٤٠٠هـ، ص ٤٠٤).

٢- جمود الفلسفة التعليمية وعجزها عن مسايرة

التطورات الاجتماعية المتسارعة:

من ينعم النظر خلال القرن الثاني عشر الهجري وما قبله وما بعده حتى الآن يجد أن النظم التعليمية في العالم العربي والإسلامي غالباً كانت منغلقة على نفسها

أمام العلوم الحديثة، ولم تستفيد من النظم الواقفة بما يتلاءم مع العقيدة الإسلامية، بل «استقر التعليم في العالم الإسلامي على أسلوب جامد، تعوزه الرجعة إلى أسس التعليم الإسلامي الصحيحة وحيوية التطور الصاعد أسلوباً ومضموناً». (الميداني، غزو في الصميم، ١٤٠٥هـ، ص ٢٠٢).

ويوضح "الميداني" (١٤٠٥هـ) جمود النظام التربوي في العالم العربي والإسلامي وعجزه عن مسايرة التطورات المتسارعة، وإن التعليم الإسلامي قد تقلص في نطاق ضيق، ففي دراسة علوم الشريعة اقتصر الأمر على القرآن وتجويده وتفسيره وعلوم القرآن والحديث ومصطلحه وعلم رواة الرجال، والفقه وأصوله وعلم المواريث والعقيدة الإسلامية وعلوم اللغة العربية من صرف ونحو وبلاغة، ثم دراسة ما يسمى بالعلوم العقلية من دراسة المنطق الصوري، وقليل من علم المناظرة والجدل، وشيء بسيط من مبادئ الفلسفة، ثم دراسة السيرة النبوية، ونبذة من التاريخ الإسلامي، وأعلام المسلمين، ودراسة هذه المواد تكون من خلال كتب حازت القبول لدى جماهير علماء المسلمين. (ص ٢٠٣-٢٠٤).

لقد وقف العالم العربي والإسلامي من النظم الواقفة إما موقفاً معادياً لكل ما جاء من الغرب أو الشرق ورفضه جملة وتفصيلاً، وإما أخذها بحذافيره، وإما التوفيق بين ما هو ملائم للعقيدة وبين ما هو غير ملائم.

وقد من سابقاً أن "أبا الأعلى المودودي" (١٤٠٢هـ) ناقش العيوب الجوهرية في نظم التربية الإسلامية وردها إلى عدم استعمال حاسة السمع والبصر والفؤاد، وهذا أدى إلى جمود هذه النظم وعجزها عن مسايرة النظم الواقفة والأخذ منها بما ينفع البلاد والعباد. (المنهج الإسلامي الجديد للتربية والتعليم، ص ١١-١٦). ولكنه الآن استخدم الوسائل الحديثة واستفاد منها وسخرها في ميدان التربية والتعليم.

٣- تميزها بين التعليم العام والتعليم المهني:

جعل التعليم المهني خاصاً بطبقة معينة تعتبر فكرة خاطئة وهي منقوله من القرون الوسطى في أوروبا حيث كان التعليم العام للساسة والمهني لعوام الشعب، وهذا له آثاره التربوية السيئة إذ يحرم بعض الأفراد ذوي القدرات العقلية الجيدة من متابعة دراستهم ويدفع بعضهم إلى دراسات لم يكونوا مؤهلين لها وهذا يحرم المجتمع

من مهارات كان من الممكن استثمارها فيما لو جهت التوجيه الصحيح . (التجار، أزمة التعليم المعاصر، ١٤٠٠هـ، ص ٤٣).

٤- مركبة الإدارة في العالم العربي:

الدولة في العالم العربي هي التي تشرف على التعليم ومسئولة عنه وبما أن الدولة تشرف على التعليم فلا بد من وزارة مركبة تعتمد عليها في تسيير وتنفيذ سياستها لكل ما يتصل بالعملية التعليمية ، ولا يمكن الخروج عن هذه السياسة العامة للدولة؛ لأن تقدم المجتمع مرهون بأن يكون التعليم في المجتمع تحت إشراف الدولة بحيث لا يؤدي إلى الإخلال بأصول المبادئ الإسلامية والخروج عن السياسة العامة للدولة التي تنطلق من منطلقات العقيدة الإسلامية . (عبدود، الأيديولوجيا والتربية، ١٤٠٠هـ، ص ٣٩٤-٣٩٦).

٥- تأثر تعليم الفتاة:

من السمات البارزة في نظم التعليم القائمة في العالم العربي والإسلامي تأثر تعليم الفتاة، وذلك قياساً إلى تعليم الفتى ، والسبب في ذلك أن تعليم الفتاة لاقى معارضة شديدة من قبل بعض الناس ذوي الثقافات الضئيلة والفكر المتحجر ، لقد كان الاعتقاد السائد بين أغلب الناس أن أنساب مكان للفتاة هو المنزل ، وأن تعليمها ليس مرغوباً فيه ، وهذا اتجاه خاطئ مخالف لنصوص الشريعة الإسلامية التي كفلت للفتاة حق التعليم بما يلائم فطرتها ويناسب خصائصها وطبياعها التي فطرت عليها.

ومن الجدير بالذكر هنا أن تعليم الفتاة يختلف فيما بين العالم الإسلامي بالنسبة لمشاركة البنين مع البنات في فصول الدراسة في مراحل التعليم العام أم الجامعي اختلافاً بينا ، فمنهم من يجعل التعليم مختلطاً في المراحل الأولية ويفصله في المراحل العليا ، ومنهم من يجعل تعليم الفتاة منفصلاً عن تعليم الفتى في مختلف المراحل . وهذا يعود إلى الأسباب الاجتماعية والاقتصادية فغالب الدول تتبع سياسة تعليم مختلط . (مرسي، التعليم العام في البلاد العربية، ١٣٩٢هـ، ص ٢٥٢-٢٥٧).

٦- جعل الامتحانات أساساً لعملية التقويم:

أصبح الامتحان في العالم العربي يشكل شبحاً مفزعاً لدى المتعلمين إذ يعتمد على قياس عملية الحفظ والاستظهار والاسترجاع ويهمل ملكرة المناقشة والفهم

والاستيعاب، أى أنه يهمل القدرات الأخرى ويقتصر على قياس كمية المعلومات التي حفظها المتعلم دون اللجوء إلى اختبار قدراته العقلية الأخرى من تحليل واستنباط وغير ذلك.

إن الاعتماد على هذا الأسلوب العقيم أدى إلى قتل موهب الإنسان، فالامتحان يجب ألا يقتصر على جانب معين، بل لابد أن يتعدّ فيشمل المهارات والاتجاهات.

والاختبارات لابد أن تتتنوع ولا تقتصر على جانب واحد فقط. فهذا الأسلوب المتبع أدى إلى مشاكل نفسية وأفقد العملية التعليمية الشيء الكثير من رسالتها. (النجار، أزمة التعليم المعاصر، ١٤٠٠هـ، ص ٤٣-٤٤).

٧- التوسيع الكمي على حساب الكيفي:

بما أن «الأنظمة التعليمية القائمة في الدول العربية على العموم أنظمة أجنبية مستوردة غربية ومعزولة عن أرض الوطن ومتطلباته». (الراوي، دراسات حول التربية في البلاد العربية، ١٤٠٧هـ، ص ٥٠). فإن المسلم يجد أنه حدث توسيع كمي في قبول الطلبة وإتاحة الفرصة لمن بلغ سن القبول غالباً، إلا أن هذه الزيادة لم تكن بالمستوى المطلوب حيث بلغت نسبة القبول بمختلف مراحل التعليم عام ١٩٦١/٦٠ م كالتالي:-

الابتدائي	٪ ٤٥,٦
الثانوي	٪ ١٠,٦
العالي	٪ ١,٤

وفي عام ١٩٨٣/٨٣ م كانت النسبة كالتالي :

الابتدائي	٪ ٦٨
الثانوي	٪ ٢٨,٨
العالي	٪ ٣,٢

(الراوي، ١٤٠٧هـ، ص ٥٠-٥١).

أما الجانب الكيفي فهو ضعيف غالباً مثل ظهور الضعف العام لدى المخريجين في القراءة والكتابة والحساب واللغة العربية.

٨- انتشار الأمية:

إن تفشي الأمية في العالم العربي ظاهرة ملموسة للجميع، وهي حقيقة ماثلة للعيان ولا يمكن إنكارها.

ذلك أن الأمية تعتبر مشكلة تمس عصب الحياة التنموية فالإنسان هو موضوع التنمية بدها ونهاية وانتشار الأمية يعتبر عائقاً في طريق التقدم والازدهار.

لقد بلغت نسبة الأمية بين السكان ما بين ٨٠-٧٠٪ وهي تزيد بين الإناث عنها بين الذكور.

وتختلف نسبة الأمية من بلد إلى آخر نظراً للظروف الاقتصادية والاجتماعية وتشير الإحصاءات إلى أن العالم العربي هو من أعلى مناطق العالم تركزاً بالأمية وأكثرها معاناة. (سمعان، دراسات في التربية المقارنة، ١٣٩٤هـ، ص ٢٤١).

وعلى سبيل المثال زاد عدد الأميين من ٤٢,٧ مليون عام ١٩٦٠م إلى ٤٩,٩ مليون في عام ١٩٧٠م، وفي عام ١٩٨٤م بلغت الأمية حولي ٥٣ مليون أمي. وهذا يدل على أن طريق القضاء «على الأمية مازال طويلاً وشاقاً خاصة وأن معدلات زيادة السكان في ارتفاع مستمر». (الراوي، دراسات حول التربية في البلاد العربية، ١٤٠٧هـ، ص ٥٢).

٩- تماثل البنية التعليمية:

البنية التعليمية في العالم العربي تمثل غالباً فيما بينها فالتعليم العام يتدنى على مدى اثنين عشرة عاماً من سن السادسة إلى الثامنة عشرة وتتوزع مرحلة التعليم العام على ثلاثة مراحل: الابتدائية ست سنوات، والمتوسطة ثلاث سنوات، والثانوية ثلاث سنوات، وهذا هو السلم التعليمي العام الذي تتبعه غالبية الدول وإن كان بعض الدول تميز بسلم تعليمي مختلف نوعاً ما، لكن المجموع العام لا يتجاوز اثنين عشرة عاماً لجميع مراحل التعليم العام إلا دولة الجزائر فهي تبلغ ثلاثة عشر عاماً، والجدول التالي يبين تماثل البنية التعليمية في مراحل التعليم العام دون الجامعة وفي بعض الدول العربية لا كلها.

البلد	الابتدائي	المتوسط	الثانوي مجموع سنوات التعليم	العام حتى الجامعة
السعودية	٦	٣	١٢	=
سوريا	٦	=	=	=
مصر	=	=	=	=
لبنان	٥	٤	١+٢	=
الأردن	٦	٣	٣	=
العراق	=	=	=	=
اليمن	=	=	=	=
قطر	=	=	=	=
البحرين	=	=	=	=
الكويت	٤	٤	٤	=
الإمارات	=	=	=	=
السودان	٥	٤	١+٢	=
المغرب	٥	=	=	=
الجزائر	٦	=	=	١٣
تونس	٦	٣	٣	١٢
ليبيا	=	=	=	=

(مصلح، نظم التعليم في المملكة العربية السعودية والوطن العربي، ١٣٩٤هـ، ص ١٣٥).

١٠ - فقدان التوازن في الخدمات التعليمية التي تقدم للمواطنين:
 نظام التعليم القائم في العالم العربي يتصف أولاً: بأنه تعليم غير متوازن، أى أنه قائم على الارتجالية والعشوائية ولا يعتمد على تخطيط مسبق.

فمثلاً يجد المرء المسلم أن الاهتمام بالجانب النظري أكثر من العملي، وفي تعليم الذكور أكثر من الإناث، وفي تعليم المدن على الأرياف. وهذا يدل على عدم وجود تكافؤ في الفرص التعليمية بل هو مفقود ولا يحظى بشيء من الاهتمام.

وثانياً: أن النظم التعليمية القائمة في العالم العربي عند ما أنشئت سارت على توفير الفرص التعليمية للأسواء دون المعقين إضافة إلى إهمال الموهوبين والنابغين وهذا عائد أيضاً إلى الإمكانيات المادية والبشرية، إضافة إلى أن هذه الأنظمة التعليمية مستوردة ولا تلبى حاجات المجتمع. (النجار، أزمة التعليم المعاصر، ١٤٠٠هـ، ص ٤٠).

ثالثاً: زيادة كلفة التعليم وانخفاض انتاجيته :

«دللت الدراسات التي قامت بها منظمة اليونسكو ومراكمز البحوث التربوية في بعض الدول العربية على ارتفاع كلفة التعليم متمثلة بما يصرف على كل تلميذ في كل مرحلة» (الراوي، ١٤٠٧هـ، ص ٥٢-٥٣).

ويعزى هذا الارتفاع في هذه الكلفة إلى ارتفاع نسبة التسرب والرسوب بين المتعلمين إضافة إلى رداءة الكفاية الداخلية لنظام التعليم مما أدى إلى نوعية غير جيدة في مخرجات هذا التعليم وعدم الانتفاع منه في مجال التنمية وخدمة المجتمع. (الراوي، ١٤٠٧هـ، ص ٥٣).

١١ - الإغراق في الجانب النظري دون العملي:

«الصفة الغالبة على التعليم في الدول العربية هي الناحية النظرية الأكادémية». (الراوي، ١٤٠٧هـ، ص ٥٤). فمن أهم ملامح الحركة التربوية في العالم العربي أن الدول سعت بخطى حثيثة إلى تحقيق العدالة الاجتماعية في توفير فرص التعليم قدر الاستطاعة ل مختلف فئات المجتمع حرصاً منها على إزالة الأمية ومحوها وإيجاد قاعدة عريضة من التعليم، وكان توفير التعليم بالمجانى من أهم الدوافع التي جعلت الأطفال يقبلون عليه بشغف ونهم بأعداد كبيرة.

وهذا الإقبال لم يكن مخططا له من قبل الجهات المختصة مما أدى إلى انحصاره في الجانب النظري غالبا دون العملي، وذلك نظرا للظروف السائدة في العالم العربي التي تنظر إلى العملي نظرة احتقار وازدراء واستهجان، وكان لهذه النظرة آثار عكسية على نفوس الناشئة، كما أن للعائلة دورا كبيرا في ترسيخ هذه النظرة، ولهذا لم يحظ التعليم المهني باهتمام كبير في المناهج الدراسية في العالم العربي على الرغم من أنه هو الذي أوصل دول الغرب إلى مرافق الصعود وجعلها تتصدر القيادة العالمية وهذا الجانب ما زال ينظر إليه على أنه تعليم وضعيف لا ربط له بالعمل اليدوي. (سمعان، دراسات في التربية المقارنة، ١٣٩٤هـ، ص ٢٥٩-٢٦٠).

١٢- قصور التخطيط للتعليم في العالم العربي:

هذا القصور أساسه قائم على قصور التخطيط التربوي وأن المناهج الدراسية في العالم العربي غالبا إما مقتبسة أو منقولة من مجتمع أو بيئة غير البيئة الإسلامية. (النجار، ١٤٠٠هـ، ص ٤٧). ولم تقم على أساس متين أو وسائل دقيقة بل هي قائمة على الارتجالية والعنوائية. (الراوي، دراسات حول التربية في البلاد العربية، ١٤٠٧هـ، ص ٥٤)، (الشريف وأخرون، استراتيجية تطوير التربية العربية، ١٤٠٠هـ، ص ١٥٩-١٦٢).

إن السمات التي مر ذكر بعضها مثل: فقدان التوازن في الخدمات التعليمية التي تقدم للمواطنين، وفي تفضيل الجانب النظري على العملي، كل هذه وغيرها ناتج عن سوء التخطيط. فأنظمة التعليم في العالم العربي كما مر هنا سابقاً أنظمة مرتبطة أو مستوردة من خارج بيئته وهي وبالتالي غير معتمدة على الواقع.

ذلك أن عدم وجود فلسفة واضحة وقصور التخطيط أديا إلى تخبّط العملية التعليمية وسبب هذا أيضاً قصور في الكفاءات البشرية والبيانات الإحصائية الدقيقة إضافة إلى ضحالة الموارد الاقتصادية التي تشكل عصب الحياة وشريانها الرئيسي وعمودها الفقرى.

إن التخطيط في العالم العربي تخطيط مجزأ ومفكك وليس وحدة متكاملة وكياناً متكاملاً مترابطاً فالخطط للتربية والتعليم لا ينظر إليها في ضوء التخطيط الشامل للدولة، وهذه النظرة الجزئية أدت إلى فشل الخطط التعليمية في العالم العربي. ولهذا ينبغي للمخططين أن يراعوا التخطيط الشامل بحيث تكون التربية جزءاً

من هذا التخطيط لا شيئاً منفصلاً قائماً بذاته . (عبد، الـايديولوجيا والـتربيـة، ١٤٠٠هـ، ص ٤١٣-٤١٤) .

بعد الانتهاء من ذكر السمات العامة للـتـعلـيم في العالم العربي غالباً ماذا يتوقع المرء أن يكون عليه حال الأمة؟

هل يمكن النهوض بها وهي في هذا المستوى المتردي؟

وهل يمكن بناء الإنسان المسلم الكامل بهذه الصورة؟

وهل يمكن إيجاد معلم يقود العملية التعليمية بصورة ناجحة؟

وكيف ستكون مستخرجات التعليم إذا استمر الحال على هذه الصورة؟

يسـتطـيع الإـنسـانـ المـسـلمـ أـنـ يـخـرـجـ بـتـائـجـ مـعـيـنـةـ مـنـ خـلـالـ تـفـحـصـهـ السـمـاتـ

الـعـامـةـ لـلـنـظـامـ الـتـعـلـيمـيـ فـيـ العـالـمـ الـعـربـيـ وـهـيـ :

أ - افتقاره مصدر الـهـدـاـيـةـ .

ب - افتقاره معرفة الغـاـيـةـ الـعـلـىـ مـنـ الـتـعـلـيمـ .

ج - تعدد المـشـارـبـ وـالـثـقـافـةـ وـعـدـمـ توـحدـهاـ .

د - إـهمـالـ السـيـاسـةـ الـتـعـلـيمـيـ غـالـبـاـ الجـانـبـ الـعـمـليـ الـذـيـ لـمـ يـنـظـرـ إـلـيـهـ إـلـاـ نـظـرـ اـحـتـقارـ واـزـدـرـاءـ وـهـنـاـ عـجـزـتـ الـأـنـظـمـةـ التـرـبـوـيـةـ عـنـ إـيجـادـ الإـنـسـانـ الـمـسـلمـ الـقـادـرـ عـلـىـ مـواـجـهـةـ التـحـديـاتـ وـالتـغلـبـ عـلـيـهـاـ .

ه - وـقـيـامـ هـذـهـ الـأـنـظـمـةـ عـلـىـ الـاـرـجـالـيـةـ وـالـعـشـوـائـيـةـ وـلـأـنـهـاـ أـنـظـمـةـ مـسـتـورـدـةـ وـهـذـاـ أـدـىـ إـلـىـ عـدـمـ وـضـوحـ الرـؤـيـةـ وـغـمـوـضـ الـفـكـرـةـ لـدـىـ مـنـ يـتـصـدـرـ لـلـقـيـادـةـ وـالـزـعـامـةـ،ـ وـلـأـنـ وـاـضـعـيـ هـذـهـ السـيـاسـةـ باـعـهـمـ فـيـ الـثـقـافـةـ الـإـسـلـامـيـةـ ضـئـيلـ وـلـهـذـاـ جـاءـتـ تصـوـراتـهـمـ لـلـسـيـاسـةـ الـتـعـلـيمـيـةـ مشـوـشـةـ وـغـيرـ وـاـضـحـةـ فـفـاقـدـ الشـيـءـ لـاـ يـعـطـيهـ .

ثانياً: وـاقـعـ مـسـتـخـرـجـاتـ التـرـبـيـةـ وـالـتـعـلـيمـ فـيـ الـعـالـمـ الـعـربـيـ:

قبل أن يتـناـولـ الـبـاحـثـ الـجهـودـ الـفـرـديـ وـالـجـمـاعـيـةـ لـإـصـلاحـ مـيـدانـ التـرـبـيـةـ وـالـتـعـلـيمـ وـالـذـيـ سـيـخـصـ لـهـ فـصـلـ مـسـتـقلـ لـاـحـقـ يـوـدـ أـنـ يـرـجـعـ عـلـىـ مـسـتـخـرـجـاتـ هـذـهـ التـعـلـيمـ الـنـحـرـفـ الـذـيـ تـبـنـاهـ الـعـالـمـ الـعـربـيـ وـإـعـطـاءـ فـكـرـةـ مـخـتـصـرـةـ عـنـ هـذـهـ مـسـتـخـرـجـاتـ؛ـ لـأـنـ الـأـجيـالـ تـكـوـنـ كـمـاـ تـكـوـنـ مـنـاهـجـهـاـ الـتـعـلـيمـيـةـ وـالـتـرـبـيـةـ وـلـتـؤـكـدـ هـذـهـ الصـورـةـ عـنـ هـذـهـ

الخرجات مدى الحاجة إلى إصلاح جذري لهذا الميدان المهم في حياة الأفراد والمجتمعات والأمم.

دللت الدراسات التي قامت بها منظمة "اليونسكو" ومراكز البحوث التربوية على رداءة الكفاية الخارجية والداخلية للنظام التربوي القائم في العالم العربي، وعدم الانتفاع منه في مجال التنمية وخدمة المجتمع. (الراوي، دراسات حول التربية في البلاد العربية، ١٤٠٧هـ، ص ٥٣-٥٢). (الشريف وأخرون، استراتيجية تطوير التربية العربية، ١٤٠٠هـ، ص ١٥٥).

يعزو "الراوي" (١٤٠٧هـ) رداءة هذا النظام التربوي القائم في العالم العربي إلى أن هذه «الأنظمة التعليمية القائمة في الدول العربية على العموم أنظمة أجنبية مستوردة غربية ومعزولة عن أرض الوطن ومتطلباته» (ص ٥٠). ويستمر قائلاً: بأن فيها كثيراً «من السلبيات تحتاج إلى إصلاح، بل تغيير في جوهرها . . . فلسفه ومحفوبي وأهدافها وطرائق». (ص ١٢٢).

وفي عدم كفاية هذا النظام الخارجية والداخلية يؤكّد "الفاروقى" (١٤٠٤هـ) هذه الرداءة ويعزوها إلى قيام النظام التربوي القائم في العالم العربي والإسلامي على أسس غير علمية، وكان ارتجالياً منقولاً من غير بيته، وبالتالي غابت الرؤية الواضحة في السياسة التعليمية، وغياب هذه الرؤية أدى إلى فشل النظام التعليمي وفشل انعکس على مخرجاته. (أسلمة المعرفة. ص ٢٩-٣٠).

وهذا يعني أن النظم التربوية في العالم العربي والإسلامي غالباً هي امتداد للنظم الغربية. (الفرحان وأخرون، نحو صياغة إسلامية لمناهج التربية، ١٤٠٤هـ، ص ٦-٥).
ويعني هذا أيضاً «في التحليل الأخير غياب سياسة تعليمية واضحة ومحددة» (بدران، سياسة التعليم في الوطن العربي، ١٤١٤هـ، ص ٥).

إن ضعف الكفاية الخارجية للنظام التربوي القائم في العالم العربي والإسلامي لم يكن مقتضاً على الفترة التي أحتل فيها المستعمر البلاد العربية والإسلامية، بل إن هذا الضعف ظل مستمراً حتى عصرنا الحاضر، وفي هذا يؤكّد "عباسي مدنى" (١٤١٠هـ) بأن الإصلاحات التربوية القائمة في العالم العربي «قد عجزت عن تقديم الحلول العلمية السليمة لأزمته التربوية» (النوعية التربوية في المراحل التعليمية في البلاد العربية، ١٤١١هـ).

ويستمر في تحديد أسباب العجز قائلاً إنها «إصلاحات لم تعتمد الأصول الإسلامية الثابتة منطلق لها، بل استهدفت دائمًا اللحاق بالنظم التربوية العالمية وخاصة المتقدمة منها ناسية الفروق الجوهرية بين تلك التربيات وبين روح التربية الإسلامية التي تقوم أساساً على نظرية تربوية مختلفة» (ص ١٤١).

ويتساءل "عباسي مدني" (١٤٠٩هـ) متعجباً من هذا الوضع المتردي والذي تمثل في ضعف المخريجين من المؤسسة التربوية في العالم العربي عن أسباب هذا الضعف مؤكداً أن التربية الإسلامية التي أنجبت أعلاماً كباراً خلدهم التاريخ مثل: الشافعي ومالك وغيرهما -ليست عاجزة عن انجاب غيرهم وإنما انعكس الأمر حيث أصبح يستهان بهذه التربية الإسلامية واستبدلت ب التربية أخرى وبعد ما تكون عن حقيقة هذه الأمة وثقافتها وحضارتها؟ ويستمر في تساؤله ليؤكد أن هذا الوضع القائم وضعف الكفاية الخارجية للنظام التربوي في العالم العربي والإسلامي هي الخطة الإصلاحية التي كان يسعى إليها أعداء الإسلام والتي تعرضت لها الأمة الإسلامية وعلى ضوئها تمت الإصلاحات التربوية الحديثة». (مشكلات تربوية في البلاد الإسلامية، ص ٣٠-٣١).

وفي الإطار نفسه أي رداءة الكفاية الخارجية للنظام التربوي يرى "أقلانية" (١٤١٣هـ) أنه ينبغي الإهتمام بمدخلات ومخرجات التعليم وهو هذا الإنسان الذي كرمه الله من فوق سبع سموات. لا بد من العناية به وترقية قلبه وعقله؛ لأن «أى خطأ أو خلل أو عجز أو تقصير سوف تكون له نتائجة المتعددة والمترابطة على المستويات كلها». (النظم التعليمية عند المحدثين في القرون الثلاثة الأولى، كتاب الأمة ٣٤)، ص ١١.

ويقدم "أقلانية" (١٤١٣هـ) رسوماً فنية وصوراً تعبيرية عن مخرجات هذا التعليم فيقول: إن «من أخطر إصابات العملية التعليمية أو نظم التعليم في عالم المسلمين اليوم هو في إنتاج شخصيات مشوهة متناقضة، ممزقة تعيش صراعاً وانشطاراً ثقافياً لا ينتهي، نتيجة لتناقض الموارد التعليمية واضطراـب فلسفة التعليم». (ص ٢٣).

لقد صدق "أقلانية" (١٤١٣هـ) في مقولته السابقة فالتعليم كالحامض يذيب شخصية الكائن الحي ويصبغها كيف يشاء، ولهذا يلمس المسلم أن الشكوى من

مستخرجات هذا التعليم ما زالت تتفاعل يوماً بعد يوم فيها هي مجلة "المجتمع" الكويتية الصادرة في جمادي الأولى عام ١٤١٥هـ، تفتتح المجلة بعنوان "التغيير والهدم في مناهج التعليم" مؤكدة على أن مناهجنا التربوية فشلت في إيجاد المسلم قادر على مواجهة التحديات بل جعلت منه شخصية سلبية، وبدأ هذا النظام التربوي القائم في العالم العربي يعطيانا صورة متردية عن الأفواج المتعاقبة من مستخرجات الجهاز التعليمي والتي تراجع مستوياتها بمرور الزمن؛ لأنها فاقدة للتصور الإسلامي في معظمها وهي مقتبسة من مناهج دراسية غربية وعربية أخفقت في الحفاظ على عنصر الأصالة. (ص ٥).

وتؤكدنا لسوء مستخرجات هذا التعليم يقدم الباحث هنا نماذج من الدعوات الهدامة التي تبناها بعض من تعلم في مدارس أجنبية أو تلقى تعليمه خارج بلاده أو تعلم في مدارس حديثة في العالم العربي والإسلامي أنشئت على النمط الغربي، والتي كانت مناهجها مستعارة من نظم أجنبية، ومن هذه الدعوات الهدامة التي تبناها بعض المتخريجين ما يلي :-

- ١- الدعوة إلى الارتماء في أحضان الغرب وأخذ حضارته دونوعي ولا تمييز.
- ٢- احتقار الماضي الإسلامي وتربية الأجيال تربية علمانية.
- ٣- العمل على تطوير المعاهد الدينية كما حدث في الأزهر حيث تم تطويقه للتربية الحديثة.
- ٤- مهاجمة اللغة العربية والدعوة إلى العامية.
- ٥- اقتباس الأنظمة والمناهج غير الدينية من الغرب.
- ٦- استيراد المذاهب غير الدينية في الأدب والفكر. (المصري، حاضر العالم الإسلامي، ١٤٠٩هـ، ١٨٠-٢٦٠).

وإذا كان هذا الواقع التربوي القائم في العالم العربي والإسلامي غالباً بهذه الصورة المتردية ومستخرجاته رديئة وهشة بل وضارة «فقد اشتدت حاجة الأمة الإسلامية إلى نظام تربوي يتاسب مع واقعها ومثلها الأعلى وعقيدتها وصراعها لاسترداد مجدها». (النحلاوي، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، ١٤٠٢هـ، ص ٣).

ومن هنا يجد المسلم أنه لم يخل عصر من العصور من وجود مصلحين ومجددين، ودعوات إصلاحية كانت تستهدف تصحيح المفاهيم والتصورات الخاطئة السائدة بين المسلمين وإنها ضمهم من الجمود والتخلف الذي حل بهم.

وفيما يلي من الصفحات سيقدم الباحث ثناذج مجملة ولحة خاطفة عن بعض الجهود الفردية والجماعية لاصلاح الميدان التربوي من بعض المصلحين التربويين الذي قدموا خدمات جليلة في هذا الميدان.

الفصل الرابع

الجهود الفردية والجماعية للاصلاح التربوية والتحفيز في العالم العربي

**أولاً - الجهد الفردي للاصلاح
التربوية والتعليم**

**ثانياً - الجهد الجماعي للاصلاح
التربوية والتعليم**

أولاً:

الجهود الفردية لصلاح التربية التعليم في العالم العربي.

- تمهيد.

- أ - منذ عصر الإزدهار حتى العصر الحديث.
- ب - في العصر الحديث.
- ج - في القرن الرابع عشر الهجري.

تمهيد:

هناك حقيقة واقعية لا ينكرها أحد وهي : أن كل مسلم في تخصصه يحاول أن يتقنها أيا اتقان ؛ لأن الاتقان جانب سلوكي يحبه الله سبحانه وتعالى ، ومن الاتقان في العمل محاولة إصلاح الخلل الطارئ في الفن الذي يتقنه الإنسان المسلم ، ولهذا يجد المسلم أن العلماء الأوائل كان كل واحد منهم يعتبر نفسه مسؤولاً عن هذا مسؤولية كاملة ، وكان كل واحد منهم أيضاً يقدم من علمه ما يدحض الخلل الطارئ ويوضح وجه الصواب ، وهذا مبدأ إسلامي وواجب ديني يليه عليه عقيدته الإسلامية .

وفي الميدان التربوي هناك أعلام كبار وكواكب منيرة من العلماء الذين اسهموا بفكرهم وجهدهم في إصلاح التربية والتعليم وضحوا بوقتهم في سبيل ترقية هذا الميدان إلى الصورة المثلثي .

ولم يخل عصر من العصور من وجود مثل هؤلاء وسيقدم الباحث هنا إشارات خاطفة إلى بعضهم ليؤكد على أن الإصلاحات التربوية ليست حديثة العهد بل هي تمتدى في أعماق التاريخ .

أ - منذ عصر الازدهار حتى العصر الحديث:

فالتاريخ مليء بالمصلحين والمجددين ، وليس من مهمات هذا البحث استقصاؤهم والبحث عنهم ، وإنما سيمر مرور الكرام على ذكر بعضهم ؛ لأن الهدف من ذلك إعطاء إشارات خاطفة عنهم والتأكيد على أن الإصلاح لم ينقطع في فترات التاريخ وما زال مستمراً حتى العصر الحاضر وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

في بالرجوع إلى القرن الخامس الهجري يجد المسلم أن "أبا حامد الغزالى" قدم جهوداً جبارة في هذا الميدان ، وقام بإصلاحات متعددة وفي ميادين كثيرة ، ومنها : الميدان التربوي الذي قدم فيه منهاجاً جديداً دعا فيه إلى محاربة التيارات الفكرية المنحرفة وعمل على إيجاد جيل جديد من العلماء .

وكانت ميادين المناهج عنده تتناول بناء الجانب العقدي ، وقد ألف كتاباً لهذا الجانب . منها : المقصد الأنسى شرح أسماء الله الحسنى ، وكتاب الحكم من مخلوقات الله ، وتناول الميدان الثاني تزكية النفس التي تستهدف الارتقاء بالنفس عن طريق الابتعاد عن المعاصي ومارسة الطاعات والعبادات ومن كتبه التي ألفها في هذا

الميدان : إحياء علوم الدين .

ثم كان الميدان الثالث منصبا على دراسة القرآن الكريم وما اشتمل عليه من مبادئ وقيم ، ولم يقتصر الغزالى على هذا بل اهتم بالجانب الوظيفي وإعداد الإنسان للدارين .

وفي ميدان إصلاح التربية والتعليم أيضا هناك "ابن تيمية" الذي كان له نصيب الأسد في هذه الإصلاحات ، فليس هناك ميدان من الميادين إلا وقد بُرِزَ فيه ، ولا علم من العلوم إلا ونبغ فيه ، فرد على الجهمية والمعطلة والقدرية والمتفلسبة والمناطقة وكانت التربية عنده تهدف إلى إيجاد الفرد المسلم ومن ثم إخراج الأمة المسلمة ، وأكَّد على تكامل العلوم العقلية والنقلية وانتقد التيارات المنحرفة والمدارس المعاصرة له ، وما زالت جهود المصلحين الفردية تتواتى قرنا بعد قرن لإصلاح التعليم في البلاد الإسلامية حتى مطلع العصر الحديث .

ب - وفي العصر الحديث :

ظلت الإصلاحات التربوية تترى على مدار التاريخ فلم تنقطع أو ينطفئ نورها بل ازدادت جذوة واشتعالاً وحيوية وعطاء لها هو " محمد بن علي الشوکانی " المتوفى عام ١٢٥٠ هـ ، ومن إسهاماته في الميدان التربوي أنه حث على الاهتمام بالتوجيه المهني وإعداد متعلمين ذوي كفاءات عالية حتى تستغني الأمة الإسلامية عن غيرها بأبنائها . ليس هذا فحسب بل هو يدعو إلى التخصص وأخذ حقائق كل فن من أهله مراعاة الذوق الفردية بين المتعلمين ولم يستنكر أن تظهر علوم جديدة في ميادين مختلفة ، ولهذا نصح المتعلِّم بدراسة هذه العلوم . (مُقبل ، محمد علي الشوکانی وجهوده التربوية ، ١٤٠٩ هـ ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣) ويقدم منهاجاً جديداً في التربية والتعليم ويصنف المتعلمين إلى أربع فئات ويضع لكل فئة منهاجاً خاصاً بها . فالشاعر والفيلسوف والمنشئ والطبيب كلهم لهم منهاج معين وكل واحد منهم يلبِّي حاجات المجتمع في عصره .

ومن الجدير بالذكر أن الإمام " محمد بن علي الشوکانی " جعل الكتاب والسنة هما الأساس والمصدر في بناء المنهج ، وكانت الخطوط العريضة للمنهج المقترن الذي قدمه الشوکانی تمثل في الاهتمام بالعلوم الدينية والعقلية معاً وتنوع القاعدة التعليمية والاهتمام بالتوجيه المهني وبالكتاب المدرسي والتخصصي . (مُقبل ، محمد بن علي الشوکانی وجهوده التربوية ، ١٤٠٩ هـ ، ص ١٨٥ - ٢٢٦).

وفي المسار نفسه كان للشاعر "محمد إقبال" نظرية ثاقبة إلى التربية الحديثة فلم يقبلها على علاتها بل قام بنقدتها ورأى فيها موضوعات ضعف كثيرة وجوانب نقص عظيمة فوجه الأنذار إلى سلبيات هذه التربية ومخاطرها على الأجيال وحذر من جنایات المدرسة الحديثة على الناشئة إذ هي تهتم بعقل الإنسان وتهمل قلبه وتعتبر أشد فتكا بالآفوس من أي سلاح آخر إذ تستطيع التربية أن تحول جيلا شامخا إلى كومة تراب . (الندوي، ١٣٩٦هـ، ٢٩-٥٦).

ج - وفي القرن الرابع عشر الهجري:

برز في هذا القرن مصلحون كثيرون ليس المجال حصرهم هنا، وإنما سيعرج الباحث على ذكر بعضهم، ومنهم على سبيل المثال:

١ - "أبو الحسن الندوی" ، (١٣٩٦هـ) الذي بذل جهدا كبيرا في إصلاح ميدان التربية والتعليم ووصف حال العالم الإسلامي في هذا الميدان بأنه ألقى بنفسه في أحضان الغرب وتقبل منه نظمه التعليمية وتصورها للإنسان والحياة والكون كما يلقى الطفل الصغير بنفسه في أحضان مربٍ كبير . (نحو التربية الإسلامية ، ص ٩).

٢ - الأمير "شكيب أرسلان" (١٣٤٨هـ) الذي حذر من تدهور الأوضاع التعليمية واعتبرها أزمة حقيقة لتخلف العالم العربي والإسلامي ، وأن التعليم الحديث لا يتلاءم مع العالم العربي والإسلامي . (الأزمة الحقيقة الحاضرة في الإسلام هي أزمة التعليم ، ص ٣٥-٤١).

٣ - الشیخ "عبد الرحمن بن ناصر السعدي" (١٤١١هـ) الذي يرى أن أعظم «أركان التربية النافعة إصلاح التعليم والاعتناء بالمدارس العلمية . . . فإن كثيرا من المدارس الآن التعليم فيها قاصر جدا». (جهاد الأعداء ووجوب التعاون بين المسلمين ، ص ٢٨-٢٩).

٤ - أما الشیخ "محمد المبارك" (١٤٠٠هـ) فيشخص الأزمة الحقيقة الحاضرة قائلا : «إن أعظم قضية تواجه العالم الإسلامي اليوم هي مشكلة التعليم الحديث غير الإسلامي في أسسه وفلسفته الجاثم على جميع البلاد الإسلامية وتحوبله مع الإبقاء على محاسنه ومكاسبه إلى نظام إسلامي الأسس والصبغة والأهداف». (بين الثقافتين الغربية والإسلامية ، ص ٥١).

٥- وينوه "عمر بن سليمان الأشقر" (١٤١٤هـ) بأن أعظم مهمة يجب أن يسعى إلى تحقيقها هي في «إعادة التعليم في ديار المسلمين إلى حضيرة الإسلام بعد أن أبعد عنها دهرا طويلا». (أسلام التعليم في ديار المسلمين، ص ٥).

٦- كما أن "زغلول بن راغب النجاشي" (١٤٠٠هـ) شخص أزمة التعليم في كتابه "أزمة التعليم المعاصر" في أنها تمثل «في غياب المنهج الإسلامي للتربية بصفة عامة، وفي غيابه من الدول الإسلامية بصفة خاصة» (٩٥). ويستطرد قائلاً: إننا «اتبعنا نظماً تربوية غربية علينا وعلى عقيدتنا وفكرنا» (ص ٩٦).

٧-ويرى "عباسي مدنی" (١٤٠٩هـ) أن الأمة الإسلامية صنعت كما صنع بنو إسرائيل عند ما خاطبهم الله بقوله: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ (البقرة: ٦١). والأمة الإسلامية استهانت بالتربية الإسلامية واستبدلتها بتربية «أبعد ما تكون عن حقيقة هذه الأمة وعن شخصيتها وثقافتها وحضارتها» (مشكلات تربوية في البلاد الإسلامية، ص ٣٠).

لقد قامت دعوات إصلاحية تجديدية ولكنها اختلفت من عالم إلى آخر، من حيث الأولويات التي ينبغي الاهتمام بها، وهذا عائد إلى الأفهام والقراءح والثقافة التي تشربها كل منهم.

فبعضهم يرى أن تصحيح العقائد والمفاهيم الدينية هو الطريق الصحيح لإصلاح حياة المسلمين الاجتماعية والسياسية والتربوية، وبعضهم اهتم بحياة المسلمين العلمية وضعفهم وخضوعهم للمستعمر وأرتأى أن الضعف هو أصل الداء، وأن السبيل لإصلاح هذا الجانب يكون في وحدة المسلمين، وبعضهم أكد على أي تخلف يحدث للMuslimين أصله الابتعاد عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

لأنه لا أحد ينكر بأنه «كان لهؤلاء جميعاً وأمثالهم أثر واضح في تغيير بعض معالم التعليم الإسلامي الأصيل وأحيائه وتجديده، وإصلاح بعض نواحيه». (المبارك، بين الثقافتين الغربية والإسلامية، ١٤٠٠هـ، ص ٣٩ - ٤٠).

إن الإصلاحات التربوية الفردية ليست مرادفة للانغلاق والإنكفاء على الذات، وعدم الاستفادة من الحضارات المعاصرة، فالتغيير المطلوب «الذي نقبل به في المجتمع المسلم هو الذي يؤدي إلى قوة المجتمع الإسلامي، لا التغيير الذي يجعله نسخة مكررة

عن المجتمعات الغربية». (عبد الله، المنهج الدراسي أنسسه وصلته بالنظرية التربوية الإسلامية، ١٤٠٦هـ، ص ٢٠٥).

فأول واجبات المنهج الدراسي «أن يقوم الآراء الوافدة وأن يخضعها للمراقبة وليس كل جديد مستساغا» (عبد الله، ١٤٠٦هـ، ص ٢٠٢).

إن الإصلاحات الفردية لميدان التربية غالباً تدعو إلى تأصيل التعليم في البلاد العربية والإسلامية من حيث الأهداف والمحظى وهذه الدعوة إلى تأصيل التعليم ليست مرادفة لانغلاق والتقوّع، إنها باختصار «تعني فرز المبادئ والاتجاهات التي تتعارض مع هذا التصور الإسلامي، أما العناصر الأخرى التي لا تتعارض مع هذا التصور، فيمكن الاستعانة بها، ويصبح واجب المربّي المسلم ربط العناصر الوافدة مع الأصيلة كي تلتئم جمیعاً في عقد واحد، فلا مانع إذن من الاستفادة من تجارب الأمم الأخرى في مجالات التربية المتعددة شريطة، أن نلتزم الضوابط الضرورية للمحافظة على شخصيتنا المتميزة، أما عند ما لا يلتزم المربّي بهذه الضوابط ويتبنى أفكاراً واتجاهات ضارة بقيم مجتمعه، فإنه يصبح ذا عقل أسير وتقليل الفكر الغربي دونما تحيص دلالة واضحة على ضعف الشخصية وانحرافها أمام التيارات الدخيلة، والمربّي المسلم مطالب بأن يكون قوياً في فكره، لأن المسلم القوي أحب إلى الله من المسلم الضعيف» (عبد الله، دراسات في الفكر التربوي الإسلامي، ١٤٠٨هـ، ص ٥٠-٥١).

هذه نماذج من الجهود الفردية في الدعوة إلى إصلاح ميدان التربية والتعليم والإلزام بالباحث يستقصي كل ما قيل عن هذا الميدان لاحتاج إلى سفر ضخم، لكنه اكتفى بهذا النموذج ليؤكد أن الجهود الفردية لم تقطع ولكنها لم تجد قبولاً لدى دولها غالباً.

ثانياً: الجهود الجماعية لإصلاح التربية التعليم في العالم العربي.

- تمهيد.
- أ - منذ العصور الإسلامية الأولى حتى العصر الحديث.
- ب - في العصر الحديث.
- ج - في القرن الرابع عشر الهجري.
- ١ - جهود تملك تصوراً صحيحاً عن الإنسان والكون والحياة والألوهية.
- ٢ - جهود تملك تصوراً صحيحاً عن الإنسان والكون والحياة والألوهية وجمعت بين الجانب النظري والعملي.
- ٣ - جهود جماعية فاقدة للتصور الإسلامي.
 - (١) منظمات دولية.
 - (٢) جهود عالمية.
 - (٣) جهود عربية. (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم)
 - (أ) التعريف بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
 - (ب) أهداف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ووسائل عملها.
 - (ج) مجالات عمل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وأهم ميادينها وأنجازاتها في كل ميدان.
 - (د) توارikh انضمام الدول العربية إلى هذه المنظمة.
 - (هـ) علاقات التعاون بين المنظمة والمنظمات الأخرى.
 - (و) استراتيجية تطوير التربية العربية.
 - (ز) المراحل التي مرت بها الاستراتيجية.
 - (ح) الخطوط الرئيسية لاستراتيجية تطوير التربية العربية.

- (٤) الاستراتيجية في عيون معاصرتها.
- (٥) من إيجابيات الاستراتيجية.
- (٦) بعض السلبيات الواردة في الاستراتيجية.
- (٧) المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الاستراتيجية.

- تمهيد

استطاع الباحث بعد تبعه لهذه الجهود أن يقسمها إلى :

- ١- جهود تمتلك تصوراً صحيحاً عن الإنسان والكون والحياة واللوهية ولكنها اكتفت بالجانب النظري فقط، أي: أن هذه الجهود انطلقت من العقيدة الإسلامية فجاءت تصوراتها واضحة عن الإنسان والكون واللوهية؛ لأن منطلقاتها خلت من مخالفة العقيدة الإسلامية غالباً.
- ٢- جهود لا تمتلك تصوراً صحيحاً عن الإنسان والكون والحياة واللوهية.
- ٣- جهود تمتلك تصوراً صحيحاً عن الإنسان والكون والحياة واللوهية وتمكنـت من الجمع بين الجانب النظري والعملي معاً. وسيقتصر الباحث على تقديم إشارات خاطفة عن هذه الجهود منذ صدر الإسلام حتى القرن الرابع عشر الهجري الذي سيكون الحديث عنه فيه نوع من التوسيع عن هذه الأقسام كلها مكتفياً هنا بالحديث عن القسمين الآخرين فقط.

أ- منذ العصور الإسلامية الأولى حتى العصر الحديث.

إذا استقرأ المسلم التاريخ التربوي يجد أن الجهود الجماعية لا تخرج عن التصنيف الآنف الذكر .

فهناك مجموعة تمتلك تصوراً صحيحاً عن الإنسان والكون والحياة واللوهية وأخرى لا تمتلك تصوراً عن هذه الأشياء .

فالمجموعة الأخيرة تمثل في بعض آراء علماء المسلمين التربوية ذلك أن هناك آراء صادرة عن بعضهم لا تمثل إلا وجهة نظرهم البشرية .

ولهذا يجد المرء تباعداً بين هؤلاء العلماء في المدارب والاتجاهات ولتأكيد هذه الحقيقة يقول "النحلاوي" (١٤٠٢هـ) في كتابه "التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة": «ذلك أن الذين بحثوا في النفس وتربيتها من علماء الإسلام أو مارسوا عملية التعليم، قد تفاوتت مشاربهم تفاوتاً كبيراً ما بين متسبعين بالفلسفة اليونانية، ومكافح غيور على عقيدة الأمة وكل منهم يمثل في آرائه التربوية أو أسلوبه التعليمي المشرب الذي صدر عنه». (ص ١٩).

ومن الأمثلة على هذه الجهود التي لا تمتلك تصوراً صحيحاً عن الإنسان والكون والحياة والألوهية بل هو فكر مشوش مختلط بغيره من الفلاسفة "إخوان الصفاء وخلان الوفاء" ، ففكيرهم مليء بالمفاهيم والتصورات الدخيلة «وفكر تربوي من هذا النوع يتعد كثيراً عن اليابس الإسلامية الصافية ودراسته على أنه مثال للفكر التربوي الإسلامي غير مقبول على أي حال». (عبد الله، المنهج الدراسي أنسه وصلته بالنظرية التربوية الإسلامية، ١٤٠٦هـ، ص ٨٠).

ومن الجهود الجماعية التي تمتلك تصوراً صحيحاً عن الإنسان والكون والحياة والألوهية وجمعت ما بين الجانب النظري والعملي ما قام به "نظام الملك" من إنشاء مدارس نموذجية للمسلمين في العصور الوسطى بحيث تمكن من إشاعة السنة النبوية في مختلف الأمصار التي كانت خاضعة للأيوبيين الذين حاربوا التيارات الفكرية المنحرفة من خلال إنشاء هذه المدارس التي أصبحت منارة يسترشد بها ويغترف وينهل من ينابيعها طلاب العلم والمعرفة على أيدي خيرة من المدرسين المؤهلين الذين يعملون فيها. (شلبي، التربية والتعليم في الفكر الإسلامي، ١٤١٣هـ، ص ١٢١-١٣٨).

وكذلك استطاعت المؤسسات التربوية التعليمية في عهد صلاح الدين الأيوبي أن تعد الشعب غالباً إعداد إسلامياً حيث كانت الصبغة الإسلامية بارزة في ميدان التربية والتعليم. (الكيلاني، تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، ١٤٠٥هـ، ٢١١-٢٥٧).

بــ وفي العصر الحديث:

لم تقطع الجهود الجماعية الخيرة في ميدان التربية والتعليم في أي عصر من العصور بل يقىض الله في كل عصر من ينافح عن دينه وبالتالي ظلت هذه الجهود الجماعية مثل العقد المتظم جوهراً تتلألأً.

لقد ظهرت حركات إصلاحية للنظام التربوي القائم في العالم الإسلامي في العصر الحديث «وكان أسرع ما تكون إلى الظهور وأقوى ما تكون في القارة الهندية، فقد أحدث علماء المسلمين في الهند تعديلات هامة في خطة الدراسة . . . وكان من رواد التجديد نظام الدين السهالوي المتوفي سنة ١١٦١هـ». (المبارك، بين الثقافتين الغربية والإسلامية، ١٤٠٠هـ، ص ٣٧).

ج - وفي القرن الرابع عشر الهجري :

في هذا القرن بالذات ظهرت حركات إصلاحية تجديدية للنظام التربوي القائم في العالم العربي والإسلامي خاصة وفي العالم كله عامة ، وهي حركات على هيئة ، منظمات دولية وإقليمية ومحليّة ، وفيما يلي توضيح لهذه الجهود .

١- جهود تمتلك تصوراً صحيحاً عن الإنسان والكون والحياة، والألوهية:

هذه الجهود اكتفت بالجانب النظري ، وسبب ظهور هذه الجهود هو أن كثيراً من رجال الأمة أدركوا الخطر « الذي يهددنا من جراء نظمنا التعليمية غير الأصيلة والتي تتنكر في معظمها لهويتنا الحضارية المتميزة تتجاهل الدور الذي ينبغي أن يؤديه التعليم في تربية أجيال إسلامية قادرة على حمل رسالة الله . . . وهذا الشعور السائد لدى الكثير من رجال الأمة والذي يمكن أن نجد شواهد وأدلة عليه من خلال المؤتمرات العالمية التربوية الإسلامية التي عقدت خلال العقود الماضيين بل ومن خلال الكثير من الدراسات والبحوث والكتابات التربوية التي عكست هذا التوجيه الإسلامي في التربية» . (النقيب ، التربية الإسلامية رسالة ومسيرة ، ١٤١١هـ ، ص ٥٦-٥٧) .

يتمثل هذا النوع في عقد المؤتمرات الإسلامية ، وإنشاء المراكز الخاصة بميدان التربية والتعليم وغيره ، ولهذا كان أول مؤتمر عالمي للتّعلم الإسلامي الذي انعقد في مكة المكرمة عام ١٣٩٧هـ ، ينصب على مجابهة الخطر الذي يهدد الأمة الإسلامية ، والمتمثل في إنقاذ العالم الإسلامي من نظام التعليم الغربي .

جاء في هذا المؤتمر ما نصه «يجب تدارك الكارثة التي تصيب العالم الإسلامي خاصة ، والعالم كله عامة ، وإنقاذ العالم الإسلامي من نظام التعليم الغربي القائم على اللادينية والمنفصل عن القيم الأخلاقية والدينية ، والقيام بمحاولة جادة ومخلصة لإعادة بناء النظام الأكمل الذي يستوعب التّقدم المادي والخلقي معاً ، ويشمل الدين والدنيا في تصور جامع وتركيب منسجم ، وهو نظام التعليم الإسلامي .

إن الغزو الغربي واكتساح نظام التعليم الغربي للبلاد الإسلامية أدى إلى عملية تهدم الإسلام ، وجميع المثل العليا ، والقيم التي بها يمكن أن يتقدم الإنسان ويسمو في حضارته في تقدم حقيقي مستمر ، ولا شك أنّ النظام التقليدي الموروث للتّعلم ليس هو النظام الإسلامي المثالى لما طرأ عليه خلال العصور من ضعف ونقص وانحراف

ولذلك فإنه في تراجع مستمر». (١٤٠٣هـ، ص ١٥-١٦).

إن العالم الإسلامي المعاصر يشهد صحوة قوية ويقطة فكرية في ميادين متعددة لإحياء الثقافة الإسلامية وتجديدها، وهذه الأعمال تقوم بها مؤسسات تربوية عالمية ومحليّة أوقفت نفسها لتصحيح مسار التربية الإسلامية في البلدان الإسلامية عن طريق عقد المؤتمرات والندوات لمناقشة قضايا تربوية واقتصادية واجتماعية، وإن انعقاد مثل هذه المؤتمرات لدليل أكيد على الوعي والشعور بتردى الأوضاع وتدھور التربية في العالم الإسلامي ، وهذا التدھور عائد إلى غياب المفهوم الصحيح للنظرية التربوية الإسلامية وغياب التطبيق لها.

إن هذه الجهود الجماعية التي تقدمها هذه المؤتمرات الإسلامية عندها تصور صحيح عن الإنسان والكون والحياة والألوهية ، وهي بالتالي تهتم بالجانب النظري لهذه الميادين ، وتهدف من خلال قيامها بهذه الندوات والمؤتمرات إلى حراسة الدين والعقيدة ومجابهة الأفكار والتحديات التي يسعى الأعداء من ورائها لتحقيق مآربهم وتقويت الفرصة عليهم للقضاء على الإسلام وأهله وإبعاد المسلم عن دينه وعقيدته . وتحقيقاً لهذه الأهداف النبيلة أنشئت في العالم العربي وغيره مراكز للتعليم الإسلامي ومنظomas إسلامية لتصحيح المفاهيم والتصورات والمبادئ الوافدة في مناهج التربية والتعليم ، ومنها :-

- المركز العالمي للتعليم الإسلامي ومقره بمكة المكرمة .
- المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم ومقرها الرباط - المغرب .
- المركز العالمي للفكر الإسلامي ومقره واشنطن .
- المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية ومقره عمان - الأردن .

٢:- جهود تمتلك تصوراً صحيحاً عن الإنسان والكون والحياة والألوهية:

جمعت هذه الجهود بين الجانب النظري والعملي معاً . مثال ذلك ما يلمسه المسلم من إنشاء مدارس إسلامية في مختلف العالم الإسلامي والعربي ، وهذه الجهود تعد نواة طيبة للاقتداء بها في إنشاء مدارس ماثلة لها في المحتوى والأهداف لا يجاد المسلم قادر على مواجهة التحديات المعاصرة .

وتعتبر هذه المدارس تكاملية حيث جمعت بين الجانب النظري والعملي معاً، وقد ظهرت هذه المدارس على الساحة الإسلامية في العصر الحاضر، ومنها: «مدارس المغارات الإسلامية بالسعودية، ومدارس الأقصى بالأردن، ومدارس جمعية المقاصد الإسلامية بليبيا، والمدرسة الإسلامية بـ «دبي» الإمارات العربية المتحدة، ومدارس لطائع الإسلامية بالقاهرة . . . وغيرها من المحاولات في الهند وباكستان». (النقيب، بحوث في التربية الإسلامية، الكتاب الخامس، ١٤٠٧هـ، ص ١٧-١٨).

وكل المدارس في المملكة العربية السعودية تمثل هذا التصور تمثيلاً واضحاً. وهناك اتحاد عالمي للمدارس العربية والإسلامية ومقره الرئيسي الرياض، «وله مكاتب في كل من جدة والقاهرة والخرطوم ولندن ونيويورك». (سليمان، نظم التعليم في العالم الإسلامي، ١٤٠٣هـ، ص ١١٥).

وله مؤسسات تعليمية وتربيوية يتكون منها الاتحاد، منها «ما يوجد بالبلدان العربية والإفريقية والآسيوية وبخاصة في السعودية ومصر والسودان والأردن ونيجيريا وجامبيا وباكستان والفلبين». (سليمان، ١٤٠٣هـ، ص ١١٥).

ومن الجهود الجماعية أيضاً ما قام به مجلس الجامعة المسلمة بعليكرة في عام ١٩٣٦م من «إصلاح الطريقة الناقصة لتعليم علوم الدين والإلهيات وضرورة بعث الروح الإسلامية الحقيقية في طلبة الجامعات». (المودودي، نحن والحضارة الغربية، ١٤٠٤هـ، ص ٢١٥-٢١٧).

وأصبحت الخطة التعليمية منطلقة من منطلقات إسلامية بعد أن كانت منحرفة. (المودودي، ١٤٠٤هـ، ص ٢٢٩-٣٠١).

٣- جهود جماعية فاقدة للتصور الإسلامي:

وهذه الجهود الجماعية على أنواع أيضاً، منها:-

(١) منظمات دولية تقوم بالإشراف على التربية والتعليم في أنحاء العالم ومنها العالم الغربي، مثل: منظمة "اليونسكو" التي مقرها بباريس. وهذه المنظمة قامت بجهود جبارة في تحديث العقل العربي، وتعتبر في رأي بعض المفكرين من أسباب نضج الفكر العربي الحديث.

لقد تبنت هذه المنظمة إصلاح ميدان التربية والتعليم في البلاد العربية، وهي تقدم

الإستشارات في هذا الميدان، وذلك من خلال المؤتمرات التي تقوم بعقدها والتي تهدف من وراء عقد هذه المؤتمرات إلى «دراسة مشكلات التربية في علاقتها بمشكلات التنمية ورسم سبل مواجهتها ووضع التوصيات الازمة لحلها». (عبدالدائم، التربية في البلاد العربية، ١٤٠٤هـ، ص ٤٠٩).

وتعتبر هذه المنظمة الرافد الوحيد للعالم العربي في رسم صورة التربية العربية المستقبلية، ومنها استقى محررو الاستراتيجية أفكارهم ومبادئهم وتصوراتهم وقدموا «استراتيجية تطوير التربية العربية» للوطن العربي ليشير على منوالها وسيأتي مزيد إيضاح عنها في ثنايا هذه الدراسة.

(٢) ومن هذه الجهود الجماعية جهود عالمية إصلاحية تطرقت إلى إصلاح ميدان التربية والتعليم مما يؤكد أن إصلاح التربية والتعليم إصلاح عالمي وليس مقتضرا على دولة معينة.

وقد قدم مكتب التربية العربي لدول الخليج نماذج عالمية في هذا الميدان وقام بترجمتها إلى اللغة العربية للاستفادة منها فيما يضر ومن هذه المؤلفات ما يلي :

- التربية في اليابان المعاصرة (١٤٠٦هـ).
- تعليم المواطن الأمريكي من أجل المستقبل ومتطلبات القرن الحادي والعشرين (١٤٠٧هـ).
- تطور التربية في الصين (١٤٠٨هـ).
- التقاليد الراسخة طريق الانطلاق إلى المستقبل . . . التعليم العالي في جمهورية ألمانيا الاتحادية (١٤٠٨هـ).
- التربية في ألمانيا الغربية نزوع نحو التفوق والامتياز . (١٤٠٨هـ).
- الإصلاح التربوي في الولايات المتحدة الأمريكية (١٤٠٨هـ).
- أمة معرضة للخطر - حول حتمية إصلاح التعليم في أمريكا، ترجمة وعرض د/ يوسف عبد المعطي (١٤٠٦هـ).

(٣) ومن هذه الجهود الجماعية جهود عربية لا تمتلك تصوراً صحيحاً عن الإنسان والكون والحياة والألوهية، ودخلت هذا الميدان بغير سلاح وتمثلت هذه الجهود

في قيام مؤتمرات كثيرة من أجل النهوض بميدان التربية والتعليم لتدارك القصور الحاصل فيه. وقامت بهذه المهمة "المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم" والتي تنبت "استراتيجية تطوير التربية العربية" بعد أن لمست تدني النظام التربوي في العالم العربي وقبل ذلك : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم كانت "الإدارة الثقافية" بجامعة الدول العربية تقوم بهذه المهمة، وسيأتي مزيد تفصيل عنهما وخاصة "المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم" والذي يقوم الباحث بنقد الاستراتيجية التي قدمتها للعالم العربي .

ومن هذه المؤتمرات على سبيل المثال لا الحصر المؤتمر الثالث لوزراء التربية والتعليم العربي الذي انعقد في الكويت في شهر فبراير عام ١٩٦٨م ، والذي جاء في تقرير هذا المؤتمر ما نصه :

«إن المؤتمر وهو يعيid النظر في تربية الفرد العربي بعد كارثة الخامس من حزيران "يونيو" ليؤمن أننا بحاجة إلى التأكيد على تعميق التربية الروحية والخلقية والتربية العسكرية العملية لترسيخ الإيمان وروح الجهاد والتضحية والبذل والفداء وجعل الاستشهاد في سبيل الله دفاعا عن الوطن والأمة أغلى وأعز الغايات».

(النشمي، طريق البناء التربوي، ١٤٠٩هـ، ص ١٧).

إن الباحث هنا لن يتطرق إلى نقد المفاهيم الواردة في هذا القرار ويعرضها على ميزان التربية الإسلامية ، ولكن سيشير هنا إشارات عابرة ليؤكد أن مثل هذه الجهود لا تمتلك تصورا صحيحا عن الإنسان والكون والحياة واللوهية .

فالمؤتمر هنا يسعى إلى تخصيص الفرد العربي لا المسلم بالاهتمام ، ويحاول المؤتمر أن يؤكد على غاية عليا يسعى إلى تحقيقها ، وهي الاستشهاد في سبيل الله دفاعا عن الوطن والأمة لا طلبا لمرضاه الله تعالى ودفاعا عن عقيدة الأمة الإسلامية .

ومن هنا يلمس المسلم أن مثل هذه المؤتمرات فاقدة للتصور الإسلامي ؛ إذ لو كانت تمتلك تصورا صحيحا عن الإنسان المسلم والكون واللوهية لجاءت توصياتها نابعة من العقيدة الإسلامية وسليمة من الانحراف في المفهوم والتصور والاعتقاد ، ولكنها جانبت الصواب في نتائجها ؛ لأن مشربها مشرب غير صافي .

إن هذه الجهود العربية الجماعية تسعى إلى الارتقاء بالتربية في البلدان العربية

إلا أن هذه الجهود شابها الشكوك لاعتراضها على منظمة "اليونسكو" التي تعتبر عند بعض المفكرين العرب من العوامل المساعدة على النهوض بالتفكير التربوي في البلدان العربية.

ومن أبرز ما قامت به هذه المنظمة لتطوير الفكر التربوي أنها قامت بإجراء مسح شامل للأوضاع التربوية في البلاد العربية «وقدمت تقريرها إلى مؤتمر وزراء التربية العرب الذي دعت منظمة "اليونسكو" إلى انعقاده ببيروت من ٩ - ٢ شباط عام ١٩٦٠م» (عبد الدائم، التربية في البلاد العربية، ١٤٠٤هـ، ص ٦٩).

وتتوالت بعد ذلك انعقاد سلسلة من المؤتمرات في المنطقة العربية تحت رعاية "اليونسكو" من أجل «دراسة مشكلات التربية في علاقتها بشكلات التنمية» (عبد الدائم، ١٤٠٤هـ، ص ٤٠٩).

وكانَت هذه المؤتمرات لوزراء التربية العرب والوزراء المسؤولين عن التخطيط الاقتصادي في البلاد العربية. (عبد الدائم، ١٤٠٤هـ، ص ٤٠٩).

كما أن "المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم" قامت بعقد مؤتمرات لوزراء التربية والتعليم العرب وكان أول هذه المؤتمرات انعقاداً في القاهرة عام ١٣٧٣هـ، وأخرها عام ١٣٩٢هـ بالنسبة لاختيار "استراتيجية تربية عربية" وقد اتخذ المؤتمر الأخير قراراً خاصاً بوضع «استراتيجية لتطوير التربية في البلاد العربية». (عبد الدائم، ١٤٠٤هـ، ص ٣٥١-٣٥٢).

ومن الجدير بالذكر هنا أن "المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم" والذي يقوم الباحث بنقد ما تبنته من تقديم "استراتيجية تطوير التربية العربية" كانت منبثقة من الوحدة الثقافية العربية وأخرجت إلى حيز الوجود باعتبارها وكالة متخصصة في نطاق جامعة الدول العربية عام ١٩٧٠م. (عبد الدائم، التربية في البلاد العربية، ١٤٠٤هـ، ص ٥٥).

- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم:

قبل الحديث عن هذه المنظمة يحاول الباحث هنا أن يعطي صورة مختصرة عن جامعة الدول العربية وأهدافها وعن نشوء "الإدارة الثقافية" فيها، وبعد ذلك ينطلق إلى الحديث عن هذه "المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم"؛ لأنها الآن تعتبر أهم جهاز ثقافي وتربوي في العالم العربي.

لقد كفى الباحث "عبد العزيز كامل" المؤنة والتعب وقدم صورة للوظائف التي تقوم بها جامعة الدول العربية، حيث نشرت مجلة البيان مقالاً له بعنوان: "نعم قامت الجامعة العربية بدورها" (عدد ٨٩ في شهر محرم عام ١٤١٦هـ من ص ٧٩-٧٠) حيث تناول "عبد العزيز كامل" ميلاد هذه الجامعة الفتية والتي ظهرت أثناء سقوط الدولة العثمانية بسبب ما اعتبرها من خلل في البنية ودخن في المنهج في الوقت الذي كانت الدولة الغربية تتضرر أفول نجم الدولة العثمانية بما فيهم اليهود.

وفي أواخر حياة "تيودور هرتزل" مؤسس "فكرة الدولة اليهودية" مما إلى سمعه عن حركة تدعى إلى تجديد شباب الخلافة الإسلامية واطلقت على نفسها "حركة الجامعة الإسلامية" (ص ٧٠).

اغتنم هذا اليهودي الحاقد لهذه الحركة وسعى لتحريض النصارى في المناداة بتحرير العرب من "استعمار الترك" متخذًا شعار "القومية العربية" في مقابلة "القومية التركية الطورانية" التي رفع يهود تركيا عقيرتهم بها.

ولما قامت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م وكان من نتائجها هزيمة تركيا والقضاء على الخلافة العثمانية ثم بعد فترة قامت الحرب العالمية الثانية التي كان من نتائجها تقسيم بلاد العرب بين إنجلترا وفرنسا بمقتضى اتفاقية "سايكس - بيكو" وزير خارجية البلدين، هنا انفرط العقد الذي يربط ويجمع البلدان العربية والإسلامية وهو رباط الإسلام، فأصر الأعداء على إيجاد رابطة بديلة لرابطة الانتماء للإسلام وراج الكلام حول رابطة "العروبة" بدلاً من رابطة "الإسلام" و "الجامعة العربية" بدلاً من "الجامعة الإسلامية". (ص ٧١).

وقد أيدت هذه الفكرة بريطانيا وأدلى "إيدن" في مجلس العموم البريطاني بتصریح عبر فيه عن استعداد بريطانيا لاحتضان الدعوة لانشاء "الجامعة العربية"، وقال: «إنه سيكون لبريطانيا شرف السبق إلى تحقيق هذا المطلب» (ص ٧٢-٧١).

وتنادت الأحزاب العلمانية إلى تأييد هذه الفكرة هادفة إلى ترسيخ المبدأ القومي ثم الوطني على أساس الانتفاء للعروبة بدلاً من الانتفاء "للإسلام".

وفعلاً أجهض اليهود والنصارى والعلمانيون مشروع "الجامعة الإسلامية" وإعلان "الجامعة العربية" في ٢٢ مارس، عام ١٩٤٥م، وأصبحت القاهرة مقرًا لها.

ومنذ أن تأسست جامعة الدول العربية كان الغرض منها كما يقول "عبد العزيز كامل" : «سلخ العرب المسلمين عن المسلمين غير العرب لا لإعزاز العرب بغير الدين ولكن طمعا في إذلال الدين بذل العرب ؛ لهذا: فقد كان مرسوماً منذ البداية أن تكون الجامعة تجسيدا للذل العربي». (ص ٧٢).

وما يؤكد هذا الذل أن لهذه الجامعة أهدافا لم تتمكن من تحقيقها فمن أهدافها «استكمال تحرير البلاد والشعوب العربية من الاحتلال الأجنبي» أى أن التحرير خاصة بالشعوب العربية فقط ، ولم يتناول الشعوب الإسلامية أى لاضير من احتلالها ما سلمت بلاد العرب ويسأل صاحب المقالة وهل تحررت الشعوب العربية من الاحتلال الأجنبي ؟ كلا ففلسطين ما زالت تئن منذ خمسين عاما من الاحتلال الأجنبي (ص ٧٣).

ومن الأهداف التي تسعى إليها جامعة الدول العربية واجهضت في مهدها .
"تحقيق فكرة الدفاع العربي المشترك" .

و "تحقيق الوحدة الاقتصادية العربية وإقامة سوق عربية مشتركة" .
و "أحكام المقاطعة العربية ضد إسرائيل" التي لم تدم طويلا حتى سارعت بعض الدول العربية إلى التطبيع مع إسرائيل . (ص ٧٥-٧٤).

ومن الغريب أن بعض لجان مجلس الدفاع المشترك لم تلغ وبقيت كرمز وسمح لها باستئناف نشاطاتها مثل "رعاية الدورات الرياضية وإصدار المعاجم العسكرية التاريخية والجغرافية" . (ص ٧٤).

وهناك مشروعات أخرى فشلت الجامعة العربية في تحقيقها ووقفت مكتوفة الأيدي أمام بعض الأحداث التي لم تستطع أن تقدم حلاتها.

وخلص صاحب المقالة إلى نتيجة واحدة مستدلا بالعبارة التي قالها "أحمد الشقيري" الرئيس السابق لنظمة التحرير الفلسطينية ، في كتابه "الجامعة العربية" عندما وصف الجامعة بأنها: «منظمة إقليمية أنشئت خدمة السياسة الغربية» (ص ٧٩). وختم مقاله بالعنوان نفسه ليؤكد فشلها الذريع في عدم تقديم أى حل لمشاكل العرب التي أنشئت من أجلهم ، هذه هي جامعة الدول العربية والتي بنت أجهزة ثقافية وتربوية للارتقاء بالتربيه في الوطن العربي سيأتي الحديث عن هذه الأجهزة تباعاً وبصورة مختصرة .

أما الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية (١٩٤٥ م - ١٩٧٠ م).

فتعتبر هذه الإدارة - قبل ظهور "المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم" - أهم جهاز بجامعة الدول العربية، يعني بشؤون التربية والتعليم.

وقد نص النظام الداخلي للأمانة العامة على أنها «تقوم بالدراسة التحضيرية للمسائل الثقافية والعلمية» . (نصحي، دور الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في تطوير التربية بالوطن العربي، ١٤٠٩ هـ، ص ٧).

وهناك أجهزة أخرى ثقافية وتعلمية تابعة لهذه الإدارة منها: ١ - معهد إحياء المخطوطات العربية. ٢ - ومعهد البحوث والدراسات العربية. ٣ - والجهاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار. (نصحي، ١٤٠٩ هـ، ص ٧).

وقادت الإدارة الثقافية بجهود جباره لتطوير التربية في الوطن العربي من خلال المؤتمرات الثقافية التي تقييمها الإدارة، والتي بلغ عددها تسعة مؤتمرات ابتداء من عام ١٩٥٣ م حتى عام ١٩٧٠ م.

وكان أهم مؤتمر يعقد لوزراء التربية والتعليم العرب هو المؤتمر الثالث للوزراء وأول مؤتمر وزاري عربي بعد كارثة حزيران ١٩٦٧ م، وقد عقد هذا المؤتمر بالكويت في الفترة من ١٧-٢٢ فبراير "شباط" عام ١٩٦٨ م.

وتم في هذا المؤتمر الثالث لوزراء التربية والتعليم العرب التوقيع على ميثاق الوحدة الثقافية الذي نصت المادة الأولى من هذا الميثاق على أن يكون هدف التربية والتعليم.

«تنشئة جيل عربي واع مستنير مؤمن بالله، مخلص للوطن يثق بنفسه وأمته ويدرك رسالته القومية والإنسانية» . (نصحي، ١٤٠٩ هـ، ص ١٧).

وقد تشكلت داخل الإدارة الثقافية أقساما منها "قسم التربية" عام ١٣٨٧ هـ، والذي تحددت اختصاصاته على الوجه التالي:

- ١ - «العمل على توحيد مناهج التعليم ومراحل الدراسة والشهادات المدرسية» .
- ٢ - «وضع مناهج دراسية موحدة وكتب مشتركة في الموضوعات القومية هي اللغة العربية، والتاريخ والجغرافيا والتربية الوطنية والمجتمع العربي» . (نصحي، ١٤٠٩ هـ، ص ٧).

إن الاهتمام بالفرد العربي والتربية الوطنية أساس عام من أسس التربية في الوطن العربي وليس أدل على ذلك من أن التوصية الأولى للمؤتمر الثقافي العربي الأول والذي عقد في بيته مرى لبنان عام ١٩٤٧م، ووافق عليها مجلس جامعة الدول العربية في جلسته المنعقدة يوم ٢٢ فبراير ١٩٤٨م تنص بالحرف الواحد على ما يلي:

«يرى المؤتمر أن الغرض من التربية الوطنية بث الروح الوطنية في نفوس النشء وإيقاظ الوعي الاجتماعي بينهم حتى يشعروا بارتباطهم بوطنهم». (نصحي، ١٤٠٩هـ، ص ٢٧).

ورأى أعضاء المؤتمر أن التربية الوطنية مادة ذات دروس خاصة وهي «عملية تربوية متعددة الجوانب ينبغي أن تستغل فيسائر مواد الدراسة» و «يستعان على تحقيقها بوسائل تدريبية وعملية مختلفة داخل المدرسة وخارجها» (نصحي، ١٤٠٩هـ، ص ٢٧).

وفي سبيل التأكيد على:

- ١ - التربية الإنسانية.
- ٢ - التربية القومية.
- ٣ - التربية الوطنية.
- ٤ - التربية الديمقراطية.

كان الكتاب الذي أصدرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم "دور الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في تطوير التربية بالوطن العربي" يدور حول هذه العناصر وهذا هو المقصود بتطوير التربية في الوطن العربي والذي تسعى إليه "جامعة الدول العربية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم" و "الإدارة الثقافية"، ومن الجدير بالذكر هنا أن نشاط الإدارة الثقافية في المؤتمرات نشاط مشبوه منذ البداية كما يقول "محمد محمد حسين" (١٤١٣هـ) في كتابه "حصوننا مهددة من داخلها": «إذ كانت المؤتمرات تقام بمساعدة "اليونسكو" حيث أكدت النشرة الثقافية لجامعة الدول العربية في بيانها العام عن هذه المؤتمرات أنها تعمل تحت سيطرة منظمة "اليونسكو" وتوجهها وهي "تستهدف السيطرة على توجيه الثقافة والتعليم في البلاد العربية والترويج لآراء اجتماعية ومذاهب سياسية لا تخدم إلا مشاريع اليهود والغرب». (ص ١٥٩).

وقد قام "محمد محمد حسين" (١٤١٣هـ) بعرض بعض تلك المؤتمرات ونقدتها

وخرج بنتيجة مؤداها أن هذه المؤتمرات تمثل في مجموعها تشويها للمفاهيم الإسلامية والمبادئ والقيم التي حث عليها ديننا الحنيف وكلها تحمل سموها قاتلة تهدم ولا تبني (ص ١٥٩-١٨٤).

يقول "محمد محمد حسين" (١٤١٣هـ) : واصفا اللجنة الثقافية التابعة لجامعة الدول العربية بأن هذه اللجنة «كانت ولا تزال - تنظر بغير عين العرب وتعمل بغير عقل العرب وتهدف إلى غير أهداف العرب إنها لا تزال كما كانت يوم أنشأها الذين كانوا يحرضون على أن يكون العرب ذيلاً لدول الاستعباد الغربي لا يرون الأشياء إلا كما يراها الغربي ولا يتذوقونها إلا كما يتذوقها الغربي ولا يقدرونها إلا كما يقدرها إنها لا تزال تعمل على ما يسميه دهافة الاستعباد الغربي Westren Mization ، أي التغريب . ويقصد به طبع العرب والمسلمين والشرقين عاماً بطبع الحضارة الغربية والثقافة الغربية . . . وهذا الذي يسميه الاستعباد الغربي تغريباً هو ما يسميه سماسة ذلك الاستعباد وصنائعه "تطويراً" (ص ١١٤-١١٥).

واستطرد الدكتور "محمد محمد حسين" (١٤١٣هـ) في تحليل بعض المنشورات للجانب الثقافي ، وقسمها إلى ثلاثة أقسام هي :

١ - البحوث والمحاضرات . ٢ - الكتب المترجمة . ٣ - المؤتمرات .

وأغلب المترجمات كان مما أوحت إليه السفارة الأمريكية بترجمتها ، مثل : "مختارات من أمر سون" " وقصة الحضارة لول ديورانت" . وأما المؤتمرات فقد سجلت الإدارية الثقافية أنشطتها تحت عنوان "التعاون بين الإدارية الثقافية واليونسكو والهيئات الثقافية الدولية" هادفة من وراء ذلك إلى تمكين منظمة "اليونسكو" من السيطرة على توجيه التعليم والثقافة في البلاد العربية والترويج لآراء اجتماعية ومذاهب سياسية لا تخدم إلا مشاريع اليهود والغرب كما يقول "محمد حسين" (١٤١٣هـ ، ص ١٥٩).

وفيما يلي مزيد تفصيل عن "المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم" والتي تعتبر أهم جهاز تربوي في نطاق "جامعة الدول العربية" :

(أ)- التعريف بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم:

وفي تحقيق غرس الروح الوطنية والقومية والديمقراطية والإنسانية لإيجاد إنسان

عربي قومي انطلقت "المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم" بخطي حثيثة لتحقيق هذه الأهداف التي طالما سعت إليها "الإدارة الثقافية" سابقاً، وكذلك "قسم إدارة التربية" التي انفصلت عن الإدارة الثقافية عام ١٩٦٧ م.

إن هذه المنظمة «هي منظمة عربية متخصصة أنسأتها جامعة الدول العربية، وتعني أساساً بتطوير الأنشطة المتعلقة ب مجالات التربية والثقافة والعلوم على المستوى الإقليمي والقومي ، وتنسيقها ، كما تقدم المساعدة في إحداث الوسائل الجديدة والاستراتيجيات المتعلقة بتطوير هذه المجالات في إطار واقع المجتمع العربي واحتياجاته وأولوياته وتساعده على تنفيذها». (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، د.ط، ص ١).

أما بداية هذه المنظمة فقد نص على إحداثها "ميثاق الوحدة الثقافية العربية" الذي وقعته الدول العربية في مؤتمر وزراء التربية والتعليم والمعارف الثاني في بغداد عام ١٩٦٤ م وأقره مجلس جامعة الدول العربية في السنة نفسها لكي تتولى هذه المنظمة تنظيم الجهود المشتركة التي تقوم بها الدول العربية في سبيل تحقيق ميثاق الوحدة الثقافية العربية . (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٣٩٠-١٤٠٨ هـ، ص ٥).

لقد بدأت المنظمة عملها الفعلي بانعقاد مؤتمرها الأول في القاهرة في شهر يوليو - تموز - ١٩٧٠ م طبقاً لدستورها الصادر عن مجلس جامعة الدول العربية وشهدت الفترة ما بين ١٩٧٠ - ١٩٧٥ م وضع معايير أساسية "في سياسة المنظمة ومن أبرزها قرار وضع" استراتيجية تطوير التربية العربية الذي تم في المؤتمر العام الثاني للمنظمة في صنعاء عام ١٣٩٢ هـ ، وهي الاستراتيجية التي تم وضعها ووافق عليها في الدورة غير العادية للمؤتمر الخامس في الخرطوم عام ١٩٧٨ م (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٧٠-١٩٨٧ م ، ص ٦-٧).

وتعتبر الفترة ما بين ١٩٧٥-١٩٧٠ م مرحلة التأسيس تلتها مرحلة التركيز التي بدأت عام ١٩٧٦ م - إلى عام ١٩٨٨ م ، وتلتها بعد ذلك مرحلة الإعداد والانطلاق حيث تمت في هذه المرحلة «عمليات الإعداد الفكري والصياغة النظرية لأهداف المنظمة . . . وتكوين البنى الأساسية للوسائل التنفيذية للعمل بامتلاك وسائل الإنتاج وإنشاء الأجهزة المتخصصة ووضع الاتفاقيات والتشريعات التنظيمية وأحكام التنسيق

بين أنشطة الدول الأعضاء». (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٧٠-١٩٨٧ م، ص ٤٥-٨).

وشهدت هذه الفترة انحاز كل الاستراتيجيات القطاعية وأصبحت كلها وثائق رسمية قومية أخذت طريقها إلى التنفيذ قطرياً وعربياً. (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٧٠-١٩٨٧ م، ص ٤٦-٥٠).

(ب) - أهداف المنظمة ووسائل عملها:

تهدف المنظمة إلى «التمكين للوحدة الفكرية بين أجزاء الوطن العربي عن طريق التربية والثقافة والعلوم، ورفع المستوى الثقافي في هذا الوطن حتى يقوم بواجبه في متابعة الحضارة العالمية والمشاركة الإيجابية فيها». (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٧٠-١٩٨٧ م، ص ١٩).

وفي سبيل تحقيق هذا الهدف تعمل المنظمة على:

- ١ - «تنسيق الجهود العربية في ميادين التربية والثقافة والعلوم».
 - ٢ - تشجيع البحث العلمي في البلاد العربية.
 - ٣ - النهوض بالتعليم والثقافة.
 - ٤ - اقتراح المعاهدات والاتفاقات التربوية والثقافية والعلمية.
 - ٥ - تبادل الخبرات والخبراء والمعلومات التربوية والثقافية والعلمية بين أقطار الوطن العربي.
 - ٦ - المحافظة على التراث العربي وحمايته ونشره.
 - ٧ - تشجيع إنشاء المعاهد التي تبث روح القومية العربية وتعنى بالحضارة العربية الإسلامية.
 - ٨ - تشجيع التعاون بين الأمة العربية والأمم الأخرى في جميع نواحي النشاط الفكري.
 - ٩ - تشجيع التعاون الدولي في ميادين التربية والثقافة والعلوم.
- (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٧٠-١٩٨٧ م، ص ١٩).

(ج) - مجالات عمل المنظمة وأهم ميادينها وإنجازاتها في كل ميدان:

تعمل المنظمة في أربع قطاعات، إليك صورة مجملة عنها:

أولاً : قطاع التربية .

مثل : التعليم الأساسي والثانوي والعالي ومحو الأمية وتطوير مهنة التعليم ومن أهم إنجازاتها في هذا القطاع ما يلي : -

١- موسوعة الفكر التربوي العربي الإسلامي .

٢- مشروع " استراتيجية تطوير التربية العربية " والذي يقوم الباحث بنقده وتحقيقه .

٣- مشروعات الدراسات والبحوث عن الواقع التربوي في الوطن العربي .

(المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٧٠-١٩٨٧ م ، ص ٥٣-٦٨) .

ثانياً : قطاع الثقافة والعلوم الاجتماعية .

مثل تنمية وسائل الإعلام والتدفق الإعلامي ، وتعزيز الحوار الثقافي العربي مع الثقافات الأخرى ومن أهم إنجازات المنظمة في هذا القطاع ما يلي : -

١- مشروع الخطة الشاملة للثقافة العربية .

٢- مشروعات النهوض بالمسرح العربي ودعم المهرجانات المسرحية مادياً ومعنوياً .

٣- مشروعات الموسوعة العربية الكبرى .

(المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٧٠-١٩٨٧ م ، ص ٧٠-٧٢) .

ثالثاً : قطاع العلوم الطبيعية والتكنولوجيا .

مثل : التخطيط الشامل لتطوير العلوم والتكنولوجيا وتعريفها وإنشاء البنية الأساسية الضرورية ومن أهم إنجازات المنظمة في هذا القطاع ما يلي : -

- مشروع استراتيجية تطوير العلوم . (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٧٠-١٩٨٧ م ، ص ٧٤) .

رابعاً : قطاع الخدمات ودعم البرامج .

مثل : إنشاء برامج ونظم ومؤسسات المعلومات وتطويرها وتطوير العمل "البليوغرافية " في الوطن العربي ، ومن أهم إنجازات المنظمة في هذا القطاع ما يلي : -

١- مطبعة المنظمة حيث أصدرت المنظمة ألفاً ومائتين وخمسة وسبعين كتاباً حتى آخر

عام ١٩٨٧ م على النحو التالي : -

- (أ) ثلاثة وثلاثة عشر كتابا في موضوعات التربية ومحو الأمية وتعليم الكبار.
- (ب) سبعمائة وثلاثة وخمسون كتاب في موضوعات ثقافية وفكرية وإعلامية متنوعة.
- (ج) مائة وثمانية كتاب في موضوعات العلوم.
- (د) مائة وواحد كتاب في موضوعات المعلومات والتوثيق.

(المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٧٠-١٩٨٧م، ص ٧٦-٧٨).

أما مجموع البرامج والمشروعات التي نهضت بها المنظمة منذ عام ١٩٧٠م حتى ١٩٨٧م فقد بلغت ألفا وسبعمائة وثلاثة وسبعين مشروعا. (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٧٠-١٩٨٧م، ص ٨٣).

(د) - تاريخ انضمام الدول العربية إلى هذه المنظمة.

عندما أنشئت هذه المنظمة عام ١٩٧٠م لم تنضم الدول العربية إليها جملة واحدة بل تفاوت الانضمام إليها بين الدول تفاوتا متباعا، فهناك عشر دول عربية انضمت إليها في بداية تأسيسها وهذه الدول هي:

الأردن، والجزائر، والسودان، وسوريا، والعراق، والكويت، وليبيا، ومصر، والجمهورية اليمنية وتواتي انضمام بقية الدول إليها ففي عام ١٩٧١م، انضمت البحرين، وفلسطين، وقطر، وفي عام ١٩٧٢م انضمت الإمارات العربية المتحدة، والسعودية، وفي عام ١٩٧٣م انضمت سلطنة عمان، وفي عام ١٩٧٤م، انضمت تونس، وفي عام ١٩٧٦م انضمت موريتانيا. وأما المغرب والصومال فقد انضما في عام ١٩٧٦م، وجيبوتي عام ١٩٧٨م، وكانت آخر الدول انضماما إليها لبنان حيث تم انضمامها إليها في عام ١٩٨٥م.

وبانضمام لبنان اكتمل العقد وتم النصاب وأصبح عدد الدول المنضحة إلى هذه المنظمة اثنين وعشرين دولة وأصبح في كل دولة من هذه الدول مكتب أطلق عليه "اللجنة الوطنية للتربية والثقافة والعلوم". (المنظمة العربية، ١٩٧٠-١٩٨٧م، ص ٢٠، ١٩٠).

(هـ) - علاقات التعاون بين المنظمة والمنظمات الأخرى:

من سابقا أن منظمة "اليونسكو" التي مقرها باريس قد رفدت الدول العربية بخبراتها ومستشارتها في ميدان التربية والتعليم وغيره، بل كانت عاملا أساسيا ومؤثرا

قويا في مختلف الندوات والمؤتمرات التي عقدت في البلاد العربية من أجل تطوير التربية العربية بها.

ومن هنا يلمس المسلم أن "المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم" وهي تعمل في إطار جامعة الدول العربية باعتبارها منظمة متخصصة تتعاون مع:

١- المنظمات التابعة لجامعة الدول العربية في تنفيذ مشروعات مشتركة، مثل: المنظمة العربية للعلوم الإدارية، واتحاد إذاعات الدول العربية، وقد بلغ عدد هذه المنظمات التابعة لجامعة الدول العربية ثمان منظمات.

٢- المنظمات والهيئات العربية المعنية بقضايا التربية والثقافة والعلوم. وقد بلغ عددها أربعاً وثلاثين منظمة وهيئة واتحاد، ومن أهم هذه المنظمات والاتحادات المجمع العربي للموسيقى، والاتحاد النسائي العربي العام واتحاد العام للفنانين العرب وغير ذلك.

٣- المنظمات والهيئات الإقليمية والدولية في ميادين «التربية والثقافة والعلوم وتبادل التمثيل معها في حضور المؤتمرات والاجتماعات التي تتطلبها وبالمشاركة في تنفيذ مشروعات تهم المنظمة العربية وترتبط المنظمة معها باتفاقات ثنائية.

وقد بلغ عدد هذه المنظمات الإسلامية ثمان منظمات، مثل: "المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم"، و"منظمة المؤتمر الإسلامي"، و"رابطة العالم الإسلامي"، أما المنظمات والمؤسسات الدولية والهيئات الحكومية وغير الحكومية فقد بلغ عددها عشرين مؤسسة دولية وهيئات حكومية وغير حكومية ترتبط مع المنظمة باتفاقات تعاون أو تشارك المنظمة في تنفيذ مشروعات داخل الوطن العربي أو خارجه في مجالات التربية والثقافة والعلوم، ومن أهمها "المنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة" "اليونسكو" و"منظمة العمل الدولية". (المنظمة العربية، ١٩٧٠-١٩٨٧م، ص ٣٩-٤٢).

(و) - استراتيجية تطوير التربية العربية:

تعتبر هذه الاستراتيجية أهم إنجاز حققه "المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم" في ميدان التربية والتعليم. وتعتبر المنظمة نفسها هي المسئولة مسئولية كاملة عن هذه الاستراتيجية من حيث الأهداف والمضمون والمحظوظ والتتنفيذ. وقبل

الدخول في الحديث عن هذه الاستراتيجية ومراحل إعدادها وأهم الخطوط العامة فيها يود الباحث هنا أن يرجع على مفهوم الاستراتيجية وطبيعتها.

بالرجوع إلى "المعجم التربوي" "للطفي بركات" (١٤٠٤هـ) يعرف الاستراتيجية التربوية بأنها «مصطلح للإشارة إلى عملية تحديد المسار التربوي في هدي فلسفية تربوية من جهة وسياسة تعليمية من جهة أخرى». (ص ٦٤).

ويرى "محمود قمبر" (١٤١٤هـ) في بحثه "استراتيجيات الإصلاح التربوي في الوطن العربي" بأن الاستراتيجية هي «علم اختيار البدائل ومعرفة استخدامها» وهي «فن السير بنجاح في أخرج الظروف وأصعب المواقف» وهي «مجموعة المبادئ والأفكار الرئيسية التي تساعد علي تنظيم الوسائل والغايات المختلفة للوصول إلى هدف أو أهداف محددة» وهي «فن استخدام الإمكانيات المتاحة في نسق يتضمن الأولويات والبدائل والخطط البديلة بأقصى فاعلية ممكنة لتحقيق الأهداف الرئيسية» (ص ١٧٠-١٧١).

ويفرق "عبد الله عبد الدائم" (١٤٠١هـ) بين السياسة التربوية والاستراتيجية التربوية فيرى أن الأولى «هي التي ترسم الغايات الكبرى والمقاصد النهائية للتربية في بلد من البلدان وتضع الأهداف المحددة والمهام التي تؤدي إلى تحقيق تلك الغايات» بينما الاستراتيجية «تشمل وضع أو ترجمة تلك الأهداف إلى مرام أكثر تحديداً وتسعى إلى رسم وسائل التنفيذ المؤدية إلى بلوغ تلك المرامي المحددة وترجمة وسائل التنفيذ هذه إلى عمل فعلي . . . ثم نرى مدى التطابق بين السياسة التربوية والاستراتيجية التربوية». (السياسات التربوية العربية والاستراتيجيات التربوية العربية، ص ٤٥-٤٨).

ويرى "الشريف وأخرون" (١٤٠٠هـ) أن الاستراتيجية «لفظة استخدمت أصلاً في الحياة العسكرية وتطورت دلالاتها فيها حتى أصبحت تعني في القيادة العسكرية في مواجهة الظروف الصعبة وحساب الاحتمالات المختلفة و اختيار الوسائل الرئيسية المناسبة لها». (استراتيجية تطوير التربية العربية، ص ٢٩).

ثم استمر قائلاً «وقد امتد استعمال هذه الكلمة في السنين الأخيرة بمعان متقاربة إلى مجالات أخرى اجتماعية واقتصادية وسياسية على السواء» (ص ٢٩).

ويخلص إلى القول بأن الاستراتيجية هي «مجموعة الأفكار والمبادئ التي تتناول

ميدانا من ميادين النشاط الإنساني بصورة شاملة متکاملة وتكون ذات دلالة على وسائل العمل ومتطلباته والاتجاهات مساراته بقصد إحداث تغييرات فيه وصولا إلى أهداف محددة، ومادامت معنية بالمستقبل فإنها تأخذ بنظر الاعتبار احتمالات متعددة لإحداثه فتنطوي على قابلية للتعديل وفقا لمقتضياته، وهي تقع وسطا بين السياسة وبين الخطة» . (١٤٠٠هـ، ص ٣٠).

من خلال ما سبق ذكره من تعريفات للاستراتيجية يرى الباحث أن الذين استخدموها هذا اللفظ لم يجدوا بديلا عنه في اللغة العربية ولهذا حدث تفاوت في القرائح والمفهوم لمعرفة معناه .

فـ "لطفي برکات" (١٤٠٤هـ) حدد الاستراتيجية وجعلها تسير في ظل فلسفة وسياسة معينة وهذا تعريف عام وشامل يصلح لأي بلد من البلدان ، وإن كان هذا التعريف قد حدد مصادر هذه الاستراتيجية ، وهي "فلسفة تربوية وسياسة تعليمية" إلا أن هذه المصادر لم تتضح أيضا فما زالت غامضة وغير واضحة . وهو كلام شامل وعام؛ لأن هذه الفلسفة التربوية والسياسة التعليمية لم تحدد مصادرهما والغاية التي تسعى إليها وبالتالي لا يصلح هذا التعريف للاستراتيجية؛ لأنه كلام عام يصلح أن يطلق على أي استراتيجية تربوية سواء في العالم الإسلامي أم في غيره لعدم تقييده . وأما تعريف " محمود قمبر " (١٤١٤هـ) فهو تعريف عام أيضا كسابقه غير أنه حدد أولويات تسعى الاستراتيجية إلى تحقيقها من أجل تحقيق الأهداف الرئيسية دون تعين لهذه الأولويات .

وهذا التعريف شامل يصلح أن ينطلق على أي استراتيجية في أي زمان ومكان؛ لأنه أولاً : لم يحدد الغاية تحديدا دقينا . وثانياً : لم يحدد المصادر التي تنطلق منها الاستراتيجية ، وبالتالي فهو تعريف عام وشامل لا يقبل به .

وأما تعريف " عبد الله عبد الدائم " (١٤٠١هـ) فقد كان أكثر تحديدا من سبقه إذ فرق بين السياسة التربوية والاستراتيجية التربوية فجعل الأولى هي التي تضع الخطوط العريضة للغايات والمقاصد النهائية للتربية . والثانية: هي التي تقوم بتنفيذ وترجمة تلك الأهداف إلى عمل فعلي إلا أن التعريف يعوزه معرفة الغاية من التربية وتحديد مصادرها تحديدا دقينا ولهذا يصلح تعريفه أن ينطبق على أي استراتيجية وسياسة

تربيوية في أي بلد من البلدان.

ومن مجموع هذه التعريفات يتضح للباحث بأن أصحابها لم يوفقا إلى التعريف الصحيح للاستراتيجية التربوية وذلك نظراً الاختلاف المشارب والثقافات والأطر المرجعية لديهم.

ومن هنا يرى الباحث أن التعريف الأمثل في نظره للخطة التربوية بدلاً من الاستراتيجية «هي تحديد المسار التربوي وما يجب عمله للحالات الطارئة في المستقبل من خلال هدي القرآن الكريم والسنة الشريفة المطهرة والاستفادة من المصادر الثانوية وجهود العلماء المخلصين بحيث تكون مضامين هذه الخطة التربوية أهدافاً ومبادئ وتصورات منطلقة من منطلقات إسلامية لتحقيق الغاية النهائية من الخلق وهي تحقيق العبودية لله تعالى من خلال العلوم التي يدرسها المتعلم كافة مع الاستفادة من الحضارات الأخرى ما لم يتعارض مع عقيدتنا الإسلامية».

وهذا التعريف في نظر الباحث قد جمع مميزات معينة، منها:

- ١ - اهتم بالتخطيط للمستقبل ولم يهمله أو ينساه.
- ٢ - اقتصر على مجال معين ولم يتجاوزه إلى غيره.
- ٣ - حدد التعريف المصادر التي يعتمد عليها ممثلة في القرآن الكريم والسنة المطهرة مع عدم اهمال المصادر الثانوية وجهود العلماء المخلصين في هذا الميدان، وكذلك الاستفادة من الحضارات المعاصرة بشرط انسجامها مع عقيدتنا الإسلامية.
- ٤ - ذكر التعريف أهمية دراسة العلوم كلها والاستفادة منها بحيث تكون منطلقة من منطلقات إسلامية.
- ٥ - حدد التعريف الغاية النهائية وحصرها في تحقيق العبودية لله تعالى.
- ٦ - أكد التعريف على أهمية العقيدة الإسلامية وأنها هي المحك لكل أنشطة الحياة سواء منها السياسية أم الاقتصادية أم التربية أم غيرها.

وانطلاقاً من هذا التعريف قدم الباحث في الفصول القادمة نقداً تقويمياً للمبادئ التي قامت عليها الاستراتيجية والتعليم الأساسي؛ ليり مدى قرب هذه المبادئ والتعليم الأساسي أو بعدها من أهداف التربية الإسلامية ومدى تحقيقها للعبودية لله تعالى.

(ز) - "المراحل التي مرت بها الاستراتيجية".

لم تكن الاستراتيجية التي ي يريد وزراء التربية والتعليم العرب أن يأخذ كل قطر منها بما يلائم إمكاناته وليدة ساعة أو يوم أو غيره وإنما استغرق إعدادها سنوات ليست بالقصيرة وحشد لها إمكانات بشرية ومادية هائلة من أجل إخراجها إلى حيز الوجود.

لقد عقد وزراء التربية والتعليم العرب مؤتمرات وندوات متعددة من أجل النهوض بمستوى التربية في العالم العربي وشاءت إرادة الله سبحانه وتعالى أن يكون المؤتمر الرابع لوزراء التربية والتعليم العرب المنعقد في صنعاء في شهر ديسمبر عام (١٣٩٢هـ) أن يكون هذا المؤتمر نواة طيبة وفألا حسنا حيث أصدر المؤتمر «قراراً يقضي بتشكيل لجنة وضع استراتيجية لتطوير التربية في البلاد العربية» وتضمن هذا القرار تحديد مهمة اللجنة وطلب إليها أن تتولى على المستوى العربي وضع «استراتيجية لتطوير التربية» يمكن للك قطر العربي أن يستهدى بعناصرها الرئيسية في وضع خططه التربوية كما تضمن بعض المبادئ الأساسية التي يجب على اللجنة أن تراعيها».

(الشريف وأخرون، استراتيجية تطوير التربية العربية، ١٤٠٠هـ، ص ١).

ومن الجدير بالذكر هنا أن هذه الاستراتيجية قد أعدتها في صورتها الأولية لجنة مكونة من يوسف صلاح الدين، ومحمد الهادي عفيفي، ومحمد سيف الدين فهمي، ومحمد أحمد الغنام، وقدمت هذه اللجنة الاستراتيجية إلى المؤتمر الرابع لوزراء التربية والتعليم العرب المنعقد في صنعاء والذي كان الموضوع الرئيسي للمؤتمر هو مناقشة «استراتيجية التربية العربية». (عفيفي وأخرون، قراءات في التربية المعاصرة، ١٣٩٣هـ، ص ٦٧-٦٨).

الصورة المبدئية للاستراتيجية :

ولما انتهى الاجتماع وانفض الجموع كان المؤتمر قد اتخذ قراراً أيضاً باختيار أعضاء اللجنة التي ستقوم بإعداد هذه الاستراتيجية التربوية للبلاد العربية، وكان من أعضاء هذه اللجنة ما يلي :-

- | | |
|----------|---------------------|
| ١- رئيسا | د/ محمد أحمد الشريف |
| ٢- عضوا | د/ عبد الحميد مهري |
| ٣- عضوا | د/ عبد الرزاق قدورة |

- ٤ - د / عبد العزيز البسام
 عضوا
 ٥ - د / محمد الهايدي عفيفي
 عضوا
 ٦ - د / محمد رفعت الفينش
 عضوا .
 (الشريف وأخرون، ١٤٠٠هـ، ص ١).

وتالت الاجتماعات وعقد المؤتمرات والندوات بقصد النظر والتقويم لهذه الاستراتيجية، وخضعت صياغتها إلى تحيص وتقديم بناء. (البسام، ندوات فكرية في إطار استراتيجية تطوير التربية العربية، المجلة العربية للتربية، ٤٠٤هـ، ٤٣/١).

وأصبح التقرير جاهزاً في صيغة ملائمة عام ١٩٧٦م، وعرض على المؤتمر العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في الدورة غير العادية الأولى التي انعقدت في الخرطوم من ٢٩/٢ إلى ٧/٨١٩٧٨م وأصدر المؤتمر قراره الذي أعلن فيه الرضا بنهاية اللجنة بال مهمة المنوطة بها وعبر عن الشكر لرئيسها وأعضائها وخاصة من أعد منهم التقرير واعتبرت الاستراتيجية أساساً صالحاً لتطوير التربية في الوطن العربي على المستويات القومية والقطبية». (البسام، استراتيجية تطوير التربية العربية عرض مجمل، المجلة العربية للتربية، ١٤٠١هـ، ص ١٥-٤١).

وأما المراحل التي مررت بها الاستراتيجية العربية للتربية والتعريف بها فقد تكفلت المجلة العربية للتربية بالقيام بهذه المهمة حيث استغرق التعريف بها ومراحلها أربعة عشر عدداً من أعداد المجلة، ابتداءً من العدد الأول حتى العدد الرابع عشر وكلها موقوفة على التعريف بالاستراتيجية.

ولم تكتف المنظمة بهذا العمل بل عقدت عدة اجتماعات كان الهدف منها متابعة تنفيذ الاستراتيجية، وكانت هذه الاجتماعات خاصة بوكالات وزارات التربية والتعليم العرب.

وجاء أول اجتماع لهذه المنظمة في الرياض عام ١٣٩٩هـ.

لحقه اجتماع ثان بالدوحة عام ١٤٠١هـ، وثالث بصنعاء عام ١٤٠٣هـ، ورابع بالرباط عام ١٤٠٥هـ، وخامس بتونس عام ١٤٠٧هـ، وتلتها اجتماعات أخرى، وهذه غاذج منها، وكل هذه الاجتماعات كانت تعقد من أجل معرفة مدى ملاءمة الخطط التربوية في الدول العربية لموجهات استراتيجية التربية العربية ووسائل تنفيذ

هذه الاستراتيجية على المستوى القطري والقومي . (المجلة العربية للتربية، ع ١٤٠١، ١، ١٤٦-١٧١).

(ح) - الخطوط الرئيسة لاستراتيجية تطوير التربية العربية:

عرضت الاستراتيجية على عدة مؤتمرات وندوات ، وكانت على هيئة تقرير ، ولما تم نقله وتحقيقه وإخراجه في صيغة نهائية برع التقرير إلى الوجود ، وكان الهدف منه توحيد الفكر والثقافة في الوطن العربي كله بحيث تكون هذه الاستراتيجية منارة يسترشد بها العالم العربي في وضع خطة للتربية والتعليم .

لقد احتوت هذه الاستراتيجية على تسعه فصول وكلمة وتصدير ومقدمة وملحق ويبلغ عدد صفحاتها أربعين وثلاث عشرة صفحة .

و كانت الكلمة من قبل لجنة الاستراتيجية حيث أعربت في كلمتها عن أملها في «أن يحقق هذا التقرير للأمة العربية خطوة إلى الأمام في سبيل تربية أفضل ». (صفحة الكلمة) .

وتلى هذه الكلمة تصدير من قبل "محى الدين صابر" الذي قدم في هذا التصدير ملخصاً عن الجهد التي بذلتها المنظمة في سبيل التوعية بالاستراتيجية ، (أ-ج) ثم جاءت المقدمة عقب التصدير مباشرة وكانت بقلم "محمد أحمد الشريف" رئيس اللجنة ، وفيها أطال الشريف نفسه في تقديم صورة واضحة عن الظروف والملابسات التي مرت بها الاستراتيجية منذ أن كانت فكرة ثم أصبحت حقيقة ملموسة وأكده الشريف على أن الاستراتيجية انطلقت من الأمور التالية : -

١- ضرورة أن يكون الدين ركناً أساسياً في تربية الإنسان العربي بحيث تؤدي هذه التربية إلى انطلاق طاقاته الكامنة وإتاحة الفرصة له لاستثمارها وإعداده لمواجهة جميع المطاعم والتحديات التي تواجه الوطن العربي وتحدى من حريته واستقلاله وتحول دون تقدمه وإسهامه في إثراء الحضارة الإنسانية وحفظ السلام في العالم .

٢- ضرورة تطوير المجتمع العربي بما يضمن الحفاظ على مقوماته الأساسية ، وهي : الدين ، والحضارة العربية الإسلامية ، واللغة العربية ، والخصوصيات القومية ، والقيم الإنسانية ، بما يحقق انطلاقه للعمل على بناء التقدم العلمي والتكنولوجي وتفاعله مع التغيرات المتلاحقة في العالم المعاصر .

٣- ضرورة تفاعل التربية مع مختلف التنمية الشاملة واعتبار التربية أداة رئيسة لتحقيقها وضرورة تنسيق وتكامل التربية وتطورها مع خطط التنمية الشاملة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية .

٤- ضرورة الاستفادة من الدراسة العلمية للتراث العربي الإسلامي وما ينطوي عليه من مبادئ واتجاهات تربوية بناءة ومن تطور الفكر التربوي المعاصر . (ص ٢) .

٥- ضرورة اعتبار العمل العربي الموحد أساساً لتطوير التربية في الوطن العربي .

ثم أردف "الشريف" بذكر المنهجية التي سارت عليها اللجنة حيث اعتمدت على الأساليب الإحصائية والبيانات والأراء في إعداد هذه الاستراتيجية ولم تكن نابعة من فراغ أو خيال وإنما اعتمدت على منهج علمي دقيق . (ص ٢-٣) .

وفي ختام المقدمة قدم الشريف محمد أحمد شكره لكل من أسهم مع اللجنة بفكرة أو مشورة من أجل النهوض بهذه الاستراتيجية والارتقاء بها إلى الصورة المثلثي ، وبعد هذه المقدمة تبعتها فصول الدراسة كما يلي :-

الفصل الأول : "إرادة التغيير"

يبدأ هذا الفصل من ص ١٦ إلى ص ٣٤ ، وفيه ركز محررو الاستراتيجية على المرحلة الخطيرة التي تمر بها الأمة العربية في الرابع الأخير من القرن العشرين ، حيث تقف على مفترق الطرق تواجه تحديات خطيرة ، من أهمها التخلف والتجزئة والاستعمار الصهيوني وكذلك الثورة العلمية التقنية .

وأن الأمة العربية تمتلك إمكانات عظيمة وضخمة تمثل في «روابط الوطن الواحد واللغة الواحدة ، وروابط العقيدة والثقافة السائدة ، والتاريخ المشترك والنضال المشترك في سبيل التحرر والاستقلال والمصالح المشتركة والإرادة المتألفة والمصير الواحد» . (ص ٢٤) .

وإن هذه الإمكانيات وهي تستمد بوعيتها من عقيدة الأمة وحضارتها يجب أن تستغل «لتجنيد الإنسانية ويلات الحروب المدمرة وإلى صيانة السلام العالمي القائم على الحق والعدل» . (ص ٢٦) .

إن هذه التحديات والإمكانيات التي تمتلكها الأمة العربية يتوجب عليها تغيير الأوضاع التربوية في الأقطار العربية بما يحقق لها أماناتها وأهدافها ، وهذا يقتضي

وضع «استراتيجية للتربية تكون مراعية للظروف الاقتصادية والسياسية والثقافية للأمة العربية»، ويستتبع ذلك تحليل المجتمع العربي حاضره و الماضيه و دراسة مكانة التربية في سياق تطوره قديماً وحديثاً مع الإمام بأهم سمات العصر، وهذا ما سارت عليه الاستراتيجية العربية للتربية.

وفي الفصل الأول تناول المحررون للاستراتيجية معناها وأقسامها وال الحاجة إلى استراتيجية عربية للتربية.

الفصل الثاني : "الماضي الحي".

يبدأ هذا الفصل من ص ٣٥ إلى ص ٧٢، وتناول المحررون فيه خصائص الوطن العربي ومميزاته إذ هو مهد الحضارات الإنسانية ومهبط الديانات السماوية، ويعتبر الإسلام ثورة حضارية كبرى حيث جاء بأسمى عقيدة عرفها الإنسان، وهي توحيد الله سبحانه وتعالى وأكّد مكانة الإنسان في الكون وأرسى تنظيم المجتمع على أساس التعاون والتكافل والمساواة وفي الانفتاح على الإنسانية عامة.

وللإسلام نشاط بارز في مختلف الجوانب الثقافية والعلمية، وهو متصرف بالنزعة العقلانية والأخلاقية وأثره في الحضارات الأخرى واضح، وكانت بصماته بارزة عليها.

وهذا يؤكد أن التربية العربية لها مبادئها ومؤسساتها التعليمية التي تمثلت في المسجد والمدرسة ودار الحكمـة . . . وعلى الرغم مما طرأ عليها من مظاهر القصور والنقص والتدور والتردي إلا أنها مازالت تمثل ماضياً حياً ومشرقاً بفضل عقيدتها التي تمثل تراثاً غنياً يقاوم الفناء.

أما الفصل الثالث : "التحدي والصمود".

فيبدأ من ص ٧٥ إلى ص ١٢٩، وتناول فيه المحررون أحوال الأمة العربية في العصر الحديث منذ أن بلغت أشد حالات الضعف والتدور والقصور في النصف الثاني من القرن الثامن عشر حيث تعرضت الأمة العربية للاستعمار الغربي، وهي محرومة من العلم والمال والثروة والسلاح والحرية والمكانة السياسية، وهي تعاني أيضاً حالات التخلف والتجزئة والجهل، وإزاء هذه الأحوال المتردية حدث صراع بين الجديد والقديم وبين القوى الاستعمارية من ناحية والحركات الوطنية والاستقلال من

ناحية أخرى وقد حد من بروز الحركات الوطنية تحالف الاستعمار مع أصحاب السلطة والمصالح وتشجيع النزعـة القطرية وفرض التبعية للمستعمر.

وتناول الفصل أيضاً تطور التربية في الوطن العربي وأحوال وخصائص المجتمع العربي عند متصف القرن العشرين والأحوال السكانية والاقتصادية وقضايا التربية ونقل النماذج الغربية في التنمية إلى الوطن العربي واختتم الفصل بتقديم التربية العربية في سياق مجتمعها وميادين الصراع بين التحديات والاستجابات.

أما الفصل الرابع : "واقع التربية العربية واتجاهاتها ومشكلاتها".

فيبدأ من ص ١٣٠ إلى ص ١٧٥ ، وتناول الصورة العامة لإنجازات التربية كما وكيفاً، من حيث تطوير البنى التعليمية وتطور الإنفاق على التعليم والتطور في الإدارة التعليمية ، وكذلك تناول العوامل المؤثرة في حركة التربية المدرسية والمشكلات والقضايا الرئيسة في التعليم في مختلف مراحله والتعاون العربي والدولي في مجالات الثقافة والتربية ، وتقديم مجمل للتربية في واقعها والسياسات التربوية وصلتها بالأهداف القومية .

وأما الفصل الخامس : "عالم اليوم والغد".

فيبدأ من ص ١٧٧ إلى ص ٢١٥ وقدم المحررون فيه معلومات وأفكاراً عن عالم اليوم والغد هادفين من وراء ذلك لكي نتعرف على أنفسنا ومن حولنا ، وهذا الفصل يعتبر لا صلة له بالواقع العربي ؛ لأنه يزودنا بمعلومات وأرقام وإحصاءات عن أوضاع العالم اليوم إذ هو سريع التغير ويتصف بالعدوان والإسراف والفاقة وهو عالم الأمم المتحدة وإنشاء المنظمات الدولية لتحقيق خير البشرية وتحقيق السلام العالمي القائم على الحق والعدالة ، وختم المحررون للاستراتيجية الفصل بإلقاء نظرة على معطيات الواقع واحتمالات المستقبل على المستوى الدولي والوطن العربي والمؤشرات الرئيسة لمعطيات الواقع .

وأما الفصل السادس : "طبيعة الاستراتيجية ومبادرتها".

فيبدأ من ص ٢١٧ إلى ص ٢٤٢ ، وتناول فيه المحررون المفاهيم المنهجية المتبعة في تقرير الاستراتيجية والبدائل الجملة لاستراتيجية تطوير التربية العربية مثل الاستمرار الخطي واستراتيجية الإصلاح الجزئي واستراتيجية التجديد الشامل للتربية .

وتناول الفصل المبادئ التي قامت عليها الاستراتيجية المقترحة، وهي المبدأ الإنساني والتنموي والقومي والديمقراطي ومبدأ التربية للعلم والعمل والقوة والبناء الخ.

وتعتبر هذه المبادئ من وجهة نظر المحررين البذور الأولى التي ينبغي الاهتمام بها؛ إذ هي تؤلف أصولاً لفلسفة عربية متميزة، وهي بمثابة منطلقات للسياسات التربوية على المستوى القومي والقطري في الوطن العربي.

وجاء الفصل السابع "عناصر الاستراتيجية" الذي يبدأ من ص ٢٤٣ إلى ص ٣١٢ مكملاً لالفصل السادس.

فهذه العناصر تعتمد على المبادئ حيث يستفاد منها في صياغة هذه العناصر وفي حركة تنفيذها وتألُّف هذه العناصر من الدعوة إلى فلسفة اجتماعية عربية للتربية وإلى مجتمع عربي متعلم وإلى تنوع البنى التربوية وتحقيق المرونة. والتكمال فيها وإلى تحديد محتوى التربية وطرازها ووسائلها وأساليب تقويمها وإلى تطوير مهام وأساليب الإعداد والتدريب للمعلمين بوصفهم رواداً للأصالة والتجدد، وإلى اعتماد أساليب التخطيط وتحديث الإدارة التربوية وتطوير التشريعات التربوية والتفاعل بين التربية والتنمية الشاملة وتكاملها، وإلى قومية العمل العربي للتربية وتنمية التعاون الدولي وتوجيهه وجهاته السليمة.

وأما الفصل الثامن : "أسبابات ونماذج في إطار الاستراتيجية المقترحة". فيبدأ من ص ٣١٥ إلى ص ٣٣٩ وهو أشد التصاقاً بالفصل السابع ذلك أن هذه العناصر على ما بينها من ترابط وتكامل فإن الإمكانيات المادية قد تكون محدودة عند بعض الدول وهذا الفصل يحدد الأسبقيات التي تعتبر مهمة في الدرجة الأولى وفي التخطيط القومي والقطري وقد عين التقرير الأسبقيات التالية: التعليم الأساسي، وتنوع التعليم الثانوي، والنهوض بنوعية التعليم، وتطوير مؤسسات التعليم العالي، وتطوير الإدارة التربوية، وتطوير إعداد المعلمين وتدريبهم.

واختتم الفصل بتقديم نماذج لبعض البلدان في تطبيق الأسبقيات السالفة الذكر وكان اختيار هذه النماذج منطلقاً من عدة معايير، فهناك النموذج الأول الذي يتميز بقلة السكان وكثرة الموارد وحداثة النظام التربوي نسبياً مع تفاوت في الرقعة الجغرافية

مثل لبنان، الكويت، قطر، البحرين، الأردن، ليبيا، الإمارات العربية المتحدة . وأما النموذج الثاني فيتصف بكثرة السكان واتساع الرقعة الجغرافية في معظمها واقتصاد عربي عريض مع تفاوت في الموارد وتطوير الأنظمة التربوية ، مثل: مصر، العراق، الجزائر، سوريا، تونس .

أما النموذج الثالث: فيتميز بنقص نسبي في الكثافة السكانية واتساع الرقعة الجغرافية وضعف الموارد باستثناء قطر أو قطرتين وتفاوت في مدى تطور الأنظمة التربوية ويشمل هذا النموذج المغرب، السعودية، السودان، الصومال، موريتانيا، عمان، والجمهورية اليمنية .

أما النموذج الرابع والأخير: فيقتصر على فلسطين فعلى الرغم من ارتفاع مستويات تعليمهم إلا أن هذا النموذج يتطلب سياسة تربوية مرتبطة بالأهداف القومية .

وأما الفصل التاسع والأخير : "تنفيذ الاستراتيجية ، سبله ووسائله"

فيبدأ من ص ٣٤٣ إلى ص ٣٨٠ ، وتناول فيه المحررون المقترنات التي يمكن من خلالها تنفيذ الاستراتيجية ، ومن ضمن أساليب عمليات التنفيذ تطوير السياسة التربوية وتبني الاستراتيجية والتخطيط والإدارة والتقويم والأجهزة والمؤسسات القطرية والعربية والمؤسسات الأقليمية الدولية .

واختتم التقرير بلاحق بلغ تعدادها ١٦ جدولاً عن التعليم وعن الوطن العربي كما تضمن القرارات المتعلقة بهذه الاستراتيجية وتأليف اللجنة .

٤- الاستراتيجية في عيون معاصرتها:

ظهرت بوادر مناصرة لاستراتيجية تربية عربية في الوطن العربي قبل ظهور "استراتيجية تطوير التربية العربية" بفترة ليست بالقصيرة . ذلك «أن الأقطار العربية بدأت بالفعل منذ أوائل السبعينيات . . . في مراجعة سياساتها وأهدافها التعليمية وحاول عددها وضع استراتيجية قطرية بينما أثر بعضها الآخر الإنظار حتى تخرج الاستراتيجية الأم ، وتصبح المرجع أو الأصل الذي ترتبط به وتنتسب إليه الاستراتيجيات الفرعية في مستواها القطري». (قمبر، استراتيجيات الإصلاح التربوي في الوطن العربي ، ١٤١٤هـ، ص ١٦٥).

ومن الدول التي عملت استراتيجية قطرية خاصة بها مصر، والمملكة العربية السعودية والسودان والكويت واليمن. (نوفمبر، ١٤١٤هـ، ص ١٦٥-١٦٩).

لقد كان هناك إرهاصات أولية لتجديد التربية وتطويرها في البلدان العربية، وبدأت هذه الإرهاصات تظهر من خلال المؤتمرات والندوات التي تعقد في الوطن العربي ومن خلال المؤلفات التي يقوم بها كتاب تربويين عرب تلقوا ترتيبتهم خارج أوطنهم أو من خلال كتاب غير عرب ومن ذلك ما قام به المؤلفان "محمد خير حربي" و"السيد محمد العزاوي" من إخراج مؤلفهما والذي عنوانه "تطور التربية والتعليم في إقليم مصر" نشرت هذا المؤلف وزارة التربية والتعليم المصرية، إدارة الشئون العامة، مركز الوثائق التربوية عام ١٣٧٨هـ.

كذلك قام مسارع حسن الراوي بتأليف كتاب عنوانه "نحو استراتيجية جديدة للتعليم في العراق" طبعته مكتبة التقدم عام ١٣٩٤هـ.

و قبل هذين المؤلفين عقد في لبنان مؤتمر في "دائرة التربية في الجامعة الأمريكية بيروت" نوقش فيه قضيّاً تربوية، وكان عنوان هذا المؤتمر "فلسفة تربوية متّجدة لعالم عربي يتّجدد".

وتولت دار الكشاف بيروت طباعة أبحاث هذا المؤتمر، ونشر عام ١٣٧٦هـ، وقد شارك في هذا المؤتمر "محمد فاضل الجمالي" ببحث عنوانه "فلسفة تربوية متّجدة أهميتها للبلدان العربية" وكذلك شارك "متى عقراوي" ببحث عنوانه: "فلسفة تربوية متّجدة وأثرها في التعليم الإلزامي : نشأته - أهدافه - مغزاه".

كما شارك في هذا المؤتمر كتاب نصريانيون، منهم قسطنطين زريق الذي قدم بحثاً عنوانه: "رسالة الجامعة في عالم عربي يتّجدد" وكذلك شارك "جبرائيل كاتول" ببحث عنوانه "فلسفة تربوية متّجدة والعمل بها في التنظيم والإدارة".

هذه لحة خاطفة عن التبشير بتجديد التربية في البلدان العربية من قبل بعض الذين اسهموا في هذا الميدان

إن ما يهم الباحث هنا هو موقف بعض المربين من الاستراتيجية العربية للتربية ورأيهم فيها وفي تجديد التربية في الوطن العربي بصفة عامة ومنطلقهم في ذلك. عند البحث والتقصي عن هؤلاء يجد الإنسان عجبًا في هذه المواقف ومن هؤلاء

الذين أسهموا في الدعاية للاستراتيجية "محمد أحمد الغنام" الذي قدم بحوثاً متعددة كلها تبني الدعوة إلى تجديد التربية وتطويرها في الوطن العربي وتناصر الاستراتيجية الذي سيقدم الوطن العربي على تبنيها نزولاً عند رغبة "المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم" التي تسعى بخطي حثيثة لإنقاذ الدول بذلك.

ومن الأبحاث التي قدمها "الغنام" في ميدان التربية "استراتيجية التربية في العالم العربي" وهو بحث مقدم إلى "المؤتمر التربوي لتطوير التعليم ما قبل الجامعي" المنعقد بدمشق من (٣-٨ آب، عام ١٩٧٤م).

كما شارك "الغنام" ببحث آخر عنوانه: "مستقبل التربية في البلدان العربية" نشر في مجلة "التربية الجديدة" في عددها الثاني عام ١٩٧٤م في شهر أبريل، وكذلك قدم بحثاً آخر عنوانه "هل تشهد الدول العربية ميلاد تعليم عربي جديد" نشر في مجلة "التربية الجديدة" العدد العاشر ١٩٧٦م، في شهر ديسمبر وفي عام ١٩٨١م فاجأنا "الغنام" بمقال عنوانه: "حول نظرية عربية جديدة للتربية" نشر في "التربية الجديدة" العدد ٢٣ السنة الثامنة، وهذا المقال يتبنى ما جاء في الاستراتيجية من مبادئ وغيرها.

ومن يلاحظ هذه البحوث يجد أنها كلها تصب في إناء واحد، وهو تهيئة الجماهير لتقبل الاستراتيجية الجديدة التي تبتتها "المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم" واعتبارها أساساً صالحاً لتطوير التربية العربية؛ لأن الأبحاث التي قدمها "الغنام" ، وإن اختلفت في مسمياتها فالهدف واحد، وهو تغيير عقلية العربي ليتقبل التغيير والتطوير في ميدان التربية والتعليم. وعلى نهج المناصرة وتوعية الناس بهذه الاستراتيجية العربية في التربية قدم "عبد القادر يوسف" بحثاً عنوانه: "حول النظرية العربية في التربية" ، نشر في "المجلة العربية للتربية" العدد الأول، السنة الثانية في شهر يناير عام ١٩٨٢م.

وفي هذا البحث دعا "عبد القادر يوسف" إلى تبني الاستراتيجية وتجسيدها في الوطن العربي تجسيداً عملياً.

وفجأة يظهر بحث آخر لـ"عبد القادر يوسف" عنوانه: "نقد التعليم العربي المعاصر" نشرته مجلة البيان في عددها ٢٣٤ ، الصادر في شهر ذي الحجة عام ١٤٠٥هـ، (ص ٤-٢٩).

ويصاب الإنسان بالخيرة والدهشة؛ لأنه يتوقع أن "عبد القادر" سيأتي بما لم تأت به الأوائل في هذا البحث وأنه ربما عاد عن مناصرته الاستراتيجية، ودعا إلى تصحيح مسار التربية في العالم العربي وجعلها تنطلق من منطلقات إسلامية لا من أفكار وأراء مستوردة، ولكن النغمة ما زالت مسيطرة على فكره وعقله إذ هو في هذا البحث يدعو إلى تبني الاستراتيجية؛ لأنها تعتبر الأمل لتطوير التربية العربية وفعلاً كما عبر في هذا البحث نفسه عن التربية الغربية بأنها تسعى إلى سياسة التجهيل للأجيال القادمة وهو أيضاً يسير في هذا المسار كما في الأثر المشهور رمتي بداعيها وانسلت.

كما أن من أعجب العجائب في ميدان مناصرة الاستراتيجية وتوعية الجماهير بها بصورة مقصودة أو غير مقصودة ما جاء به لطفي برؤسات أحمد في بعض مؤلفاته التي ضمنها بعض ما ورد في الاستراتيجية دون الإشارة إلى موضع الاقتباس ومن هذه المؤلفات كتابان مهمان في ميدان التربية هما:

- ١ - فلسفة تربوية عربية طبعته دار المريخ بالرياض، عام ١٤٠٢ هـ.
- ٢ - التربية الإسلامية، طبعته دار العربي للنشر بالقاهرة، ١٩٩٢ م.

وعند الاطلاع على هذين المؤلفين على الرغم من الفارق الزمني بينهما حوالي عقد من الزمن إلا أن التشابه واقع.

فالكتاب الأول تخلله فصل عنوانه: "مصادر اشتقاء الفلسفة التربوية المقترحة" ابتداء من ص ٨٧ حتى ص ٩٥، وعند قراءة هذه المصادر بتمعن يجد أنها تحتوي على المبادئ المضمنة في "استراتيجية تطوير التربية العربية" غير أن المؤلف "لطفي برؤسات" أهلل الإشارة إلى المرجع الذي استقى منه هذه المعلومات.

وأما الكتاب الثاني: فقد احتوى على فصل عنوانه: "فلسفة تربوية إسلامية مقترحة" وفي البحث الثاني منه ذكر المؤلف "المبادئ العامة لفلسفة تربوية إسلامية"، ابتداء من ص ١٠١ - ١٠٧، وعند قراءة هذه المبادئ بدقة يجد المرء أنها هي المبادئ الواردة في "استراتيجية تطوير التربية العربية"، وإن كان وأضاف عليها شيئاً ما من عنده إيهاماً للقارئ وتضليلًا عليه، ولم يعز هذه المعلومات إلى مظانها كما صنع في كتابه الأول.

وهنا يتساءل الإنسان عن الهدف الذي يسعى إليه المؤلف من خلال كتابيه

السابقين وما الهدف من تكرار المعلومات تحت عناوين مختلفة؟ .

وهل المؤلفان هما بمعنى واحد فالفلسفة التربوية العربية = التربية الإسلامية؟ ولم الخلط بين المفاهيم وأقحام أحدهما في الآخر؟ وهل يغيب على دكتور الفرق بينهما؟ وكيف يتأتى من كاتب قد يرى مثل هذا العمل الذي عجز فيه صاحبه أن يفرق بين المعنيين السابقين للمؤلفين؟

وإذا كان مرور الزمن عاملاً مؤثراً في النسيان فهل معنى هذا أن "لطفي برکات" لم يطور معلوماته وبقيت كما هي إلا أن التغيير في الشكل لا في الجوهر؟ أما علم "لطفي برکات" أن هذه المبادئ التي قدمها في كتابيه الأول والثاني عليها ملحوظات وانتقادات على الرغم من أنه يعتبرها من المسلمات ، ولهذا لم يتعرض لها بالنقد والتوجيه؟ .

إن التأليف الذي يتلزم صاحبه الإتقان ويتقى ما هو أفضل قاصداً من وراء ذلك وجه الله سبحانه وتعالى يجد قبولاً عند الناس ويوفق صاحبه للصواب إذا كان ملخصاً لله سبحانه وتعالى .

أما المؤلفات العصرية فأكثرها نقول وتكرار ومقتبسات ويكتبها أصحابها غالباً لغايات تجارية سعياً وراء المادة ومتطلبات التسويق ولهذا يكثر فيها الخلط والتخييط والإitan بالتناقضات بما لا يستفاد منه إلا التزير اليسير .

وفي المسار نفسه يقدم "أحمد التهامي أحمد" (١٤٠٥هـ) مقالة عنوانها: "نحو استراتيجية تربوية" وهو عنوان مستوحى من "استراتيجية تطوير التربية العربية" وفي هذه المقالة أشاد صاحبها بالاستراتيجية العربية للتربية؛ لأنها في نظره تدعوا إلى الأصالة والمعاصرة. وقد نشرت هذه المقالة في مجلة المنهل ع / ٣٦، شعبان، رمضان عام ١٤٠٥هـ، (ص ١٧٦-١٨١).

كما أن "حسن إبراهيم عبد العال" (١٤١٤هـ) يعتبر من الداعين إلى استراتيجية تربوية إسلامية، وفي مقالة له بهذا العنوان نشرتها مجلة التضامن الإسلامي في شهر صفر (١٤١٤هـ)، من ص ٢٩-٣٢، أكد فيها على أن تكون للMuslimين نظرية تربوية أصلية تقوم على أساس من الإسلام لكنه ختم مقالته بهذه بسؤال، وهو هل من سبيل إلى نظرية عربية إسلامية للتربية؟ وإن كان يفهم من خلال مقالته السابقة أن تصوّره

للنظرية التربوية غير واضح ..

ويبدى النصراوي "منير بشور" (١٤١٦هـ) - وهو من الذين أوكل إليه نقد الاستراتيجية - رأيه في "استراتيجية تطوير التربية العربية" في كتابه "التربية العربية، التعليم في العالم العربي في القرن الحادى والعشرين" الذى نشرته دار نلسن ، لبنان ، بيروت ، عام (١٤١٦هـ)، حيث أورد في الفصل الثالث منه "أى تربية عربية لأى مستقبل" مشيداً بأن العرب بدأوا يهتمون بمستقبل التربية أو بتربية المستقبل في السنوات الأخيرة.

وأن الاهتمام بال التربية المستقبلية يعود إلى صدور تقرير ايدجارفور وزملاؤه بعنوان : "تعلم لتكون" (عام ١٣٩٢هـ).

وكان الإنهاز الرئيسي للعرب في التربية المستقبلية وضع وثيقة مهمة صدرت عام ١٩٧٩م ، عن : "المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم" بعنوان : "استراتيجية تطوير التربية العربية" «كانت بخطوطها العريضة محاكاة لما جاء في تقرير "ايدجارفور"». (ص ٥٣).

وعند الرجوع إلى الكتاب السابق الذكر "تعلم لتكون" وجد الباحث اهتماماً بالبدأ الإنساني في (ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢١٨ ، ٢٢٢).
والبدأ القومي في (ص ١٠٧ ، ٢٤٢ ، ٣٠٩).

والبدأ الديمقراطي في (ص ١٢١ ، ١٣٣ ، ٢١٥).

ومبدأ التربية للعلم في (ص ١٤٦ ، ١٤٨ ، ٢٣٧).

ومبدأ التربية للعمل في (ص ٣٣١ ، ٣٣٢).

وهذه هي المبادئ الواردة في "استراتيجية تطوير التربية" وهي مستقاة ومقتبسة من كتاب "تعلم لتكون" .

واعتبر "منير بشور" (١٤١٦هـ) تقرير استراتيجية تطوير التربية العربية بأنها «حوت كل شيء ولم تحو شيئاً». (ص ٥٥).

ومن وجهة نظر محرري الاستراتيجية يعتبر التقرير منعطفاً جديداً في حركة التربية في الوطن العربي ، من حيث أنه أول وثيقة تطرح استراتيجية تربية كبيرة للوطن العربي». (الشرف وأخرون ، استراتيجية تطوير التربية العربية ، ١٤٠٠هـ ، ص ١١).

وفي كتاب "دراسات في المجتمع العربي" الذي أصدره "اتحاد الجامعات العربية" الأمانة "عمان، المملكة الأردنية الهاشمية" (١٤٠٦هـ)، فصل عنوانه: "التربية والتعليم في المجتمع العربي" لصاحبها "غاظم بن سعيد العبيدي" ويببدأ من ص ١١٤ حتى ص ٤٤٠، أوقفه صاحبه على الثناء والتبرجيل لما جاء في "استراتيجية تطوير التربية العربية"، واعتبارها أساساً صالحاً لتطوير التربية في العالم العربي.

وفي "رسالة المعلم" الأردنية، العدد الثالث، المجلد الواحد والثلاثون، ربيع الأول، عام ١٤١٢هـ، قدم "عزت جرادات" (١٤١٢هـ) عنواناً هو: "نظرة في التعليم الابتدائي في الوطن العربي واقعه وتطويره (من ص ٥-٢٦)" تحدث فيه عن أهمية التعليم الابتدائي من منظور عالمي معتمداً على الإحصاءات الكمية والبعد النوعي، ثم تناول بعد ذلك أهمية التعليم الابتدائي في الوطن العربي من (ص ٩-٢٥) مؤكداً على أهمية تطويره وترقيته وسبيل ذلك تبني المبادئ التي وردت في "استراتيجية تطوير التربية العربية" واعتبارها أساساً صالحاً لتطوير التربية في الوطن العربي.

أما الدكتور "حسن شحاته" (١٤١١هـ) فقد أورد في كتابه "التربية الإسلامية وأسسه ومتناهجه في الوطن العربي" بعض المبادئ التي وردت في "استراتيجية تطوير التربية العربية" وتبناها دون نقد لما فيها من مفاهيم وتصورات خاطئة (ص ٤٤، ٥٦، ٧٠-٦٩).

أن "المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم" كان لها نشاط بارز في مناصرة "استراتيجية تطوير التربية العربية" التي تعتبر أهم إنجاز لهذه المنظمة.

فقد سخرت الإمكانيات البشرية والمادية التي تمتلكها هذه المنظمة في توعية الجماهير بها بمختلف الوسائل المتوفرة لدى المنظمة ومن هذه الوسائل تسخير "المجلة العربية للتربية" التابعة للمنظمة في التعريف بـ"استراتيجية تطوير التربية العربية" من حيث مبادئها وعناصرها وأسبقياتها وإنجازات بعض الدول في ضوء أسبقيات الاستراتيجية.

وقد كانت الأعداد الواقعة ما بين العدد الأول إلى الرابع عشر مخصصة لهذا الغرض.

وإضافة إلى ذلك قامت " إدارة التربية بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم " بأصدار سلسلة كلها تتحدث عن الاستراتيجية العربية للتربية ، وأفرد لهذه المهمة عنوان مستقل هو : " سلسلة التعريف باستراتيجية تطوير التربية العربية " في الجهة اليسرى من الغلاف ويلي هذا العنوان اسم الموضوع الذي يعالجها الكاتب ، ثم اسم المؤلف .

ومن هذه السلسلة ما يلي :-

أ - ألف " حمد بن إبراهيم السلوم " (١٤٠٢هـ) كتابا عنوانه : " استراتيجية تطوير التربية العربية إلى أين ؟ امتدح فيه بعض المبادئ الواردة في الاستراتيجية .

د - وكذلك ألف " منير بشور " (١٤٠٢هـ) كتابا عنوانه : " اتجاهات التربية في البلاد العربية على ضوء استراتيجية تطوير التربية العربية ، نشرته وحدة البحث التربوي بالمنظمة .

إن الباحث هنا يحاول أن يقدم المزيد عن حقيقة " استراتيجية تطوير التربية العربية " لتكون الصورة عنها أكثر وضواحا وجلاء عند القارئ .

بعد القراءة المتأنية والتتبع لمبادئ هذه الاستراتيجية تأكد للباحث أن " المنظمة الدولية للتربية والثقافة والعلوم " " اليونسكو " هي المصدر الوحيد " للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم " في ميدان التربية والتعليم ، بل وتعتبر أهم رافد ومصدر رئيسي لتدعم " استراتيجية تطوير التربية العربية " في تبني الأفكار والمفاهيم والتصورات التي تقدمها هذه المنظمة .

و « إن تجديد التربية - كما يقول محررو الاستراتيجية - ميدان من صميم اختصاص منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة " اليونسكو " وعلى رأس الأسبقيات في برامجها ». (الشريف وأخرون ، استراتيجية تطوير التربية العربية ، ١٤٠٠هـ ، ص ٣٧٦).

ليس هذا فحسب بل « تشكل الأمم المتحدة اليوم أحد الآمال الكبرى للإنسانية لبناء مستقبل يسوده السلام والوئام بين الشعوب ويكون هدفه الازدهار الشامل والإخاء الإنساني ». (الشريف وأخرون ، ١٤٠٠هـ ، ص ٢٠٥).

إن منظمة " اليونسكو " التي تستقي " المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم "

مصادرهَا في التَّرْبِيَّةِ مِنْهَا هِيَ مُنظَّمةٌ صَلَبِيَّةٌ يَهُودِيَّةٌ حَاقدَةٌ عَلَى الإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ تَنْفَثُ سُمُومَهَا وَتَبْثُ مُفَاسِدَهَا عَنْ طَرِيقِ الْإِهْتِمَامِ بِالتَّرْبِيَّةِ وَتَقْدِيمِ الْإِسْتِشَارَاتِ عَنْهَا لِلْوَطَنِ الْعَرَبِيِّ تَتَسْتَرُّ بِلْبَاسِ بَاطِنِهِ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قَبْلِهِ الْعَذَابُ. (حسين، حُصُونَنَا مَهَدَّدَةٌ مِنْ دَاخِلِهَا، ١٤١٣هـ، ص ٤-١٦).

وقد ألف "محمد بن عبد الله السمان" (د. ت) مؤلفاً مستقلاً سماه "مفتريات اليونسكو على الإسلام" نشرته دار الإعتصام - القاهرة، وهو مؤلف لا يحتاج إلى مزيدٍ إيضاح.

وَمَا يُؤكِّدُ أَنَّ هَذِهِ الْمُنظَّمةَ تَسْتَهْدِفُ إِفْسَادَ الثِّقَافَةِ فِي الْعَالَمِ وَتَهْدِيمَ مُقَوْمَاتِهِ الْفَكِيرِيَّةِ مَا كَتَبَهُ "جَمَالُ بْنُ عَبْدِ الْهَادِيِّ" وَزَمِيلُهُ "عَلَى أَحْمَدَ لِبْنِ" (١٤١١-٧هـ) فِي كِتَابِيهِما "الْتَّطْوِيرُ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَالتَّضْلِيلِ" عَنْ هَذِهِ الْمُنظَّمةِ "الْيُونَسْكُو" قَائِلِينَ:

«إنه لشئء مؤلم حقاً أن تكتشف فجأة تورط منظمات عالمية لها مكانتها في التآمر على عقول المسلمين ومؤسساتهم التعليمية، ومن ذلك منظمة اليونسكو التابعة لهيئة الأمم المتحدة، وما يؤلم أكثر أن تكتشف أن هناك مشاركاً لها في تلك المؤامرة من بني جلدتنا وهم أعضاء المنظمة العربية للتعليم والثقافة التابعة لجامعة الدول العربية حيث تبنت كل من اليونسكو، والأليسكو ومؤسستين غربيتين آخريين قيام منظمة عالمية خبيثة إسمها "الإسلام والغرب" تخصصت في الدس على المناهج والمقررات الدراسية في العالم الإسلامي» (ص ٢٧).

ويقول "عبد الرحمن بن زيد الزندي" (١٤١٤هـ) : في بحثه "العصرانية في حياتنا الاجتماعية" والذي نشرته "مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية" في العدد العاشر، جمادي الآخرة ، : «إن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم هي منظمة منحرفة في توجيهاتها ، ورجالها وعامة من تستعين بهم في أنشطتها فهي تستعد من بحثها وتحارب الفكر الإسلامي ذاته». (ص ٣٩٦).

ويؤكّد انحراف منظمة "اليونسكو" عدد من كبار المربّين المسلمين، منهم: "حسن جودة" وزملاؤه الستة (١٤١٤هـ) في كتابهم "المؤامرة على التعليم والمعلم" قائلين: «كانت "اليونسكو" عند إنشائها تتجنّح إلى الفكر الإلحادي الصريح حيث تولّى رئاسة اللجنة التحضيرية للمؤتمر التأسيسي الأول "جولييان هكسلي" البريطاني

الجنسية، والذي وضع في كتابه "اليونسكو أهدافها وفلسفتها" نظرية اسمها "الإنسانية الارتقائية" لتحليل محل الأديان والفلسفات المحلية، وذلك بحجة تذويب الفوارق الثقافية بين الشعوب لتجنب الصراعات الدولية». (ص ٨١).

وإذا كان "الزنيدي" (١٤١٤هـ) قد أصاب كبد الحقيقة عند ما وصف "المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم" بأنها منظمة منحرفة في توجهاتها فقد سبقه إلى هذا الاستنتاج "جمال سلطان" (١٤١٢هـ) الذي كتب عن هذه المنظمة ثلاثة حلقات متتالية تحت عنوان: "الغزو من الداخل" وقامت بنشر هذه المقالات مجلة "المسلمون" في أعدادها (٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢) وكانت هذه المقالات منصبة على "قراءة في وثائق المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم" جاء فيها إن «خط الانحراف بارز في جهودها وتوجيهاتها والتصميم الشديد الواضح على استبعاد كل من يحمل فكرا إسلاميا عن المشاركة في إعداد أو حتى مناقشة أية برامج أو خطط للإصلاح الثقافي وتحولت منظمتنا الثقافية بسرعة إلى دائرة مغلقة تضم نخبة الماركسيين والعلمانيين والبعثيين والمترفين والشعوبين من دعاة القيnicية».

(ع/ ٣٤٠، ص ٩).

وأكيد "جمال سلطان" (١٤١٢هـ) على أن أبشع الجرائم التي ارتكبتها هذه المنظمة المشبوهة هي "تبني الخطة الشاملة للثقافة العربية" والذي وصفها "محي الدين صابر" بأنها «جهد تاريخي ظل حلمًا قوميًا غالياً فاستوى عملاً صالحًا امتلكت به الأمة العربية وهي تواصل مسيرة التقدم الحضاري وثيقة فكرية بيّنة في هذا المستوى»

(ع/ ٣٤٠، ص ٩).

واستطرد "جمال سلطان" (١٤١٢هـ) ينقل أفكاراً واردة في الخطة الشاملة يقشعر من سماعها الجلود والأبدان، منها:-

أ - إن انتشار الإيمان بالغيب "الفكر الغيبي" أهم أسباب انتكasaة الحضارة العربية .
 ب - إذا كان الدين عنصر الوحدة في القرون السابقة فإن القومية هي عنصرها في العصر الحديث .

ج - ابن الرواندي الملحد أغنى الثقافة العربية وسدّد لها طريقها وعمق لها إيمانها .
 د - الحضارة الأوروبية حضارة مطلقة تعنى أنها قابلة للتطبيق في كل زمان ومكان

بينما الحضارات السابقة تاربخية نسبية .

هـ- البحث عن هوية للأمة عبث فكري لا قيمة له .

و - إن لثقافة العربية لم تكن في الواقع مجرد حلقة وصل بين الثقافة اليونانية والثقافة الأوروبية الحديثة ، بل كانت بالفعل إعادة انتاج للثقافة اليونانية .

ز - النبي ص كان يدير سياسته بفكر عقلاني لا بفكر ديني .

ح - على استراتيجية الثقافة العربية أن تحذر السقوط في حبائل الفكر الديني .
(ع / ٣٤٠ ، ص ٩).

ويؤكد " جمال سلطان " (١٤١٢هـ) خطورة الخطة الشاملة للثقافة العربية قائلاً : «بدأت خط انحرافها منذ البداية حينما دعت ثمانية عشر مفكراً أو أدبياً من مختلف أنحاء العالم العربي ليكونوا بمثابة لجنة التخطيط والإدارة لهذا المشروع الثقافي الضخم هذه اللجنة لم يكن بين أعضائها الثمانية عشر عالم حقيقي واحد» (ع / ٣٤١ ، ص ٩).

إن أكبر لطمة وقعت للعالم العربي وهو يتفرج على هذه المنظمة ، وهي تنهش الدين نهشاً وتقطعه أو صالاً عن طريق المخططين للثقافة العربية ، وخاصة عند مناقشة "محور الفكر الإسلامي" الذي أوكلته "لفكر فرنسي من أصل جزائري هو "محمد أركون" وليس الرجل بالجهول حتى نظن أن اللجنة قد خدعت فيه فالرجل مشهور بطعنه في الإسلام ونقده لآيات قرآنية بدعاوى اخضاعها للنقد المعرفي ناهيك عن تشويه المؤلف لتاريخ الإسلام وعدائه التقليدي للصحوة الإسلامية و "محمد أركون" دون فئات العلماء والدعاة والمفكرين المسلمين يوكل إليه وضع مسودة مشروع بناء الفكر الإسلامي في عقول الجيل العربي الإسلامي الجديد» .
(ع / ٣٤١ ، ص ٩).

وهكذا لو استقصى الإنسان المسلم العلماء الذين أوكلت إليهم المنظمة مناقشة "الخطة الشاملة للثقافة العربية" لم يعثر على عالم واحد يستحق أن يؤهل لهذه المكانة ، وهي انتقائية مقصودة في إطار توجيهه معين وإلا فالعالم العربي والإسلامي يتعجب بالعلماء الأفذاذ الذين يشار إليهم بالبنان وهم في مستوى المسؤولية لكن لجوء "المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم" إلى مثل هؤلاء المشبوهين يضع علامة استفهام عن الهدف من ذلك؟

وعند إنعام النظر في المؤلفات والبحوث والمقالات التي تناولت "استراتيجية تطوير التربية العربية" يمكن تصنيفها إلى ما يلي :-

أ - مؤلفات ومقالات هدفها في الدرجة الأولى التوعية بهذه الاستراتيجية وتبني ماجاء فيها، والاعتماد عليها مستقبلا باعتبارها أساسا صالحا لتطوير التربية في الوطن العربي ، إذ هم يرددون ما تقوله "الاستراتيجية" دون فهم لمضمونها ومحتوها ، وبالتالي فهم يسيرون في فلكها ويعتنقون أفكارها.

ب - مؤلفات طلب من أصحابها نقد الاستراتيجية فقدم وجهة نظره التي كانت متضمنة لنقد حفيظ وغير عميق ومن هؤلاء "منير بشور" (١٤٠٢هـ) في مؤلفه "اتجاهات التربية في البلاد العربية على ضوء استراتيجية تطوير التربية العربية" والتي طبعته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عام (١٩٨٢م) واحتوى على ثمانية عشرة ومائتين صفحة واستعرض فيه مؤلفه اتجاهات التربية العربية والمحاولات القائمة لتطويرها عن التعليم الأساسي وتنويع التعليم الثانوي وتطوير الإدارة التربوية .

وأكمل "منير بشور" بعد استعراضه التعليم الأساسي وغيرها على أنه يجب «القبول والتسليم بالأفكار والأهداف الكبرى التي جاءت في تقرير الاستراتيجية مع الأصالة . . . على أنها صحيحة ولازمة وضرورية لحياتنا العربية». (ص ٢١٥).

ج - مؤلفات كان مجهد أصحابها قائما على تلخيص "استراتيجية تطوير التربية العربية" لا أقل ولا أكثر مع دعوته إلى تبني بعض المبادئ الواردة فيها زاعما أنها توافق بعض مبادئ الإسلام الحنيف ومن هؤلاء "حمد بن إبراهيم السلوم" (١٤٠٢هـ) في كتابه الذي عنوانه : "استراتيجية تطوير التربية العربية إلى أين؟".

د - هناك مقالات تبنت ما جاء في "استراتيجية تطوير التربية العربية" ولكن أصحابها تظاهر مرة أخرى بأنه من الغيورين على الوضع التربوي المتردي القائم في العالم العربي وبالتالي قام ببنقده ودعا إلى تطويره وتجديده ، وكانت دعوته تعتبر امعانا في التضليل وزيادة في استخدام سياسة التجهيل والهدم والتغريب ومن هؤلاء المدعو / "عبد القادر يوسف" الذي يعتبر من الرعيل الأول لتبني ما جاء في

الاستراتيجية ومن الذين نادوا بتربيـة عـربية ولم يـأت بشـيء جـديـد في هـذا المـيدان غـير تـردـيد ما جـاء في الاستـراتـيجـية دون وـعي ولا فـهم لـهـا، ويـكـنـ أنـ يـدرـجـ معـ الصـنـفـ الأولـ.

هـ - وـهـنـاكـ مـقـالـاتـ حـاولـ أـصـحـابـهـاـ عـنـ حـسـنـ نـيـةـ أـنـ يـبـدوـاـ وـجـهـةـ نـظـرـهـمـ حـوـلـ "ـاسـتـراتـيـجـيـةـ تـرـبـوـيـةـ"ـ لـلـوـطـنـ الـعـرـبـيـ أـوـ "ـاسـتـراتـيـجـيـةـ تـرـبـوـيـةـ إـسـلـامـيـةـ"ـ وـلـكـنـهـمـ اـخـفـقـواـ فـيـ الـطـرـحـ وـلـمـ يـحـالـفـهـمـ النـجـاحـ فـيـ ذـلـكـ وـإـنـ كـانـوـاـ يـمـتـلـكـونـ ثـقـافـةـ إـسـلـامـيـةـ لـأـبـاسـ بـهـاـ إـلـاـ أـنـ مـسـاـهـمـتـهـمـ غـيرـ وـاضـحةـ الـمـعـالـمـ وـالـرـؤـيـةـ شـابـهـاـ الـغـمـوـضـ،ـ وـمـنـهـمـ "ـأـحـمـدـ التـهـامـيـ"ـ وـ"ـحـسـنـ إـبـرـاهـيمـ عـبـدـ الـعـالـ"ـ،ـ وـ"ـحـسـنـ شـحـاتـهـ"ـ وـكـلـهـمـ لـمـ يـسـلـمـوـاـ مـنـ غـبـارـ التـبـعـيـةـ الـفـكـرـيـةـ

وـ - وـهـنـاكـ مـؤـلـفـاتـ جـمـعـ أـصـحـابـهـاـ بـيـنـ الثـقـافـةـ الـغـرـبـيـةـ وـالـثـقـافـةـ إـسـلـامـيـةـ،ـ وـهـمـ يـمـتـلـكـونـ تـصـورـاـ صـحـيـحاـ وـفـكـرـاـ سـلـيـماـ وـمـؤـلـفـاتـهـمـ تـنـزـعـ إـلـىـ تـوـضـيـعـ الـآـرـاءـ الـمـخـالـفـةـ وـبـيـانـ الـصـوـابـ فـيـهـاـ وـبـاعـهـمـ فـيـ هـذـاـ مـيـدـانـ طـوـيلـ وـهـمـ مـعـرـوفـوـنـ بـتـوـجـهـاتـهـمـ إـسـلـامـيـةـ وـمـنـ هـؤـلـاءـ "ـجـمـالـ سـلـطـانـ"ـ (ـ١٤١٢ـهـ)ـ الـذـيـ قـدـمـ نـقـداـ عـلـمـيـاـ عـنـ الـمـنظـمـةـ الـعـرـبـيـةـ وـبـعـضـ إـنـجـازـاتـهـاـ مـنـ خـلـالـ مـقـالـاتـهـ الـتـيـ نـشـرـتـهـاـ مـجـلـةـ (ـالـمـسـلـمـونـ تـتـابـعـاـ فـيـ أـعـدـادـهـاـ رـقـمـ :ـ ٣ـ٤ـ٠ـ،ـ ٣ـ٤ـ١ـ،ـ ٣ـ٤ـ٢ـ).

وـ كـذـلـكـ قـدـمـ الدـكـتـورـ "ـبـشـيرـ حـاجـ التـومـ"ـ (ـ١٤١٢ـهـ)ـ نـقـداـ عـلـمـيـاـ رـصـيـناـ لـبعـضـ مـاجـاءـ فـيـ الـاسـتـراتـيـجـيـةـ مـنـ مـبـادـئـ وـذـلـكـ مـنـ خـلـالـ كـتـابـهـ الـمـوسـومـ "ـالـسـبـيلـ إـلـىـ بـنـاءـ فـكـرـ تـرـبـويـ إـسـلـامـيـ لـدـيـ الـمـلـمـ"ـ وـاتـسـمـ نـقـدهـ بـالـمـوـضـوعـيـةـ وـالـمـهـجـيـةـ الـفـكـرـيـةـ.

٥- من إيجابيات الاستراتيجية:

لا يـشكـ أـحـدـ فـيـ أـنـ الـاسـتـراتـيـجـيـةـ تـضـمـنـتـ إـيجـابـيـاتـ وـمـزاـياـ كـثـيرـةـ مـنـهـاـ :

- مـرـتـ الـاسـتـراتـيـجـيـةـ بـقـنـوـاتـ مـتـعـدـدـةـ وـنـوـقـشـتـ فـيـ نـدـوـاتـ كـثـيرـةـ وـعـقـدـ مـنـ أـجـلـهـاـ الـمـؤـمـرـ تـلـوـ الـأـخـرـ حـتـىـ ظـهـرـتـ بـهـذـهـ الصـورـةـ الـتـيـ هـيـ عـلـيـهـاـ وـهـذـاـ يـعـنـيـ أـنـ بـذـلـ فـيـهـاـ مـجـهـودـ كـبـيرـ وـتـعـرـضـتـ لـلـنـقـدـ وـالـصـيـاغـةـ وـالـتـمـحـيـصـ.

- تـهـدـيـفـ الـاسـتـراتـيـجـيـةـ إـلـىـ إـيـجادـ مـجـتمـعـ مـتـعـلـمـ مـوـحدـ الـأـفـكـارـ وـالـأـهـدـافـ بـحـيثـ يـظـهـرـ الـعـالـمـ الـعـرـبـيـ مـوـحدـاـ مـتـمـاسـكـاـ فـيـ بـيـنـهـ فـيـ نـهـاـيـةـ الـقـرـنـ الـعـشـرـينـ.ـ (ـقـمـبـرـ،ـ اـسـتـراتـيـجـيـاتـ الـإـلـصـالـحـ فـيـ الـوـطـنـ الـعـرـبـيـ،ـ ١٤١٤ـهـ،ـ صـ ١٨٤ـ).

- تعتبر الاستراتيجية متكيفة مع عصرها وبيتها وهي تقدم مادة غنية في أصول الفقه التربوي. (قمبر، ١٤١٤هـ، ص ١٨٥).
- تركز على قومية التحويل العربي في مجالات التربية والتنمية على السواء.
- تؤكد على ديمقراطية التربية وتعتبرها حقاً أصيلاً للمجتمع.
- تدعوا إلى الانفتاح على الحضارة المعاصرة بجوانبها السليمة وتستفيد من تجارب الشعوب وخبراتها ومن تطور الفكر التربوي الحديث.
- استخدم المحررون لهذه الاستراتيجية غالباً لغة عربية سهلة وواضحة.
- طبعت طباعة أنيقة.
- الفصول مرتبة ترتيباً لا بأس به ومنظمة تنظيماً جيداً.
- المحررون لها من ذوي الكفاءات العالية ولهم مشاركات في ميدان التربية والتعليم طويلة وخبرة جيدة إذ شارك هؤلاء في تحديث التربية والتعليم في الوطن العربي.
- تؤكد على أن ترسیخ الحدود والحواجز بين شعوب العالم الإسلامي هو من قبيل المستعمر. (الشريف وأخرون، استراتيجية تطوير التربية العربية، ١٤٠٠هـ، ص ١٨).
- تدعوا إلى الاهتمام باللغة الفصحى واهتمام العامية. (الشريف وأخرون، ١٤٠٠هـ، ص ٢٢).
- تدعوا إلى الحفاظ على الثروات الطبيعية وعدم تبذيرها وتبذيرها. (الشريف وأخرون، ١٤٠٠هـ، ص ٢٥-٢٦).
- تنفر من الاعتداد بالفروق العنصرية بين الشعوب. (الشريف وأخرون، ١٤٠٠هـ، ص ٢٥).
- تؤكد على الاستفادة من الفلسفات الأخرى دون انصهار أو ذوبان في كيانها بل يقف الإنسان منها موقف الناقد المبدع. (الشريف وأخرون، ١٤٠٠هـ، ص ٥٠).
- تشيد بفضل العرب في الميادين المختلفة. (الشريف وأخرون، ١٤٠٠هـ، ص ٥١).
- تؤكد على أن العلم لا يقتصر على الجانب المادي فقط بل يتعدى إلى جوانب أخرى.
- (الشريف وأخرون، ١٤٠٠هـ، ص ٢٣).
- تؤكد على أن الإسلام نظام حياة. (الشريف وأخرون، ١٤٠٠هـ، ص ٤٦).

- تؤكد على أن سلامة العقيدة « يجعل لها في العالم المعاصر رسالة عظمى في إصلاح أحوالها وإقامة نظام مجتمعاتها على أساس من القيم الإنسانية السامية في العدل والمساواة والتعاون والتكافل بين أبنائهما ». (الشريف وأخرون، ١٤٠٠هـ، ص ٢٥).

٦- بعض السلبيات الواردة في الاستراتيجية:

هناك سلبيات كثيرة لا داعي لذكرها كلها هنا وسيورد الباحث بعضاً منها ليؤكد أن أعمال البشر دائماً معرض للنقص والقصور، ولا بد أن يعتريه الخطأ والخلل والزلل وهذه من صفة البشر، ومن سلبيات الاستراتيجية ما يلي :-

- أن الأفكار التي جاءت بها لم تنبع من تجارب عربية خالصة، بل جاءت من نظريات مختلفة ومشارب متعددة.

- أغلب ما جاء فيها كان نتيجة إمام بعضيات الفكر الإنساني ونظريات الأدب التربوي العالمي وهي معبرة عما يمتنع به أصحابها من ملاحظة علمية. (قمبر، استراتيجيات الإصلاح في الوطن العربي، ١٤١٤هـ، ص ١٧٥).

- إن النماذج التي قدمتها الاستراتيجية في الفصل الثامن غير موافق عليه وذلك لأن دول كل نموذج قد تشتراك في خصيصة أو أكثر، ولكنها تختلف في صفات أخرى وهذا يمنع حقيقة التمايز التام فيما بينها فمثلاً: كيف يسوى بين دولة لبنان والكويت فالأخير عرف التعليم الحديث منذ العقود الأولى من القرن التاسع عشر الميلادي، بينما لم تعرف المدرسة الحديثة في الكويت إلا مع الخمسينات من هذا القرن، وهي مع ذلك تعد أسبق من جاراتها التي لم تعرف التعليم إلا حديثاً. (قمبر، ١٤١٤هـ، ص ١٨٤).

- المراجع والمصادر لم تدرج في آخر الاستراتيجية في طبعة عام ١٤٠٠هـ على الرغم من أنها وردت في طبعة عام ١٣٩٦هـ.

- الخلفيات والمقدمات أخذت أكثر من نصف التقرير وهذا يعني أن الحديث عن الاستراتيجية نفسها بدأ من الفصل السادس (ص ٢١٧) وكان يمكن إدماج تلك الفصول السابقة في فصل واحد وبإيجاز لكنها أخذت أكبر من حجمها.

- حدث تكرار في الاستراتيجية وخاصة في الفصول الأربع من الاستراتيجية.

- يلاحظ أن الإحصاءات والأرقام في الجداول واللاحق قدية نسبياً تعود إلى عام

١٩٧٢ م - ١٩٧٥ م علماً بأن التقرير طبع في عام ١٩٧٩ م، وكان الأولى أن تعتمد على أحدث الإحصاءات في الجهات الحكومية بدلاً من الاعتماد على الإحصاءات السنوية لليونسكو ومن الكتاب السنوي "منظمة العمل الدولية".

- الفهرست في بداية الاستراتيجية لم يتضمن مفردات المادة بشكل يجذب القارئ بل اعتمدت الفهرسة على العناوين العامة دون الدخول في التفاصيل، وهذه الفهرسة تعتبر من باب التسهيل والتسهيل لمن أراد الرجوع إلى هذه الاستراتيجية.

- محررو الاستراتيجية من ذوي الاختصاصات التربوية والاجتماعية ولا يوجد متخصص واحد في العلوم الدينية ولهذا ظهرت بصماتهم في ثانياً الاستراتيجية وأهمها علم الدين.

- تناولت الاستراتيجية مختلف التحديات التي تواجهها الأمة العربية وأهمت جانب التحدي في مجال العقيدة نظراً للعدم وجود مختصين في ذلك. (الشريف وأخرون، استراتيجية تطوير التربية العربية، ١٤٠٠ هـ، ص ١٧).

- إذا ذكرت الاستراتيجية مؤرخاً غريباً أضفت عليه ألقاباً تتناسب، وإذا ذكرت نبياً من الأنبياء ضفت بالصلة والسلام عليه. (الشريف وأخرون، ١٤٠٠ هـ، ص ٣٨).

- الإسلام مهيمن على الكتب السابقة وليس متمماً لها كما جاء في الاستراتيجية. (الشريف وأخرون، ١٤٠٠ هـ، ص ٤١).

- إهمال الصلاة والسلام على رسولنا سيدنا محمد ص في غير ما موضع. (الشريف وأخرون، ١٤٠٠ هـ، ص ٤٣-٣٧). والاكتفاء بحرف (ص) و(صلعم).

- الإسلام نور وهداية، وليس ثورة حضارية كبرى كما جاء في الاستراتيجية. (ص ٤٢).

- تزعم الاستراتيجية أن مجرد المخالفه في الدين لا تبيح العداوة. (ص ٤٥).

- تدعوا الاستراتيجية إلى دراسة الظواهر الاجتماعية والنفسية بالطريقة التي تدرس الظواهر الكونية الطبيعية. (الشريف وأخرون، ١٤٠٠ هـ، ص ٢١).

- يزعم المحررون أن ازدهار الثقافة في الجانب العلمي مرده إلى التزام منهجية سليمة صادرة من مصادر عقلاني وأخلاقي. (الشريف وأخرون، ١٤٠٠ هـ، ص ٦٧).

- تؤكد الاستراتيجية على أن الجامعة العربية إنما أنشئت لتدعم الروابط القومية.

(الشريف وأخرون، ١٤٠٠هـ، ص ٢٥).

٧- المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الاستراتيجية:

من العيوب التي لحقت بهذه الاستراتيجية أن المصادر والمراجع لم تدون في آخر الاستراتيجية أو في الهوامش الداخلية أو في كل فصل من فصولها وخلت من هذا كله وخاصة طبعة (عام ١٩٧٩م) غير أن الباحث اطلع على نسخة (عام ١٣٩٦هـ) وأنباء تصفحه لقائمة المصادر والمراجع التي دونت في آخر التقرير لفت نظره عدم عثوره على مصدر إسلامي أصيل بل جل هذه القائمة إما مترجمة من لغة أجنبية أو هي لكتاب تشربوا بالثقافة الواقفة أو لكتاب مشبوهين في نزاهتهم العلمية.

إن الاعتماد على المصادر الأجنبية ليس عيبا في حد ذاته؛ لأن الاستفادة من الآخرين من الأمور التي حث عليها ديننا الحنيف فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها، ولكن يجب لمن يطلع عليها أن يكون أهلا لذلك، كأن يكون متسلحا بالثقافة الإسلامية حتى لا تزل به القدم ويقع في مهاوى الردي، وخاصة إذا كانت بضاعته مزاجة في الثقافة الإسلامية فحيثئذ قد يقع في الحيرة والاضطراب ويلتبس عليه الحق بالباطل ولا يميز بينهما ويعتقد صحة ما يقوله الآخرون دون وعي ولا رؤية.

من يطلع على هذه القائمة التي اعتمدت عليها الاستراتيجية يجد أن أول مصدر اعتمد عليه وهو في رأس القائمة تقرير "اللجنة الدولية للتربية" "اليونسكو" برئاسة آيدجار فور وزملاؤه.

ومثل هذه الكتب وغيرها من الكتب المشبوهة يجب أن تستبعد من المراجع وتستبدل بغيرها، أو لا يؤخذ منها شيء إلا من ذوي الاختصاص حتى لا يقع في المحظور؛ لأنها محل نقد من بعض المفكرين المسلمين، وهي مليئة بأفكار وتصورات غير ملائمة ومخالفة للمبادئ والمفاهيم الإسلامية.

وما يلاحظ على هذه القائمة أن محوري الاستراتيجية قاموا بالتعليق على بعض هذه الكتب التي استفادوا منها، ولكنه تعليق جانب الصواب وأظهر للقارئ أنها من الكتب التي يمكن الاعتماد عليها والوثوق بها أثناء بناء استراتيجية تربية عربية؛ لأن التعليق عليها خلا من النقد والتحذير منها، وهذا يعني أنها من الكتب الأساسية المهمة التي اعتمدوا عليها، وقد بلغت صفحات التعليقات والهوامش من قبل

المحررين حوالي ستين صفحة مستقلة عن التقرير في آخره . واستخدم المحررون للاستراتيجية أرقاماً متسللة للاقتباس حيث بلغ عدد هذه الأرقام حوالي مائة وأثنين وخمسين رقماً واستغرقت ستين صفحة في آخر الاستراتيجية .

لا يشك أحد في أن هذه الاستراتيجية قام بإعدادها نخبة من المختصين في العلوم الاجتماعية والتربيوية ، ولم يكونوا مزودين بالثقافة الإسلامية الكافية التي تكون بمثابة حصانة لهم من الوقوع في الأخطاء ، ولهذا خلت من المختصين في العلوم الدينية ، وهذه خطيئة لا تغفر ؛ إذ أن هذه الاستراتيجية هي مقدمة على مستوى العالم العربي ، ويراد لها أن تكون أساساً صالحاً لتطوير التربية في البلاد العربية ، فهل هذا الأساس قوي بهذه الصورة؟ وكيف يتسمى الاعتماد عليها مادامت قد خلت من المختصين في العلوم الدينية؟ .

ما لا شك فيه أن قيمة الأبحاث والدراسات تقوم بالمصدر التي اعتمدت عليها ، وكلما كان المصدر أصيلاً فإن البحث يصبح ذات قيمة علمية ، وكلما كانت المعلومات موثقة من ينابيعها الأصلية كانت قيمتها أكبر بخلاف فيما لو كان المصدر ثانوياً أو مشبوهاً فيه أو غير ثقة فإن القيمة العلمية تقل ويعتبر البحث بحثاً غير علمي ، فكيف وهذه الاستراتيجية تقدم على مستوى العالم العربي وتخلو من الأحاديث والآيات القرآنية غالباً؟ .

إن «الذين لا يعتمدون القرآن والسنة في مصادر دراساتهم وأبحاثهم يحرمون هذه الفوائد». (السلمي، منهج كتابة التاريخ الإسلامي وتدرسيه، ١٤٠٨هـ، ص ٢١٩). أي: يحرمون من الخير والرشاد والتوفيق في أبحاثهم ودراساتهم .

إن المتبع لبداية الاستراتيجية يجد أنها اعتمدت على منظمة دولية هي منظمة "اليونسكو" التي مقرها باريس وكل المؤتمرات سواء لوزراء التربية والتعليم العرب أم للوزراء المسؤولين عن الاقتصاد والتخطيط التربوي - غالباً - عقدت بدعم من هذه المنظمة وباستشارة خبرائها .

فهذه المنظمة تحارب الإسلام جهاراً وسراً ومن ذلك أنها أخرجت كتاباً عن العالم الإسلامي كله مليء بالغالطات والمفاهيم الخاطئة والتشوهات الفكرية واستفادت

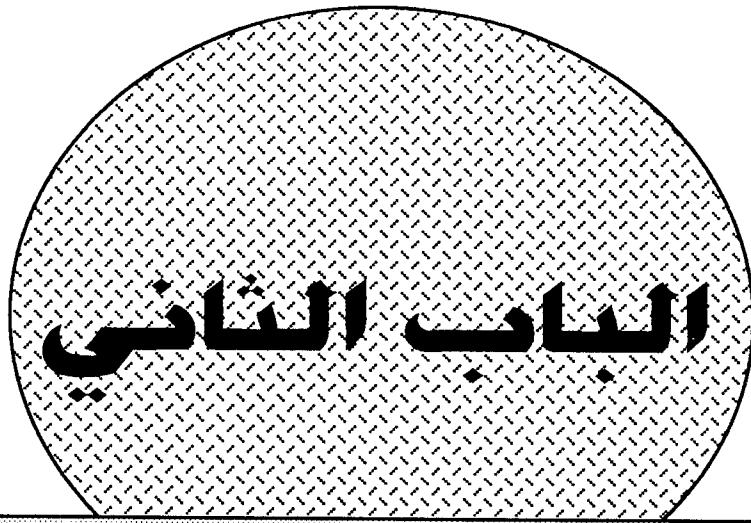
هذه المنظمة في محاربة الإسلام والمسلمين من الخطة التي رسمها التغريب والغزو الثقافي من المستشرقين والمبشرين الذين كانت كتاباتهم ملوءة بالمفاهيم والتصورات السامة ويفلّب عليها الفكر الغربي . (الجندى، أهداف التغريب في العالم الإسلامي ١٤٠٨هـ، ص ٧٣).

ومن هنا فلا بد من الرجوع إلى المصادر الأصيلة والاعتماد على «المصادر الشرعية في كل دراسة تعالج وضعًا من الأوضاع الاجتماعية وتساعد على توجيه المجتمع وتنميته سلوكياً واجتماعياً» (السلمي، ١٤٠٨هـ، ص ٢١٩).

إن المكانة العلمية والاجتماعية لمن قام بتحرير هذا التقرير لا يقتضي من الباحث الغض عن أخطائهم وإظهارها بمظهر الصواب على حساب تشويه المنهج الإسلامي «لأن تبرئة الأشخاص لا تساوي تشويه المنهج» .

« وأنه من الخير للأمة المسلمة أن تبقى مبادئ منهاجها سليمة ناصعة قاطعة وأن يوصف المخطئون والمنحرفون عنها بالوصف الذي يستحقونه - أيًا كانوا - وألا تبرر أخطاؤهم وإنحرافاتهم أبداً بتحريف المنهج وتبديل قيمه وموازينه ، فهذا التحريف والتبديل أخطر على الإسلام من وصف كبار الشخصيات المسلمة بالخطأ أو الانحراف فالمنهج أكبر وأبقى من الأشخاص» (قطب، في ظلال القرآن، ١٣٩٣هـ، ١/٥٣٣).

إن «المنهج أعظم من الأشخاص وأكبر وصيانته أولى وأحرى فالحق لا يعرف بالرجال ولا بكثرة من قاله ، إنما يعرف الرجال بقدر تمسكهم بالحق وإن كانوا هم القلة فالجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك» (السلمي، ١٤٠٨هـ، ص ٢١٣).



دراسة نقدية لبعض المبادئ الواردة
في الاستراتيجية والتعليم الأساسي

كان الحديث في الباب الأول منصباً على الواقع التربوي المتردي القائم في العالم العربي والإسلامي غالباً وتطرق الباب إلى ذكر بعض الجهود الفردية والجماعية التي بذلت لصلاح هذا الواقع التربوي القائم في العالم العربي والإسلامي وخاص "المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم" بتفصيل أكثر؛ وذلك لأنها أخذت على عاتقها وكاهمها إصلاح ميدان التربية والتعليم في العالم العربي وتبنت مشروع تطوير التربية وتكفلت بالقيام به، وذلك من خلال "استراتيجية تطوير التربية العربية" الذي هو موضوع الدراسة.

إن هذه الاستراتيجية أصبحت معلماً بارزاً ومنارة يسترشد بها العالم العربي من وجهة نظر المحررين وأنشئت في كل دولة عربية "لجنة وطنية للتربية والثقافة والعلوم" لها اتصال بهذه المنظمة، وتقوم بدراسة ما تتبناه المنظمة من آراء ومبادئ وتصورات، وتقبل ما كان مناسباً وترفض ما سواه.

هذا الباب يقدم نماذج من المبادئ الواردة في الاستراتيجية التي تريد المنظمة من الدول العربية أن تضمنها في مناهجها الدراسية لتصبح جزءاً أساسياً من حياة المتعلمين، وهذا الباب سيوضح الحقيقة جلية ويكشف العيوب الجوهرية التي تكتف هذه المبادئ ليرى مدى قربها أو بعدها من العقيدة الإسلامية وأهدافها. وسيلمس القارئ أن النظم التربوية القائمة في العالم العربي والإسلامي غالباً بحاجة إلى تأصيل تربوي إسلامي، وأن المبادئ الواردة في الاستراتيجية زادت الطين بلة، ولن تساهم إلا في تعظيم وتشويه مناهج التربية الإسلامية لا أقل ولا أكثر، ويعتبر هذا الباب امتداداً للباب الأول ومكملاً له.

ويشتمل هذا الباب على سبعة فصول:

الفصل الأول : المبدأ الإنساني "التربية للإنسانية".

الفصل الثاني : التربية للإيمان.

الفصل الثالث : المبدأ القومي في التربية.

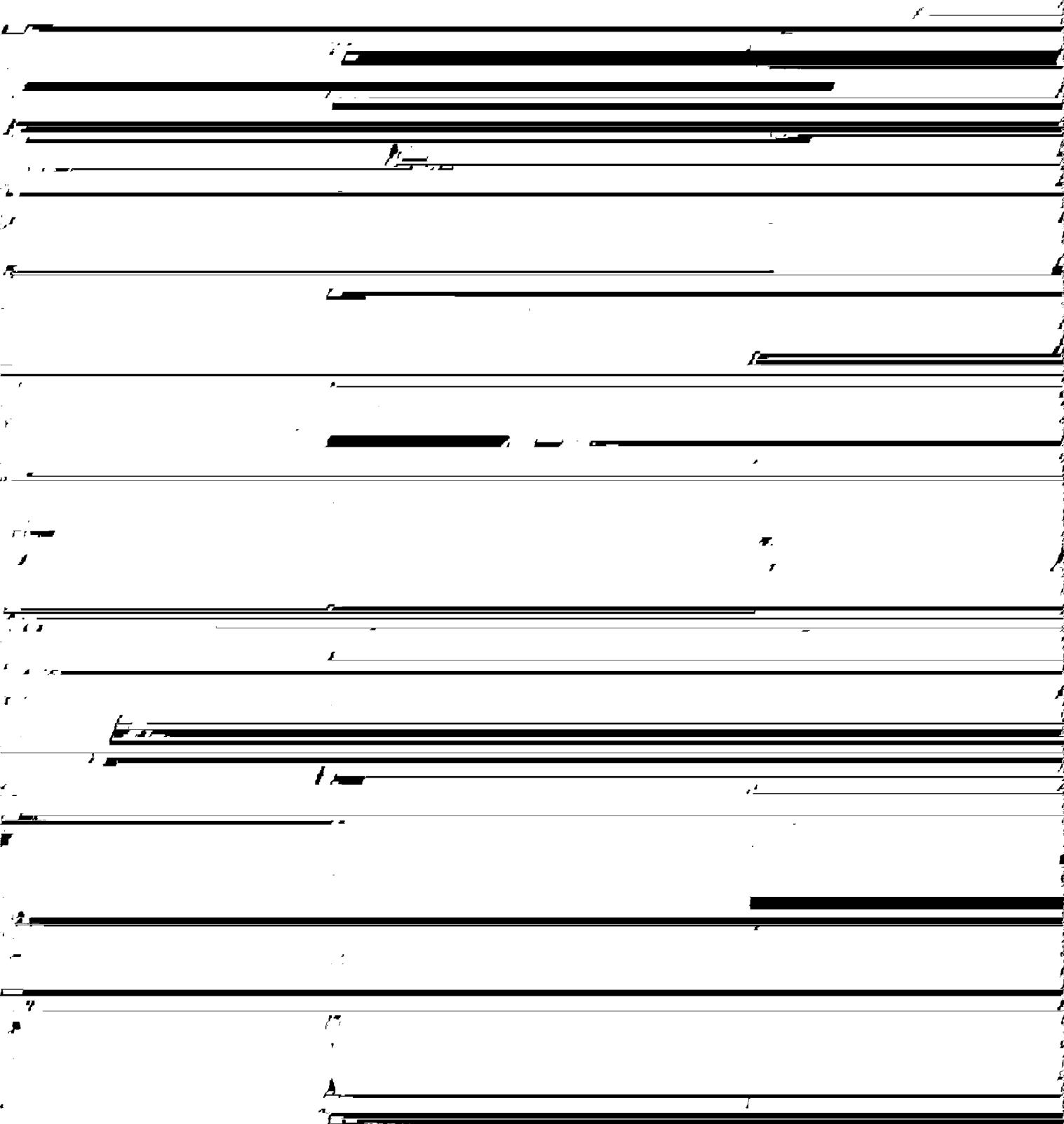
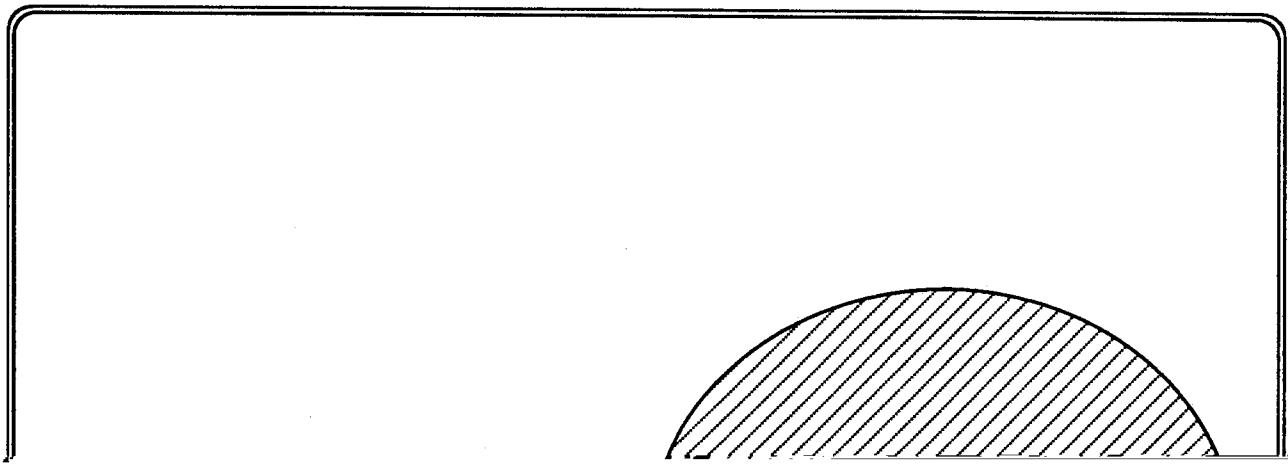
الفصل الرابع : المبدأ الديمقراطي في التربية.

الفصل الخامس : مبدأ التربية للعلم.

الفصل السادس : مبدأ التربية للعمل.

الفصل السابع : التعليم الأساسي.

فيما يلي عرض لموضوعاتها.



تمهيد:

إن الباحث هنا سوف يرجع على معنى ومفهوم هذه المبادئ ليكون ذلك منطلقاً إلى إقرارها أو رفضها بعد اتضاح معناها وما تحمله من مفاهيم وتصورات في ثناياها. ولكن قبل : الولوج في تعريفها يؤكّد الباحث حقيقة يجب أن تكون ماثلة في الأذهان وراسخة في العقول ، وهي أن المبادئ التربوية تعتبر مركبات أساسية يجب أن ينطلق منها ميدان التربية والتعليم ، وهي منارات يسترشد بها العاملون في حقل التربية والتعليم ، وإن فقدان هذه المبادئ يجعل ميدان التربية والتعليم يسير بغير هدٍ وينطلق دون أساس .

كما أن المبادئ التربوية التي يجب أن ينطلق منها ميدان التربية والتعليم لا بد أن ترتكز على عقيدة الأمة الإسلامية وقيمها وخصائصها ، وأي مبدأ ينطلق من غير عقيدة الأمة الإسلامية يعتبر هدماً للعقيدة التي يدين بها المسلمون ، وهو جسم غريب في كيان الأمة الإسلامية يجب التخلص منه ، ووضع مكانه ما يناسبه من المبادئ الإسلامية .

١- تعريف المبادئ:-

إن تعريف المبادئ التربوية الإسلامية يعتبر من أهم الأمور التي يجب مراعاتها أثناء بناء أي " استراتيجية تربوية " أو " بناء نظرية تربوية " قائمة على مبادئ تسعى إلى تحقيقها في نفوس الناشئة ، وفائدة التعريف أنه ينبع الإنسان ويقدم له تصوراً شاملًا عن هذه المبادئ ومرتكزاتها ، وحينئذ تقوم هذه المبادئ من خلال قربها أو بعدها من هذا التعريف الذي سيكون بمثابة منارة يسترشد به أثناء تحليل هذه المبادئ وتقويمها ، وتعتبر بالتالي إطاراً مرجعياً للباحث والقارئ على السواء .

بالرجوع إلى " المعجم الوسيط " (د. ت) عرف المبدأ كما يلي :

« إن مبدأ كل شيء أوله ومادته التي يتكون منها ، والجمع مبادئ » " ومبادئ العلم أو الفن أو الخلق أو الدستور أو القانون : قواعده الأساسية التي يقوم عليها ولا يخرج عنها ». (٤٢ / ١).

وفي القرآن جاء ما يؤكّد هذا في مثل قوله تعالى : ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَيَدْأُ خَلْقَ الْإِنْسَنِ مِنْ طِينٍ﴾ (السجدة ، ٧) .

ويقول "أبو حبيب" (١٤٠٢هـ) عن المبدأ بأنه في اصطلاح الناس جمِيعاً هو: «الفكر الأساسي الذي تبني عليه أفكار». (الوجيز في المبادئ السياسية في الإسلام، ص ٤١). ويزيد الأمر وضوحاً مرب معاصر فيقول:

«تعبر الكلمة "مبدأ" كما تستعمل اليوم -على الأغلب- عن فكرة شاملة تنبثق عنها أفكاراً فرعية، أو تنظم على ضوئها عمليات فيزيائية أو كيماوية أو تربوية أو علاقات اجتماعية، وتأتي المبادئ على الأغلب مصراً بها أو متضمنة في البحوث أو القصص أو التشريعات أو مجموعة مرتبة في العلوم الطبيعية».

أما مبادئ التربية الإسلامية فيجد لها الباحث موزعة في القرآن والسنة، بعضها صريح كمبدأ رعاية اليتيم، والمحافظة على الفطرة وحفظ الكرامة الإنسانية، ومبدأ فرضية التعليم والتعلم. وبعضها يمكن استنباطه من أساليب الرسول ﷺ وأساليب القرآن الكريم في التعامل مع النفس الإنسانية والمجتمع كمبدأ التربية الذاتية ومبدأ مراعاة الفروق الفردية ونحو ذلك». (النحلاوي ، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، ١٤٠٢هـ، ص ٥٥).

ومن خلال التعريفات السابقة للمبدأ يرى الباحث أن تعريف المبادئ التربوية الإسلامية.

هي : «تلك الأصول والقواعد المستمدّة من القرآن والسنة والتي تحتوي على إطار عام تتناول صلة الإنسان المسلم بربه أو بالكون أو الحياة، أو بالأخرّة أو أخيه المسلم لتحقيق الغاية القصوى من التربية وهي عبودية الله سبحانه وتعالى».

فالتعريف حدد مصدر هذه المبادئ "القرآن والسنة". وحدد ميادينها "علاقة الإنسان المسلم بربه، والكون، والحياة، والأخرّة، وأخيه المسلم، والناس أجمعين". وجعل هذه العلاقة تدور حول هدف أعلى لل التربية وهي الغاية العظمى "تحقيق عبودية الله سبحانه وتعالى" وهي الغاية التي تسعى إليها التربية الإسلامية.

وتناول الباحث، في هذا الفصل أهم المبادئ التي قامت عليها الاستراتيجية. وكان الحديث عنها تباعاً وفي فصول متالية، الواحد تلو الآخر، وقد يتساءل القارئ لم اختار الباحث هذه المبادئ دون غيرها؟

الجواب هنا لا يحتاج إلى كلام كثير، فالمسألة بسيطة جداً وهي أن هذه المبادئ

هي أكثرها شيوعاً في الاستراتيجية، وهي نغمة ترددتها مناهج الدراسة في العالم العربي والإسلامي غالباً دون معرفة لأبعادها الخطيرة وأثارها السلبية، ولهذا يجد القارئ أن الاستراتيجية تنزع دائماً إلى تبني مثل هذه المبادئ في كل المراحل التعليمية بدءاً من روضة الأطفال، وانتهاءً بالدراسات العليا حتى ترسخ هذه المبادئ في نفوس الناشئة إضافة إلى أن سلوك المجتمع ومؤسساته ووسائل إعلامه لا بد أن تكون متعاونة فيما بينها. لتدعيم مثل هذه المبادئ التي سوف تتشكل الأمة العربية والإسلامية من الخضيض وتقوده إلى مصاف الدول كما يزعم بذلك المحررون.

٤- الإنسان في القرآن.

قدم الباحث آنفاً تعريفاً للمبادئ التربوية الإسلامية التي يجب أن ينطلق منها ميدان التربية والتعليم في العالم العربي والإسلامي بحيث تكون أهداف التربية والتعليم متطابقة مع هذا التعريف وتسعي لتحقيق الغاية من التربية الإسلامية، وتكون الخطة الدراسية والمنهاج الدراسي، والمواد الدراسية وجميع ما يتعلق بميدان التربية والتعليم تصب كلها في إطار الغاية من التربية الإسلامية، وأيّ خلل أو قصور في هذا يفقد العملية التربوية مصداقيتها وما تسعى إلى تحقيقه في نفوس الناشئة.

قبل الحديث عن "المبدأ الإنساني" أو "التربية للإنسانية" والذي تبناه تقرير "استراتيجية تطوير التربية العربية" يجدر بالباحث هنا أن يعود إلى القرآن الكريم ليستعرض مفهوم القرآن للفظة الإنسان.

من خلال رجوع الباحث إلى استقراء وتتبع الآيات التي ورد فيها لفظة الإنسان وجد أنها تنص في "٦٥" آية من كتاب الله تعالى وأن عدد سور التي وردت فيها هذه الآيات بلغت ثلاثة وأربعين سورة من ١١٤ سورة، هي مجموع سور القرآن كاملاً، أي: أن هناك إحدى وسبعين سورة لم ترد فيها لفظة الإنسان. وإن المستقرئ لهذه الآيات بتمعن لن يخرج بأكثر مما خرج به "الحسين بن محمد الدامغاني" (١٤٠٤هـ) في كتابه "قاموس القرآن"، حيث حصر تفاسير ورود الإنسان في عشرين وجهاً.

ويمكن حصر هذه الوجوه في الأصناف التالية:-

١- إما أن تطلق لفظة الإنسان ويراد منها آدم عليه الصلاة والسلام.

٢- وإنما أن تطلق لفظة الإنسان ويراد منها ولد آدم .

٣- وولد آدم هو بين حالين " حال الطاعة ، وحال المعصية " .

والآيات التي تتحدث عن الإنسان العاصي كثيرة ، أما الآيات التي تتحدث عن الإنسان الطائع فهي لا تتجاوز ثلث آيات .

وهذا الاستنتاج استخلصه الباحث من خلال اطلاعه على تفسير تلك الوجوه التي أوردها " الدامغاني " (٤٠٤ هـ) في كتابه السالف الذكر . (ص ٤٩-٥٢) .

وخلاصة القول إن لفظة الإنسان

- إنما أن تطلق ويراد بها آدم عليه الصلاة والسلام ، وذلك عند الحديث عن بدء خلق الإنسان ومراحل تكوينه .

- وإنما أن تطلق ويراد بها شخص معين سلك سلوكاً حسناً أكثر ، أم أقل . ويكون ذكره من باب الاقتداء به وتخليد ذكره .

- وإنما أن تطلق ويراد بها شخص معين سلك سلوكاً سيئاً فيذكره القرآن من باب التنفير من صفاته والتحذير منها .

ولهذا يجد المرء المسلم أن القرآن يتحدث عن الإنسان إنما باعتباره واحداً من المؤمنين وإنما باعتباره واحداً من الكافرين .

لقد سلط القرآن الضوء الهائل «على تقلب الإنسان بين التضرع والعصيان والمسرة والكفر والبطر واليأس والحمدود والغباء من خلال تعاقب بعض الظواهر المادية العرضية عليه من شدة ورخاء ومنع وعطاء ونعمه وحرمان». (العزب ، حول مصطلح الإنسان في القرآن ، مجلة الأمة العدد التاسع ، السنة الأولى ، رمضان ، ١٤٠١ هـ ، ص ٧١) .

وعند ما يتحدث القرآن عن تمرد هذا الإنسان يلمس أنه ينبع حديثه على هذه المستويات .

١- مستوى ضراعة الإنسان في الشدة وتمرده في الرخاء .

٢- مستوى مسرة الإنسان في العطاء وكفره في المنع .

٣- مستوى بطر الإنسان في النعمة ويأسه في الحرمان .

٤- مستوى غياب الإنسان عن حكمه الوعي بألاء الله الموجود في الكون مع تعددتها وشمولها .

٥ - فقدان الإنسان لهدف وجوده وإنحصره في الواقع المادي الذي يعيشه ولا يتجاوزه إلى ما عداه . (العزب ، الأمة العدد التاسع ، السنة الأولى ، رمضان ، ١٤٠١ هـ ، ص ٧٠-٧١) .

ومن هنا إذا أراد المرء أن يستفيد من هذا كله فعليه أن يتبع لفظة " الإنسان " بعبارة " المسلم " أما إطلاقها هكذا فيحتاج الأمر إلى تقييد ليتميز " الإنسان المسلم " من غيره والقرآن يهدف إلى إيجاد الإنسان المؤمن لا إلى غيره ، ودليل ذلك أن أول الآيات نزولا على سيد الخلق محمد ﷺ كانت مؤكدة على هذا المعنى بحيث تكون القراءة باسم الرب سبحانه وتعالى ، وبهذا تميزت التربية الإسلامية على غيرها من التربيةات الوضعية في هدفها الذي هو معرفة الله سبحانه وتعالى ، وما يؤكّد هذا أن أقصر سورة بعد الكوثر هي سورة العصر التي أكدت خسران الإنسان واستئنانت " المؤمن " من هذه الخسارة وهذا يدل بكل تأكيد أن " الإنسان المسلم أو المؤمن " لا يكون من الخاسرين مادام قد آمن بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا ورسولا .

ويستفاد كذلك أن الإنسان بصفة عامة في حاجة إلى المنهج الرباني لكي لا يضل ويكون من الخاسرين أما الحديث عن المبدأ الإنساني ففي السطور التالية :

أولاً : المبدأ الإنساني من خلال الاستراتيجية:

بعد تتبع الباحث لمفهوم الإنسانية من خلال تقرير " استراتيجية تطوير التربية العربية " وجد أن هذا المفهوم يحمل في طياته معانٍ متعددة ويتناول موضوعات مختلفة ، وقد قام الباحث من خلال تتبعه لهذا المفهوم بتصنيفه إلى أصناف حسب وروده في الاستراتيجية غالبا ، والهدف من هذا التصنيف أن تكون فكرة شاملة عنه لدى القارئ ، ويكون هذا التصنيف أيضا من باب التسهيل والتيسير على القارئ والنقد من عناء المشقة والعنق وبذل الجهد في الغوص وراء هذه المفاهيم والتصنيفات ، والتي تكلف القارئ الوقت والجهد في الوصول إلى تجميعها والخروج بفكرة شاملة عنها ، وقد كفى الباحث القارئ العزيز هذه المؤنة وفيما يلي توضيح لما تم ذكره آنفا .

١- الثورة العلمية والإنسانية:

سيجد القارئ والمطلع على تقرير " استراتيجية تطوير التربية العربية " أن المحررين لهذا التقرير يلتجأون دائما إلى استخدام لفظة " الإنسانية " دون أتباعها بلغة

يشعر المرء أن المقصود منها المسلم أو أنها لفظة عامة تعم البشر جميعا دون تمييز بينهم، وهذا المعنى الأخير هو المقصود الذي يريدون الوصول إليه من خلال استخدامهم لهذه اللفظة وسيتبين هذا المراد بعد الانتهاء من الحديث عن هذا المبدأ الذي تبناه تقرير "استراتيجية تطوير التربية العربية".

أما بالنسبة لما ورد هنا من علاقة الثورة العلمية بالإنسانية فهم أى المحررون لهذه الاستراتيجية يقررون حقيقة وهي أن الثورة العلمية عرضت الثقافات القومية للإهمال أو الإغفال وأحدثت تحريفا للقيم الإنسانية في هذه الثقافات، وأن هذه الثورة قد أخطأت مساراتها وغاياتها الإنسانية والاجتماعية. (ص ٢٠-٢١).

فها هنا يجد المرء أن تقرير الاستراتيجية يميل دائما إلى استخدام لفظة "الإنسانية" ليشعر الآخرين بأهميتها إضافة إلى أن هذا التقرير يصف القيم التي يراد للمرء أن يتمثلها في سلوكياته أنها "قيم إنسانية" أى ذات منشا بشري، وفي هذا إنكار للإله الخالق، وبالتالي ستكون هذه القيم الإنسانية في حدود تصور العقل البشري. وهناك فرق بين "قيم إنسانية" منشؤها الفكر البشري، وبين "القيم الإسلامية" التي مصدرها إلهي.

٤- الأمة العربية والإنسانية:

في (ص ٢٢٨) من تقرير "استراتيجية تطوير التربية العربية" أكد التقرير على أن الأمة العربية تعتبر «حقيقة تاريخية حضارية، اتصل كيانها بالحضارة الإنسانية منذ نشأتها، وكان لها تأثير واسع وعميق في مسيرتها، وهي تملك في حاضرها من مقومات القومية وداعي الوحدة ما يندر أن تملكه أمة أخرى، فهي تميّز بوحدة اللغة، والثقافة، ووحدة الوطن والتاريخ ووحدة المصالح والمصير».

فهنا يلمس القارئ أن التقرير يسعى إلى تعميق الإحساس بالانتماء القومي فقط دون تنمية الانتماء إلى الأمة الإسلامية بمعناها الواسع، وهذا مطعن يجعل الاستراتيجية لا تلبي طموحات العالم العربي والإسلامي التربوية.

ويدخل في هذا أنها تؤكد على أهمية الحضارات العربية الجاهلية، مثل: الآشورية والبابلية، وأن الأمة العربية كيانها متصل بهذه الحضارات "الإنسانية" ولها تأثير في مسيرتها، وهذا نفي لأثر الإسلام ودوره في تغيير المجتمع الإسلامي.

إن محري الاستراتيجية يريدون أن يعمقوا في نفوس الناشئة أهمية الحضارات السابقة في المسيرة التربوية وغيرها، وتنمية الإحساس القومي والانتماء للأمة العربية باعتبارها جنساً وعرقاً، لا باعتبارها أمّة إسلامية توحدت بالإسلام وانضوت تحت لوائه وانتصرت تحت شعاره.

إن العبارة المقتبسة آنفاً ذكرت مقومات القومية العربية وأهملت ذكر العقيدة الإسلامية التي تعتبر أقوى رابط على الإطلاق في وحدة الأمة الإسلامية وبقية الروابط هي فروع لها تتضمن تحت لوائهما فما خالفها لفظته وما وافقها قبلته.

وفي (ص ٣٢) جاء في تقرير الاستراتيجية «أن الأهداف النبيلة التي تتوخاها الأمة العربية من إرادة التغيير لتراعي خير "الإنسانية" كافة وتحرص على مصالحها». وفي (ص ٢٧) جاء أن من الأهداف التي تسعى إليها الأمة العربية أيضاً هو خير "الإنسانية جموعاً" وكذلك المشاركة في الحضارة الإنسانية وتنمية جوانبها.

عبارات فضفاضة يستخدمها المحررون وهي تحوي في طياتها أهدافاً هدامة فكما يجد القارئ أن التقرير يركز على استخدام ذكر الأمة العربية ويهمّل استخدام الأمة الإسلامية من أجل غرس الشعور بالانتماء القومي لا الإسلامي، يلاحظ أيضاً أن الأهداف التي تسعى إليها الأمة العربية هي لخير الإنسانية جموعاً دون تمييز بينهم، ولكن كيف تسعى الأمة العربية لخير الإنسانية وهي حتى الآن لم تعرف أو تتعرف على مصدرها الأصيل الذي يعتبر المقوم الأول لحياة الأمة الإسلامية والذي أهمله التقرير ولم يذكره ضمن مقومات الأمة العربية كما يزعمون؟

وإذا كانت الأمة العربية قد ضلت طريقها فكيف تستطيع أن تهدي غيرها وهي عاجزة عن إصلاح نفسها لقد ضل من كانت العميان تهديه!؟ .

٣- الإسلام والإنسانية:

إن تقرير "استراتيجية تطوير التربية العربية" يقحم الإسلام والعقيدة الإسلامية أثناء الكلام عنهما إقحاماً دون أن يكون له أثر يذكر في عباراتهم إذ سرعان ما يفاجأ الإنسان بوجود تناقض بين العقيدة الإسلامية وبين ما يقدمونه من مبادئ وتصورات بعيدة عن الإسلام ومخالفة له.

ففي (ص ٤٢) يؤكّد محررو الاستراتيجية بأن الإسلام ثورة حضارية كبرى «بما فصل من عقيدة في توحيد وتكوين الوجود، وبما وضع من نظام لحياة الإنسان وحياة المجتمع، وبما دعا إليه من أخوة إنسانية شاملة، وصار ثورة حضارية كبرى بما أدى إليه من وحدة العرب».

وفي (ص ٤٩) أكد المحررون لل استراتيجية على أن المواقف الإنسانية والعقلانية التي يتصرف بها الإسلام هي التي أدت إلى تطور الترجمة. هل الإسلام دعا إلى أخوة إنسانية كما يزعمون؟ وهل هو ثورة حضارية كبرى كما يزعمون؟ إن الإسلام دين هداية ونور وإصلاح، إنه خروج عن المأثور وهي الجahليّة والتخلف الحضاري، وهذه اللفظة حجة على محرري الاستراتيجية؛ لأنها خروج عن المأثور في حياة العرب، وهم يجدون حياة العرب قبل الإسلام. والثورة بفهمها الحاضر تعني الخروج عن المأثور، وأما بعثة سيدنا محمد ﷺ فقد كانت امتداد الدعوة الرسل قبله، وهذه الألفاظ التي يستخدمها محررو الاستراتيجية ألفاظ علمانية يجب استبدالها بعبارات تليق بدين الله سبحانه وتعالى، مثل أن يقال: لقد بعث الله رسولنا محمدا ﷺ على حين فترة من الرسل إلى عالم بعد الشقة بينه وبين وحي السماء، وكان ظهور الإسلام بمثابة نور استضاء العالم به ومشى على هديه فانتشر الإسلام العرب وغيرهم من دياجير الظلم والضلال إلى نور الإسلام وعدله.

وأما قولهم: بأن الإسلام دعا إلى "أخوة إنسانية" فهذه مغالطة لا يمكن قبولها أو الاعتداد بها إذ هي لفظة حق في زعمهم أريد بها باطلًا فالإسلام دعا إلى الأخوة الإيمانية لا إلى "الأخوة الإنسانية"؛ لأن الأخوة الإيمانية ترتكز على العقيدة الإسلامية التي مصدرها إلهي، أما "الأخوة الإنسانية" فهي تشمل كل من كان على وجه الأرض دون تفرقة بين المؤمن وغيره من الأجناس الأخرى. وهذا ينافي ما جاء في القرآن الكريم يقول تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ (القلم، ٣٥). فالبارئ سبحانه وتعالى هو الذي خط لنا نحن المسلمين هذا المنهج الذي يجب أن نسير عليه لا أن نبتعد منه بما منّا في خلقه ونحاول فرضه على البشرية ليسيروا عليه إذ يعتبر هذا مصادمة لسن الله في خلقه وهو منافق لما دعا إليه القرآن من التمييز بين المؤمن وغيره.

٤- العقيدة الإسلامية - والإنسانية:

ها هو التلاعب بالألفاظ تكرر على ألسنة المحررين الذين لم تستبين عندهم معالم الإسلام ولم يتضح لهم السبيل الذي يسلكونه ويسيرون عليه ، فسبيل الله واحد لا يتعدد إلا عند أصحاب الثقافات الوافدة ، ومن كان حظهم من الثقافات الإسلامية شيئاً .

ففي (ص ٥٤) يزعم المحررون للاستراتيجية بأن الاتصال بالحضاريات الأخرى هو مستمد من عراقة الحضارة في الوطن العربي ومستمد أيضاً «من أصول العقيدة الإسلامية ودعوتها "الإنسانية" التي تعلو على العنصرية وتؤمن بالإخاء والمساواة». والعقيدة أيضاً «أقامت المجتمع على أساس من العدل والحق كما أقامت "الإنسانية" على أساس من المساواة والإخاء» (ص ٧١).

صحيح أن العقيدة الإسلامية تدعو إلى المساواة في الحقوق والواجبات ، ولا تمييز بين فقير وغني إلا بالتقوى لكن الإباء المزعوم الذي يريدون إشاعته بين إخاء متحكم في إطار العقيدة الإسلامية - التي فرقت بين المسلم وغير المسلم وجعلت الأخوة الإيمانية أقوى الروابط بين كافة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، أما ما يتبنونه من إباء عام بين البشر فهذا هدم صريح للعقيدة الإسلامية نفسها ولكل دين صحيح .

ولو كان الأمر كما يزعمون فلم تبرأ إبراهيم عليه الصلاة والسلام من أبيه؟ ولماذا تخلى نوح عليه الصلاة والسلام عن ولده؟ .

٥- التربية والإنسانية:

في (ص ٣٢) يؤكّد تقرير "استراتيجية تطوير التربية العربية" على «أن التغيير الذي يرتضيه الله للأمة العربية يبدأ بتغيير نفوسها بالتربية الصالحة والتنشئة السليمة ، وهل غير التربية وسيلة أجدى وأفعى في تغيير النفوس؟ فلا صنوف التحذير والندير والوعيد ولا الأوامر الزاجرة التي تفرض قسراً ، ولا صنوف الإغراء والوعود والمنافع التي تعرض طوعاً ببالغة ما تبلغه التربية الصالحة ، والتنشئة السليمة في تهذيب الأخلاق وتنمية المدارك والعقوال وبالتالي تغيير النفوس إلى الخير والصلاح».

ويرى التقرير «بأن نهضة الأمم وتقديرها رهن بال التربية الصالحة لأبنائهما» (ص ٣٢)

وفي (ص ٥٩) يؤكّد محرر الاستراتيجية على أن التربية تعني بالجوانب المختلفة للإنسان وتحقق له التوازن في مختلف أنشطته الحياتية وتعده لأن يكون «مضطلاً بمهامه في مجتمعه، مؤمناً بالأخوة الإنسانية للناس أجمعين».

إن العبارات السابقة توضح وظيفة التربية في المجتمع، وهي أنها تعد المرء لأن يكون مؤمناً «بالأخوة الإنسانية» لكل الناس بل إن هذه الغاية التي تسعى إليها التربية هي «ما لم تغب عن الحكمة الإنسانية منذ القديم ويأتي الفكر الحديث ليؤكّدتها» (ص ٢١٩-٢٢٠).

فهنا يرى محرر الاستراتيجية أن الاهتمام «بالإنسانية» ضارب في أعماق التاريخ وأن الفكر الحديث يؤكّد هذه الفكرة ويدعو إليها وتبناها وعلينا نحن المسلمين أن نستفيد من هذه الفكرة ونربّي أجيالنا عليها؛ لأن الحكمة ضالة المؤمن أني وجدتها فهو أحق الناس بها - وهنا أغفل التقرير الدين الإسلامي الخاتم الذي بفضل الله تعالى غير مجرّى التاريخ وأخرج أمّة كانت خيراً أمّة على وجه الأرض بشهادة القرآن لها، وإغفال التقرير للإسلام، دليل على عدم الاهتمام به وتجاهلهم عن ذكره، وهذا يؤكّد على أنه لم يكن له تأثير في تربية المسلمين والتسامح مع بقية الأقليات التي كانت تعيش معه جنباً إلى جنب، وأنه لم يهضم حقوقها بل حافظ عليها وأعطى صورة مشرقة لمن يريد أن يكون مثالاً يحتذى به في رعاية «الإنسانية» ما دامت تعيش في ظل أو تحت كنف الدولة الإسلامية.

إن التربية في نظر المحررين للاستراتيجية تعتبر «عملية سلوكيّة واجتماعية، غايتها القصوى خير الإنسان وخير المجتمع وخير الإنسانية جمّعاً» (ص ٢٢٠).

ما أعظم جهل القائلين بهذه العبارات بدينهم بأن الغاية القصوى من التربية - كما سيجيئ مزيد من التفصيل عنها في الصفحات القادمة - ليست كما يزعمون من أنها تسعى إلى خير الإنسانية جمّعاً وإنما هي تحقيق العبودية للله سبحانه وتعالى من خلال مختلف أنشطة الحياة البدنية والفكريّة والعلقليّة والسلوكيّة.

يحق لمؤلف المحررين للاستراتيجية أن تكون غاية التربية عندهم هي خير الإنسانية؛ لأن المصادر التي تردد التربية «تستند إلى الفكر الإنساني، وتطور العلم الحديث في مجال العلوم السلوكيّة خاصة، والممارسة الواقعية والتجريب» (ص ٣٤).

وهنا يتساءل الباحث كيف ستكون الناشئة إذا تربت على مثل هذه المصادر؟

وأين هو موقع القرآن والسنّة من هذه المصادر؟

وهل تصلح تربية الأجيال المسلمة دون الاعتماد على القرآن والسنّة؟ .

الإجابة تترك للقارئ ليجيب عن هذه الأسئلة وسيجد حتماً أنه سيصل إلى طريق مسدود وأن التربية إذا انطلقت من هذه المصادر فعلى الديننا السلام؛ لأن معنى هذا ضياع الهوية الإسلامية وبالتالي يعيش المتعلمون دون هوية، وتكون النتيجة ضياعاً في ضياع .

٦- الرسالة القومية التي يحملها العرب – والإنسانية:

في (ص ٧٢) جاء في تقرير الاستراتيجية بأن العرب يحملون رسالة عربية قومية «إلى العالم الإسلامي، وإلى العالم الثالث ويسهمون بها في هداية الإنسانية جموع». إن الرسالة الإسلامية لم تكن رسالة قومية كما يزعمون كذباً وزوراً وبهتاناً، إن الرسالة الإسلامية هي لكافّة الناس كما يشهد بذلك القرآن الكريم، فقد احتضن الإسلام في بدايته مختلف الأجناس فها هو "بلال الحبشي" ، و "صهيب الرومي" ، و "سلمان الفارسي" و "أبو بكر العربي" ، يلتقطون في صعيد واحد ويصبحون إخوة في الإسلام على قدم المساواة .

إن من أهداف التربية الإسلامية إخراج الأمة المسلمة القائمة على روابط العقيدة الإسلامية والانتماء إليها وهذه الروابط تعتبر دليلاً على كمال الدين وصحة الإيمان، ومن ثم يتوجّب على المسلمين بعد تحقيق هذا الهدف أن يسعوا إلى حمل رسالة الإسلام إلى العالم كله .

٧- المعلمون والإنسانية:

في (ص ١٧١) جاء في تقرير الاستراتيجية أن المصادر التي يستقى المعلمون منها معلوماتهم يجب أن تكون مستمدّة من مصادر متعددة حتى تكون ممارسة مهماتهم على صور سليمة فيقول المحررون عن هذه المصادر: «فاما المعلمون فعلى هدى من الحكمة الإنسانية، ومن الخبرة المتعمقة والممارسة الوعائية ومن بعض الفكر التربوي الحديث» .

إن مصدر التلقى معلوم لدى الجميع ولا يخفى إلا على من كانت تربيته غير سليمة وتربي في غير ديار المسلمين فلا أحد في الدنيا يتصدر القيادة التربوية ويحمل شهادة الدكتوراة من أبناء المسلمين ويجهل مصادر التربية! بل الأغرب من هذا أنه وضع نفسه في مكان الصدارة وأصبح موجهاً للميدان التربوي والتعليمي وهو لا يستحق هذا المنصب وليس أهلاً له؛ لأنه يجهل مصادر التربية في المجتمع الإسلامي.

إن إغفال القرآن والسنة وحذفها من المصادر التي يعتمد عليها في الميدان التربوي يعتبر جريمة لا تغفر، بل إن تقديم المصادر الثانوية والتجارب العلمية عليهما محادة لله ورسوله ﷺ،

لقد أعلى تقرير "استراتيجية تطوير التربية العربية" من شأن المصادر القدية وال الحديثة وأغفل المصادر الأولية عمداً وتهاوناً وتقليلاً من شأنهما، وإنما فهل أحد على وجه الأرض يزعم أنه مسلم وبلغ أعلى درجات المعرفة ويجهل مثل هذين المصادرين؟ وإذا كان التقرير يحمل مثل هذه الأفكار فهل يمكن قبوله واعتباره أساساً صالحاً لتطوير التربية في العالم العربي، كما يزعم المحررون للاستراتيجية؟

إن من يجهل أبجديات التربية الإسلامية لا يحق له أن ينصب نفسه في مكان القيادة والتوجيه؛ لأنه يضع نفسه في موقف حرج، فيصبح حاله كما قال الشاعر:

أعمى يقود بصيراً لا أباً لكم لقد ظل من كانت العميان تهديه.

- ٨ - الأرض والإنسانية:

وما يدل على أن تقرير "استراتيجية تطوير التربية العربية" يتبنى "مبدأ الإنسانية" الشاملة ما جاء في (ص ١٨٢) في أن «الأرض تصبح ... داراً واحدة تسكنها أسرة إنسانية متكاملة متضامنة ... فالعالم يسير إذن اليوم إلى وحدة في تعدد وإلى تكامل في تميز».

يالله من هذه الدعوات الفجة وإلقاء الكلام على عواهنه والتلاعب بالألفاظ الفضاضة واستخدام العبارات المموهة والخادعة وهذه صنعة المفسرين ودين الخاملين وبضاعة السفسطائيين وتخيلات الفلسفين القائمة على غير دليل.

إن الأرض لن يمكن في يوم من الأيام أن يكون ساكنها أسرة واحدة؛ لأن هذا ينافق السنن الكونية ويخالف المبادئ العقدية الإسلامية ويتصادم معها.

٩ - الاقتصاد والفنانية:

وكذلك يسعى التقرير إلى تعميق وغرس مفهوم "الإنسانية" في نفوس الناشئة وإصحابها في مختلف أنشطة الحياة لتصبح أمراً مسلماً به ومقبولاً عند الناس.

إن محري الاستراتيجية يؤكدون على أن العالم يعيش صوراً متناقضة فهناك عالم الإسراف والفاقة وهذا التناقض يهدد بالإنفجار لو استمر على هذا الحال، ولا يسمح بالاستقرار ومن هنا في زعمهم تنادت أمم الأرض اليوم وخاصة «تلك التي ذاقت الأمرين من الظلم والاستغلال إلى النظر في إصلاح النظام الاقتصادي العالمي الحالي ليحل محله نظام جديد يقوم على الإنصاف والعدل، ويسعى إلى تحقيق النماء والازدهار لكافة أجزاء الأسرة الإنسانية». (ص ١٨٦).

إن النظام الجديد المبتكر لم يوضح ما هو؟ وما دعائمه ومنظقه؟ ولكن يبدو أنه عصى سحرية يستطيع أن يحل مشاكل العالم كله و يجعلهم كلهم أغنياء ليس بينهم فقير أو مسكين واحد - ولكن هذا النموذج لا يوجد في أرض الواقع، ولكنه موجود في عالم الخيالات والمتاليات، ولن يتحقق هذا المجتمع إلا بنزل عيسى عليه السلام الذي يملأ الأرض عدلاً بعد أن امتلأت جوراً.

كما أن المحررين أهملوا الاقتصاد الإسلامي ولم يخطر على بالهم أن هناك اقتصاداً إسلامياً بناء على أن مصادرهم لا يدخل ضمنها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، والعبارات السابقة تؤكد على أهمية النظام الاقتصادي وأثره في الجانب الاجتماعي والسياسي فالاتجاه الذي يتبعه تقرير "استراتيجية تطوير التربية العربية" "يجعل كل النظم منشقة من الأساس الاقتصادي" وأى نظام يسلك هذا الاتجاه «ما هو إلا اتجاه يساري ومباؤ شيعي لا مجال فيه للدين» (حجاجي، الفكر التربوي عند ابن القيم، ١٤٠٨هـ، ص ٢٣-٢٤).

إنها دعوة هدامه تتبنى جانب النماء والازدهار الاقتصادي، وهذا مفهوم مغاير لتربية الأجيال المسلمة فالرسول ﷺ وإن وانه المرسلون عليهم الصلاة والسلام لم يبدأوا دعواتهم بالدعوة إلى الاهتمام بالجانب الاقتصادي، بل كانت دعوتهم تصب في مجرى واحد وهو تحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى، وتحقيق العبودية لله تعالى يتّأثى من خلال معرفة الله سبحانه وتعالى وتوحيده ومحبته والقيام في خدمته وتعمير الأرض وفق شريعة الله والقيام بالخلافة فيها كما يريد الله.

١٠- المنظمات الأجنبية والتعاون بين الأمم والشعوب والإنسانية:

يُزعم التقرير أن هناك أهدافاً نبيلة تسعى إليها المنظمات الأجنبية من أجل إرساء التعاون الدولي على أساس سليم، وفي برامج هذه المنظمات وأنشطتها آثار إيجابية منها: وجود «مؤسسات فعالة لخير الإنسانية جماء» (ص ٣١١).

وإن القوى المتصارعة في العالم بعضها «يفي إلى ناحية الخير والبناء والإعمار وتحقيق التقدم للإنسانية ويتجه بعضها إلى ناحية الشر والهدم... وعرقلة مسيرة الحضارة الإنسانية». (ص ٢٠٦).

كما «أن مستقبل "الإنسانية" وخلاصها مما يحيق بها من أخطار تهدد كيانها وتندىء بتدميرها رهن بتعاون الأمم والشعوب وتقاهمها والتقاءها على مبادئ وقيم سليمة تقر كرامة الإنسان وحق الشعوب في الحرية، وحق الدول في السيادة على ثرواتها». (ص ٢٣٩-٢٤٠).

ومن هنا جاءت الاستراتيجية لتأكيد على التفاعل بين التربية وبين المجالات الأخرى بحيث تنتظم كلها «في نطاق التنمية الشاملة وارتباطها بالأهداف القومية الإنسانية للأمة العربية» (ص ٢١٩)، وأن تتعاون الأمة العربية مع الشعوب الأخرى للارتقاء بالإنسانية لخير الإنسانية. (ص ٢٧).

وتتعاون كذلك مع المنظمات الدولية ذات الصلة في مجالات التربية وغيرها، مثل: منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم "اليونسكو" التي قدمت خدمات جليلة للوطن العربي.

امتداح للمنظمات الأجنبية، وأنها قدمت الخير للإنسانية جماء وإهمال للإسلام الذي هدى الله به أعينا عمياً وأذانا صماً وقلوباً غلفاً، وكأن الإسلام لم يتصل العرب وغيرهم من ديار الظلم إلى نور الإسلام، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، وتأكيد الاستراتيجية على أن تقدم الأمة العربية رهن بالتعاون مع الشعوب الأخرى، وخاصة في الميدان التربوية أمر غير مسلم به، فالتأريخ يشهد أن الأمة الإسلامية كانت معيناً لا ينضب وإن هذا تقليل من شأن التربية الإسلامية وإجحاف بدورها في تنشئة الرعيل الأول ومن جاء بعدهم، وكأنها في العصر الحاضر عاجزة عن أداء ما قامت به في العصور الغابرة من إيجاد

أمثال: "خالد بن الوليد" و"محمد بن القاسم" و"صلاح الدين الأيوبي" وفي هذا تطاول على التربية الإسلامية وانقاص من قدرها وتحجيم من دورها وأغفالها وأهميتها، وهذا يؤكّد لل المسلم بجلاء جهل المحررين لتاريخ الأمة الإسلامية والتربية الإسلامية، وأنّ الأمة الإسلامية قدّمت للعالم النور والهداية وانتشرت من دياجير الظلمات فدخلوا في دين الله أفواجاً وسطعت شمس الإسلام على الغرب وغيره.

ثانياً: المبدأ الإنساني من منظور التربية الإسلامية:

من المعلوم أن الكمال الإنساني هدف تسعى التربية الإسلامية إلى تحقيقه، وأن الكمال الحقيقى بالنسبة للإنسان "المسلم" لا يكتمل إلا باتصافه بصفة العبودية لله سبحانه وتعالى «والعبودية لله تحررنا من العبوديات كلها، وهذا نهاية السمو والسعادة، فبناء الشخصية على أساس الإيمان بالله والعبودية له يقيم جوانب النفس الإنسانية كلها في اتجاه واحد سليم ويقضى على تشتت الشخصية ويرث الطمأنينة والراحة كما يؤدي إلى الاستقامة في حياة الفرد والجماعة ويسمو بالإنسان إلى مستوى اللائق به من حيث هو مخلوق مكرم». (البانى، مدخل إلى التربية في ضوء الإسلام، ١٤٠٣هـ، ص ٧٠).

ومن خلال هذا المفهوم سيقوم الباحث المبدأ الإنساني في السطور التالية: -

أ - الغاية من التربية في تقرير استراتيجية تطوير التربية العربية:

في الصفحات الماضية اتضح مدى جهل المحررين للاستراتيجية لهذه اللفظة "الإنسانية" الدخيلة على الأمة الإسلامية والتي تحمل في طياتها معان خطيرة وتصورات بعيدة عن ديننا الإسلامي ومبادئه السامية وفيما يلي مزيدٌ إيضاح عنها: -

ما لا شك فيه أن فهم الغاية من التربية يجعل الإنسان المسلم يسير في طريق واضح ويسعى دائماً إلى تحقيق هذه الغاية من خلال عناصر العملية التربوية التي تصب كلها في مجرى واحد لتحقيق هذه الغاية، وإن عدم فهم الغاية من التربية يعرقل مسيرة العملية التربوية ويشوهها ويبيتها الاضطراب والتخبط والسير على غير هدى والإتيان بالعجبائب والغرائب بما يخالف العقيدة الإسلامية. ويحدث قصوراً في فهم التصورات والمبادئ التي تقوم عليها التربية الإسلامية، وهذا كله يكون نتيجة فساد

المفاهيم والتصورات، وبالتالي ينعكس هذا القصور وفساد المفاهيم على العملية التربوية فيأتي المرء بالمدهشات والعجب، والتصورات والانحرافات الخطيرة فتسير العملية التربوية في متاهة ودون غاية.

وهنا يود الباحث أن يقرر حقيقة مؤداتها أن بداية الخطأ عند محرري الاستراتيجية هو في فهم الغاية من التربية والهدف الذي تسعى إليه "استراتيجية تطوير التربية العربية" وهو خطأ شنيع لا يمكن قبوله؛ لأن ما بنى على باطل فهو باطل.

إن الأساس الذي بنى عليه هذا المبدأ "الإنسانية" وغيرها من المبادئ الواردة في الاستراتيجية عائد إلى فهم الغاية من التربية عند المحررين للاستراتيجية.

لقد فهم المحررون للاستراتيجية الغاية من التربية فهما مغايراً ومخالفاً للصواب، وكانت النتيجة أن منطلقاتهم ومصادرهم في هذه المبادئ لم تكن صحيحة.

إن فهم الغاية من التربية الإسلامية هو نقطة الانطلاق في كل عمل تربوي وهو محور الارتکاز الذي تدور حوله جميع عناصر العملية التربوية للوصول إلى تحقيق الغاية.

إن من يستقرئ الاستراتيجية ويتبع أهدافها وخصائصها ويفهم الغاية من التربية التي يسعى المحررون لتحقيقها عندئذ يتضح له المرامي البعيدة التي يسعى التقرير إلى تحقيقها.

جاء في (ص ١٧٩) من الاستراتيجية بأن العالم الذي نعيش فيه هو أحد العناصر الرئيسية المرتبطة بال التربية «فسعد ونشقى ونبتئس ونفرح إذ غاية التربية القصوى و هدفها الأسمى أن تساعدنا على أن نفهم أنفسنا ، وأهلنا الأقربين وإخواننا

الأبعدين، ومجتمعنا وأمتنا وسائر إخواننا من بني الإنسان... وإذا كانت التربية تهيئة العالم لتأثير فيه ولنغيره فهي إذن تغييره بأيديينا... ولكن التربية نفسها ليست إلا نتاج العالم وضلعاً مشتقاً منه».

وفي (ص ١٨٣) يؤكّد تقرير "استراتيجية تطوير التربية العربية" على هذه الغاية التي يسعى إلى تحقيقها فيقول محرر الاستراتيجية: «ذلك أنه إذا كانت غاية التربية هي أن نعدّ المربين ليعيشوا في عالمهم، وإذا كان أحد الأسئلة التي تطرحها على نفسها ولها الغرض هو: ما هو هذا العالم الذي يتّهِي المربون للعيش فيه؟».

وفي (ص ٢٢٠) حدد تقرير الاستراتيجية التربية وغايتها تحديداً دقيقاً؛ فال التربية هي «عملية سلوكية واجتماعية غايتها القصوى خير الإنسان وخير المجتمع وخير الإنسانية جمّعاً».

ويردّ التقرير الغاية نفسها ولكن بعبارات مختلفة ففي (ص ٢٤٧) جاء فيه مانصه: «إذا كانت الغاية البعيدة للتربية هي خير الإنسان وخير المجتمع فإن هذه الغاية بحاجة إلى تحديد وتفصيل لما يترتب عليها من أهداف وأغراض ومن وظائف ومهام».

لا شك أن فاقد الشيء لا يعطيه والذى يتكلّم في علم لا يتقنه يأتي بالعجبات والغرائب والمدهشات، وإذا كان محرر الاستراتيجية يجهلون الغاية من التربية في المجتمع الإسلامي فكيف يتصدرون لمكان القيادة والريادة والتوجيه؟، إن عدم فهم الغاية من التربية يترتب عليه آثار سلبية ستظهر نتائجها ثانياً هذه الدراسة.

وخلاصة القول هو أن فاقد النور لا يضيّ الطريق لغيره، ولا يستقيم الظل والعود أعوج.

ب - تعريف الإلنسانية:

وبعد أن اتضحت الغاية من التربية عند محرري الاستراتيجية يحاول الباحث هنا أن ينتقل إلى تعريف "الإنسانية" وأهدافها ومراميها البعيدة - ولكن قبل الدخول في تعريف "الإنسانية" يريد الباحث أن يقرر حقيقة يجب أن تبقى خالدة في الأذهان وهذه الحقيقة هي أن لفظة "الإنسانية" و "العالمية" و "الأمية" كلها ألفاظ مختلفة ولكنها تحمل معنى واحداً وتهدف هدفاً واحداً، ومن هنا لا يستغرب القارئ عندما

يجد أن الباحث يذكر هذه الألفاظ أو يقتصر على أحدها؛ لأنها كلها تصب في مجرى واحد وتهدف إلى غاية واحدة. (الميداني، كواشف زيف، ١٤٠٥هـ، ص ٢٧٦).

"الإنسانية" هي: «دعوى براقة تظهر بين الحين والحين ثم تختفي لتعود من جديد» (قطب، مذاهب فكرية معاصرة، ١٤٠٥هـ، ص ٥٨٩).

والعالمية هي: «دعوة هدامة مخربة» (حسين، الإسلام والحضارة الغربية، ١٤١٣هـ، ص ١٧٧). وهي «مذهب يدعو إلى البحث عن الحقيقة الواحدة التي تكمن وراء المظاهر المتعددة في الخلافات المذهبية ويزعم أصحاب الدعوة والقائمون عليها أن ذلك هو السبيل إلى جمع الناس على مذهب واحد تزول معه خلافاتهم الدينية والعنصرية لإحلال السلام في العالم محل الخلاف». (حسين، ١٤١٣هـ، ص ١٩٣).

إن الإنسانية أو الدعوة إليها ضاربة في أعماق التاريخ، فها هو "بروتاغوراس ٤٨٥-٤١٠ق.م" يلخص فلسفته في عبارته المشهورة «الإنسان مقياس الأشياء جميماً». (حضر، تطور الفكر التربوي، ١٤٠٢هـ، ص ٦٨).

وقد جاءت هذه الدعوة في العصر الحديث وتفشت نتيجة تنحية الدين وإحلال العقل محله -في أوروبا- وأصبح العقل هو الذي يحدد «مصير مستقبل "الإنسانية" في يده . . . وكذلك في تكوين الدولة والجماعة والاقتصاد والقانون والدين والتربية تكويناً جديداً، على الأسس السليمة المصفاة التي لكل واحد منها». (قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ١٤١٣هـ، ص ٦١).

ج - تاريخ ظهور الحركة الإنسانية:

ظهرت هذه الحركة في أوروبا نتيجة سيادة العقل في مختلف مناحي الحياة، وكان لعصر النهضة الأوروبية على هذه الحركة أثر كبير في حياة الأوروبيين.

يقول عنها "رسل" (١٩٥٩م): «إنه عند ما كان الدين في القرون الوسطى موجهاً لسلوك الإنسان ومنظماً للمجتمع كانت كل الأنظار متوجهة إلى الله ولكن في عصر النهضة الأوروبية ابتعد المفكرون عن الدين "النصراني" وعن الله واتجهوا إلى الإنسان واعتبروه مصدراً للحكمة ومنبعاً للهدى ومن هنا استمدت الحركة اسم "الإنسانية"». (التوم، السبيل إلى بناء فكر تربوي إسلامي لدى المعلم، ١٤١٢هـ، ص ٣٣-٣٤).

وهذا النص يدل على أن الحركة "الإنسانية" حركة علمانية نشأت في بيئة

لاتؤمن بالإله الحق وتنكرت للخالق واعتبرت الإنسان مقياساً للهدي والحكمة وهي دعوة كما مر قدية قدم التاريخ .

ويؤكد علمانية هذه الحركة "رسل" (١٩٥٩م) حيث يستطرد قائلاً: «إإن هذه النظرة العلمانية سرعان ما غزت مجال العلم، ولم يكن اكتشاف المطبعة سبباً في نشر النظريات السياسية المعارضة للنظام القديم فحسب، بل أعادت المفكرين الإنسانيين على نشر المذاهب الفكرية القدية، وتبع ذلك دراسات واسعة في المصادر العلمية القدية مما أدى إلى تحسين واضح في مستوى التعليم "النصراني" ». (التوم، ١٤١٢م، ص ٣٢).

ومنذ ظهور الحركة "الإنسانية" في عصر النهضة الأوروبية فإنها ما زالت منتشرة حتى الآن، وما تبني تقرير "الاستراتيجية" لها إلا دليل على اعتقادها من بعض من يتسمون بالأسماء الإسلامية وهم غارقون فيها حتى الذقن .

يصف "سيد قطب" (١٤١٣هـ) في كتابه "خصائص التصور الإسلامي ومقوماته" استمرار هذه الحركة ونماءها حتى النصف الثاني من القرن الثامن عشر والذي كان يطلق عليه "عصر التنوير" فيقول عن "الإنسانية" في هذا العصر "أى عصر التنوير" .

«وكما يسمى هذا العصر بـ "عصر التنوير" يسمى أيضاً بـ "العصر الإنساني" وكذا بـ "عصر الإيمان الفلسفي" بإله، ليس له وحي، وغير خالق للعالم إذ كل مسميات هذه الأسماء تعتبر من خواصه، فالتنوير لا يقصد به إلا إبعاد الدين عن مجال التوجيه وإحلال العقل فيه محله وـ "الإنسانية" التي يبشر بها هذا العصر ليست إلا عوضاً عن "القربى من الله" كهدف للإنسان في سلوكه في الحياة، والإله الذي ليس له وحي ولا خالق يتفق مع تحكيم العقل وحده، وطلب سيادته على أحداث الحياة واتجاهاتها». (ص ٦١).

لقد انتشرت هذه الحركة في أوروبا يوم انحصر عنها دينها النصراني المحرف وحيثئذ حل محله العقل الذي يعتبر السيد المتصرف في مصير "الإنسانية" وهو مصدر المعرفة، قوله «الحق في الإشراف على كل اتجاهات الحياة وما فيها من سياسة وقانون ودين وـ "الإنسانية" هي هدف الحياة للجميع». (قطب، ١٤١٣هـ، ص ٦١).

د - الروابط التي قامت عليها الإنسانية:

المذهب الإنساني أو التزعة الإنسانية يقوم على أساس البحث عن حقيقة واحدة يمكن أن تكون السبيل الوحيد إلى جمع الناس عليها وتزول مع هذا المذهب الجديد كل الاختلافات سواء كانت دينية أم عنصرية وذلك من أجل إحلال السلام في العالم كله محل الخلاف.

يحدد "الميداني" (١٤٠٥هـ) في كتابه "كواشف زيف" الروابط التي تقوم عليها الحركة الإنسانية فيقول: «تقوم فكرة "الإنسانية" وقد تسمى "العالمية" أو "الأمية" على الاكتفاء برابط وحدة الأصل الإنساني، والاشتراك في الصفات العامة التي يختص بها هذا النوع، مع نبذ أو إهمال كل الفوارق القومية، والوطنية، والدينية، وغير ذلك من اختلاف في المبادئ والمذاهب والعقائد والمصالح ومناهج السلوك، أو الترفع عنها والاستعلاء عليها بتنزعة إنسانية "عالمية"» (ص ٢٧٦).

وتأكد مجلة العربي الكويتية العدد (١٠٣) الصادرة في صفر من عام (١٣٨٧هـ) هذا الرابط! الذي تقوم عليها "الإنسانية" أو "الأمية" والتي «هي التزعة العالمية التي تتخطى حدود التزعة القومية فتشهد صالح المجموعة الإنسانية فضلاً عن المصلحة القومية الخاصة، وتتلمس التفاهم والتعاون والإخاء بين الأمم وتسعى إلى توطيد السلم العالمي بوصفه غاية البشرية الكبرى» (ص ١٤٠).

إن من ينعم النظر في كلام محرري الاستراتيجية يجد أنهم دائمًا يلجأون إلى استخدام لفظة "الإنسانية" ويبشرون بها وذلك في صفحات متعددة من الاستراتيجية فعلى سبيل المثال تجدهم يزعمون بأن الإسلام دعا إلى "أخوة إنسانية" (ص ٤٢). وأن العقيدة الإسلامية دعت كذلك إلى «الإنسانية التي تعلو على العنصرية». (ص ٧١).

بل إن العقيدة «أقامت "الإنسانية" على أساس من المساواة والإخاء» (ص ٧١). والتربية من وجهة نظر المحررين للاستراتيجية تسعى إلى غرس "الأخوة الإنسانية" للناس أجمعين. (ص ٥٩).

والرسالة القومية - "الإسلامية" - في زعمهم يحملها العرب «ويشهدون بها في هداية الإنسانية جموعه» (ص ٧٢). والمعلمون يقومون بتربية الأجيال من خلال

«هدى الحكم الإنسانية» (ص ١٧١). والأرض ستصبح في يوم من الأيام مأوى تسكنها أسرة إنسانية واحدة (ص ١٧٢).

وهكذا يظل محرر الاستراتيجية يدورون في دائرة مغلقة يركزون على لفظة «الإنسانية» حتى تجذب قبولاً عند القارئ ويستسيغها ويعتنقها وما دروا أنهم يفرزون أفكاراً هداماً ويقدمون مبادئ غريبة زاعمين بأن العالم كله من وجهة نظرهم سيصبح «وطناً مشتركاً» لكل الناس «تمتزج فيه الأمم المختلفة بعضها إلى أن تصبح «الإنسانية» بمثابة «القومية المشتركة» بين الناس وستزول النزعات «الوطنية» والنزعات «القومية» التي نعرفها الآن، بتقدم البشر، وتسامي العواطف، وستترك محلها إلى عاطفة «إنسانية وأخوة شاملة»». (الميداني، كواشف زيف، ١٤٠٥هـ، ص ٢٧٧).

إن «الإنسانية» أو «العالمية» «تحاول أن تكتشف الأصول الإنسانية المشتركة -حسب زعمهم- وراء مظاهر التعدد المتباعدة في هذه الأنشطة البشرية لتصبح الأرض وطنًا واحدًا يدين بدين واحد ويتكلّم لغة واحدة ويتدوّق الفنون بذوق واحد مشترك» (حسين، الإسلام والحضارة الغربية، ١٤١٣هـ، ص ٢٠٥).

إن «الإنسانية» دعوة ماسونية علمانية لا تعترف بدين ولا تهتم بعقيدة تدعوا إلى محبة البشر كلهم بدون تمييز». (حسين، ١٤١٣هـ، ص ٢٠٦).

إن الدعوة إلى «الإنسانية» دعوة هدامа لكل دين صحيح وقد تبني هذه الدعوة كثير من النصاريين والمسلمين الذين لا يفهون شيئاً في دينهم فعلى سبيل المثال يجد المرء أن «قسطنطين زريق» يدعي بأن العلم التطبيقي قد ربط «أجزاء العالم المختلفة وشعوبه بعضها البعض ومن اليوم فصاعدًا لن يكون هناك إلا عالم واحد أو لا عالم ولن يكون حضارة واحدة أو لا حضارة». (حسين، ١٤١٣هـ، ص ١٣٨). وهذه الدعوة التي تبناها «قسطنطين زريق» في عبارته السابقة بها ما يشابهها في «استراتيجية تطوير التربية العربية».

حيث أكد المحررون لهذه الاستراتيجية بأن الأرض ستصبح «داراً واحدة تسكنها أسرة إنسانية متكاملة متضامنة» (ص ١٨٢).

إن هذه الدعوة هي هدم صريح لكل دين وعقيدة صحيحة، وهي محاربة لله ورسوله عليه السلام ونبذ للدين الإسلامي وعدم الاعتراف به إن هذه الدعوة خرجت من بيضة

غير إسلامية وتقبلها على علاتها من يتسمون بالأسماء الإسلامية دون فهم لها ولم يرميها بعيدة، لقد بشر بالاتحاد الأسرة الإنسانية غير واحد من الغربيين ولقيت هذه الدعوة رواجا في ديار المسلمين فها هو "كالفرلي" يتبنى مثل هذه الدعوة العالمية "الإنسانية" بشرط التجرد عن الهوى وأن يكون الناس أحرارا في تفكيرهم «عندئذ يكون من المحتمل أن يسود العالم دين واحد». (حسين، ١٤١٣هـ، ص ١٣٨).

وهكذا يجد المرء أن محرري الاستراتيجية قد وقعوا في شرك خطير وعرضوا أنفسهم لنقد الآخرين؛ لأنهم تجاوزوا حدودهم واحتقرروا غيرهم وظنوا أنهم أتوا بشيء جديد يمكن أن تستفيد منه الأمة الإسلامية، ومادروا أنهم بصنعهم هذا يخدمون أعداء الإسلام من حيث لم يشعروا.

إن «هذه الدعوة العالمية في أخطر أشكالها حين تتجاوز الحضارة إلى الدين فتعمل - وهيئات - على تدمير الإسلام وتسييه في دين عالمي مزعوم» (حسين، ١٤١٢هـ، الإسلام والحضارة، ص ١٣٨). إنها «شديدة الصلة بالصهيونية العالمية التي توسل إلى السيطرة بمحو العصبيات على اختلافها لأنها هي العقبة الكبرى التي تحول دون تغلغلها في المجتمعات والمؤسسات، وأن المجتمعات البشرية إذا فقدت شخصياتها وعصبياتها، أصبحت قطاعانا من الأغنام يسهل على اليهود الذين يحافظون على عصبيتهم الدينية والقومية أن يسوقوها إلى حيث يريدون». (حسين، ١٤١٣هـ، ص ٢١٠-٢١١).

إن هذه العبارات الفضفاضة قابلة للمط والاتساع وكثيرا ما تردد في الاستراتيجية حتى أنه أصبح شعارا براقا يخلب الألباب ويأسر الفكر ويغدو هذا الشعار من المسلمات التي لا يحبد مناقشته أو الاعتراض عليه ومن هذه الشعارات "الإنسانية" "الحرية" "المساواة" "الأخوة" "العدل" وهي كما يقول "محمد بن سعيد القحطاني" (١٤١٣هـ، في كتابه "الولاء والبراء في الإسلام" ألفاظ خادعة وموهنة ومضللة. (ص ٤٢٥).

إن هذه الألفاظ التي استخدمها محررو الاستراتيجية تعتبر من الركائز العالمية الجديدة عند من يتبنون الدعوة إلى العالمية وفي هذا يؤكّد أحد المتسبّبين إلى الماسونية هذا المبدأ العالمي "الإنسانية" فيقول: «إن ما تبتغيه الماسونية هو وصول "الإنسانية"

شيئاً فشيئاً إلى النظام الأمثل الذي تتحقق فيه الحرية بأكمل معانيها وتزول منه الفوارق بين الأفراد والشعوب ويسود فيه العلم والجمال والفضيلة». (حسين، الإسلام والحضارة الغربية، ١٤١٣هـ، ص ٢٠٧).

إن الدعوة إلى "الإنسانية" وتبنيها هدم صريح للإسلام ولكل دين صحيح، والإتيان بدين جديد من صنع البشرية أنفسهم وهذه الدعوة لها صلة وثيقة باليهود الذين يسعون في الأرض فساداً ويتبنون كل نحلة هدامـة ويحتضنون كل مذهب هدامـة من أجل السيطرة على العالم وبقاءه تحت نفوذـهم وإن مثل هذه الدعوات التي تبناها محررو الاستراتيجية و «المبنية على هذا التصور كلها دعوات هدامـة، لأنها تهـزـعـنـفـ عـوـافـلـ التـجـمـلـ وـالتـأـلـفـ الـتـيـ تـقـومـ عـلـيـهاـ المـجـتمـعـاتـ الـبـشـرـيـةـ،ـ ثـمـ تـعـجـزـ عـنـ أـنـ تـقـيمـ بـدـلاـ مـنـهـاـ عـوـافـلـ أـخـرـىـ لـلـتـجـمـعـ وـأـسـالـيـبـ أـخـرـىـ لـلـتـعـاـونـ وـالتـأـلـفـ،ـ يـنـتـظـمـ بـهـاـ الـعـمـرـانـ،ـ فـهـيـ تـشـكـكـ الـنـاسـ فـيـ وـلـائـهـمـ الـدـينـيـ .ـ .ـ .ـ وـتـضـعـفـ ثـقـتـهـمـ فـيـ كـلـ قـوـانـيـنـهـمـ وـمـؤـسـسـاتـهـمـ ثـمـ تـرـكـهـمـ فـيـ الـفـوـضـىـ وـالـقـلـقـ وـسـطـ أـنـقـاضـ مـاـ هـدـمـتـ مـنـ عـقـائـدـ وـمـاـ قـطـعـتـ مـنـ وـشـائـحـ». (حسين ١٤١٣هـ، ص ٢٠٦).

وخلاصة القول أن "الإنسانية" تسعى إلى "محو كل دين لدى الأمة" (قطب، مذاهب فكرية معاصرة، ١٤٠٥هـ، ص ٥٩٠). ومواجهة الحياة بدونه وهو ما تسعى إليه المسؤولية. (محمد قطب، ١٤٠٥هـ، ص ٥٣١).

هـ- مصادر تقرير الاستراتيجية في تأكيد المبدأ الإنساني:
 تم التحدث سابقاً عن أهمية المصادر الأولية في الدراسات والأبحاث التربوية وأنه لا يمكن الاستغناء عنها بأي حال من الأحوال إذ لا بد من الاعتماد على «المصادر الشرعية في كل دراسة تعالج وضعاً من الأوضاع الاجتماعية وتساعد على توجيه المجتمع وتنميته سلوكياً واجتماعياً». (السلمي، منهاج كتابة التاريخ الإسلامي وتدرسيه، ١٤٠٨هـ، ص ٢١٩).

وعوداً مرة أخرى إلى تقرير "استراتيجية تطوير التربية العربية" ليـرىـ القـارـئـ ماـ الـمـصـادـرـ الـتـيـ اـعـتـمـدـ عـلـيـهـ الـمـحـرـرـونـ فـيـ تـقـدـيمـ الـمـبـادـئـ الـمـعـتـمـدةـ فـيـ الـإـسـتـرـاتـيـجـيـةـ؟ـ وـهـلـ منـ ضـمـنـ هـذـهـ الـمـصـادـرـ الـقـرـآنـ وـالـسـنـةـ أـمـ لـاـ؟ـ .ـ

عـنـ الرـجـوعـ إـلـىـ الـإـسـتـرـاتـيـجـيـةـ وـخـاصـةـ عـنـ الـحـدـيـثـ عـنـ "ـ الـمـبـادـأـ الـإـنـسـانـيـ "ـ أـوـ

"التربيـة للإنسـانـية" يلمسـ المرءـ أنـ منـ الاعتـبارـاتـ الأـسـاسـيـةـ فيـ تـصـورـ المـحرـرـينـ والـتيـ تـؤـكـدـ المـبـدـأـ "الـإـنـسـانـيـ"ـ وـتـعـتـبـرـ مـصـادـرـ يـعـتمـدـ عـلـيـهاـ فـيـ تـأـكـيدـ هـذـاـ المـبـدـأـ وـتـبـنيـهـ هـوـ ماـ جـاءـ فـيـ التـقـرـيرـ منـ الـاعـتمـادـ عـلـىـ :

- ١ - «النـزـعةـ "الـإـنـسـانـيـ"ـ فـيـ المـذاـهـبـ الـفـكـرـيـةـ مـنـ الـقـدـيمـ كـمـاـ تـجـلـتـ فـيـ آـرـاءـ الـحـكـماءـ وـالـفـلـاسـفـةـ وـفـيـ دـعـوـاتـ الـمـصـلـحـينـ وـكـمـاـ تـجـلـيـ فـيـ الـفـكـرـ الـمـعاـصـرـ،ـ وـالـاتـجـاهـاتـ الـحـدـيـثـةـ فـيـ الـعـلـمـ وـالـاجـتمـاعـ وـالـتـرـبـيـةـ»ـ (صـ ٢٢٧ـ).
- ٢ - «حـرـكةـ حـقـوقـ إـلـاـنـسـانـ -ـ وـتـجـدـدـ الدـعـوـةـ إـلـيـهـاـ فـيـ الـعـصـرـ الـحـدـيـثـ فـيـ طـمـوحـ الشـعـوبـ إـلـىـ التـحـرـرـ وـالـحـيـاةـ الـكـرـيـةـ وـفـيـ دـسـاتـيرـ الـدـوـلـ الـحـدـيـثـ وـقـوـانـينـهاـ وـفـيـ مـوـاـثـيقـ الـنـظـمـاتـ الـدـولـيـةـ وـبـرـامـجـهاـ»ـ .ـ (صـ ٢٢٧ـ).
- ٣ - «فـأـمـاـ الـمـلـمـونـ فـعـلـىـ هـدـيـ هـذـيـ مـنـ الـحـكـمةـ "الـإـنـسـانـيـ"ـ وـمـنـ الـخـبـرـةـ الـتـعـمـقـةـ وـالـمـارـسـةـ الـرـاوـيـةـ وـمـنـ بـعـضـ الـفـكـرـ الـتـرـبـويـ الـحـدـيـثـ»ـ .ـ (صـ ١٧١ـ).

وـإـذـاـ كـانـتـ هـذـهـ هـيـ الـمـصـادـرـ الـتـيـ اـنـبـشـقـتـ مـنـهـاـ الـمـبـادـئـ الـتـيـ قـامـتـ عـلـيـهاـ
الـاستـراتـيـجـيـةـ :

فـهـلـ يـكـنـ أـنـ تـكـونـ هـذـهـ الـمـصـادـرـ قـادـرـةـ عـلـىـ إـعـطـاءـ تـصـورـ صـحـيـحـ عـنـ "الـتـرـبـيـةـ
لـلـإـنـسـانـيـةـ"ـ ؟ـ

وـهـلـ مـنـ خـلـالـ هـذـهـ الـمـصـادـرـ يـكـنـ إـيـجادـ النـاشـئـةـ الـمـسـلـمـةـ الـتـيـ تـعـبـدـ اللـهـ سـبـحـانـهـ
وـتـعـالـىـ وـتـوـحـدـهـ وـتـسـعـىـ إـلـىـ مـرـضـاتـهـ؟ـ

وـهـلـ الـقـرـآنـ وـالـسـنـةـ غـيـرـ قـادـرـينـ عـلـىـ بـنـاءـ الـمـسـلـمـ فـيـ الـجـانـبـ الـتـرـبـويـ؟ـ
وـإـنـ الـإـنـسـانـ لـوـ أـنـعـمـ النـظـرـ فـيـ الـاسـتـراتـيـجـيـةـ وـمـاـ وـرـدـ فـيـ (صـ ٢٢٦ـ)ـ مـنـهـاـ لـتـأـكـدـ
لـدـيـهـ بـأـنـ الـاعـتـبارـ الـذـيـ يـسـتـنـدـ إـلـيـهـ "الـمـبـدـأـ الـإـنـسـانـيـ"ـ وـالـذـيـ ذـكـرـتـهـ الـاسـتـراتـيـجـيـةـ،ـ
وـخـاصـةـ الـاعـتـبارـ الـإـسـلـامـيـ -ـ أـنـهـ لـيـسـ لـهـ رـصـيدـ فـيـ الـوـاقـعـ -ـ وـأـنـ الـمـبـرـ الـإـسـلـامـيـ الـذـيـ
تـبـنـاهـ الـمـحـرـرـوـنـ مـاـ هـوـ إـلـاـ مـقـحـمـ إـقـحـاماـ مـنـ أـجـلـ أـنـ يـرـضـىـ بـهـذـاـ الـاعـتـبارـ مـنـ يـتـوـقـعـ بـأـنـ
الـاسـتـراتـيـجـيـةـ تـعـتـمـدـ عـلـىـ أـصـوـلـ الـإـسـلـامـ وـهـيـ بـعـيـدةـ عـنـهـاـ كـمـاـ بـيـنـ الـمـشـرـقـ وـالـمـغـربـ
وـدـلـيلـ ذـلـكـ أـنـ الـاعـتـبارـ الـذـيـ يـلـيـ الـاعـتـبارـ الـإـسـلـامـيـ مـنـاقـضـ لـهـ وـلـاـ يـقـرـهـ الـإـسـلـامـ
فـالـاعـتـبارـ الـذـيـ يـسـتـنـدـ إـلـيـهـ "الـمـبـدـأـ الـإـنـسـانـيـ"ـ وـالـذـيـ ذـكـرـتـهـ الـاسـتـراتـيـجـيـةـ بـعـدـ ذـكـرـ
الـاعـتـبارـ الـإـسـلـامـيـ هـوـ:

«النزعه "الإنسانية" في المذاهب الفكرية منذ القديم كما تجلت في آراء الحكماء وال فلاسفة». (ص ٢٢٧).

إن الاعتبارات التي جاءت بعد الاعتبار الإسلامي كلها تدعو صراحة إلى اعتناق المذهب "الإنساني" وهذا معناه أن يترك الباب مفتوحاً ل مختلف المذاهب الوضعية عبر التاريخ وحتى الآن، وكثير من العبارات التي وردت في الاستراتيجية ولا يمكن حصرها لكثرتها تدعوا إلى الالتزام بالمذهب "الإنساني".

لقد عجز العلماء قديماً وحديثاً عن التعرف على الإنسان وأخفقت الدراسات الحديثة التي أجريت في هذا الشأن عن فهم خفاياه وأسراره وإن معرفة الإنسان بنفسه ما زالت بدائية وكذلك معرفة ما يناسبه يعتبر من أصعب العلوم جمعاً إذا جاءت عن طريق البشر.

ومن هنا ألف "الكسيس كاريل" كتاباً اسمه "الإنسان ذلك المجهول" ليؤكد عجز الدراسات الحديثة عن فهم الإنسان وخفایاه وأسراره وهنا توصل "سيد قطب" (١٤١٣هـ) في كتابه "خصائص التصور الإسلامي ومقوماته" إلى حقيقةين هما:-

١- رحمة الله بهذا الإنسان الذي «لم يدعه بجهله هذا الذي يشهد به عالم كبير من علمائه في القرن العشرين - يصنع تصوّره الاعتقادي لنفسه».

٢- حقيقة التبجح الذي تبجحه كل من تصدى من جنس البشر - قديماً وحديثاً . . . لوضع مناهج للحياة وأنظمة للناس وشرائع حياتهم بمثل هذا الجهل الذي لا يمكن أن يؤدي ، إلا مثل ما أدى إليه من تيه وركام في التصورات ، ومن فساد وقصور في المناهج ، ومن شقاء وتعاسة في الحياة فهذه كلها هي التتابع الطبيعية والشمار المرة لذلك التبجح الكريه أو لذلك الجهل العميق» (ص ٥٨-٥٩).

إن التصور الصحيح عن الإنسان لا بد أن يكون مصدره ربانياً لا بشرياً وإذا أهمل هذا المصدر فإن المرء يصل ويأتي بما يضحك من التصورات والانحرافات ويكون شأن من يهمل هذا المصدر الرباني كمن يسقي عطشاناً بالماء المالح ، أو كمثل القرد الذي عطف على السمكة عند ما شاهدها تتصارع مع أمواج البحر فأخرجها منه وألقاها على اليابسة .

لقد حفظ الله سبحانه وتعالى القرآن والسنة من التحرير لإدخال أي عنصر

بشيء على هذا التصور الرباني «فهذا التصور الرباني هو الوحيد الباقي من غير أن يبعث به جهل البشرية وقصورهم وهو وحده ملاذ البشرية، لتفع إليه في يوم من الأيام فتجد عنده الهدى والسكينة والإطمئنان». (قطب، ١٤١٣هـ، ص ٦١).

إن التميز الذي يبني على الولاء والبراء حسب المقياس الإسلامي لا يفهم منه معاداة المصادر الأخرى فليس من «مقتضى التميز والاستعلاء هو "مخاصلة" كل ما يأتي من مصدر غير إسلامي، إن كان شيئاً نفاعاً في ذاته، ولم يكن متعارضاً مع الإسلام . . . إنما مقتضى ذلك ألا "يأخذ المسلمين" من مصدر غير إسلامي أمراً يتصل بالعقيدة أو يتصل بالأخلاق؛ لأن مرجعهم في ذلك هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهو حسبيهم وفيه ما يحتاجون إليه في هذه الأمور . . ذلك هو الواقع الإسلامي. وخلاصته: أن "الإنسانية" الحقيقة والسمحة الحقيقة هي الإسلام» (قطب، مذاهب فكرية معاصرة، ١٤٠٥هـ، ص ٦٠٣).

وإذا كانت الاستراتيجية في ثناياها تردد هذه العبارات "الإنسانية" وغيرها أليس في هذا إبعاد للمسلم عن دينه؟ وأليس في هذه هضم حقوقه في أن يتلقى تربيته من مصادره الأساسية؟ إن الاستراتيجية تقف بين المسلمين وبين التربية الإسلامية من أجل قطع المسلم بدينه وعقيدته وحالقه.

و - دعاوى الإنسانية في العصر الحاضر:-

"الإنسانية" التي يتغنى بها تقرير "استراتيجية تطوير التربية العربية" هي من أفكار المسؤولية العالمية كما شهد بذلك شاهد من أهلها وهي تسعى لمحو كل دين صحيح وجعل الناس يتخطبون في حياتهم دون معالم واضحة حتى أنهم يصبحون كالأنعام يأكلون ويشربون دون هدف في الحياة إلا هذا.

إن "الإنسانية" في العصر الحاضر هي وقف على غير المسلم بل إن "الإنسان المسلم" دون "الإنسانية" بمراتب ولا يحسب له حساب حتى في المحافل الدولية والمنظمات العالمية التي نصب نفسها للدفاع عن حقوق "الإنسان" والتي دائمًا تحذر إلى غير المسلم دون خجل أو مواربة ولم تكن هذه المنظمات الدولية التي تزعم لنفسها بأنها تدافع عن "الإنسانية" إنها هي التي سلبت الحقوق الأساسية في الحياة بالنسبة للمسلمين وأحرمتهم حق الدفاع عن أنفسهم، فهل يعقل أن مثل هذه المنظمات يمكن

أن تقف إلى جانب "الإنسانية" بالنسبة للمسلمين؟ كما يزعم محررو الاستراتيجية بوجود «مؤسسات فعالة لخير الإنسانية جماء» (ص ٣١١).

وأن خلاص "الإنسانية" مما يحique بها من أخطار يهدد كيانها «رهن بتعاون الأمم والشعوب وتفاهمها والتقاءها على مبادئ سليمة لتقرير كرامة الإنسان وحق الشعوب في الحرية». (ص ٢٣٩ - ٢٤٠)، كما يزعم التقرير.

إن الواقع يكذب هذه الدعاوى الفارغة والعبارات الرنانة التي ليس لها رصيد عند هذه المنظمات الدولية.

إن الإنسان المسلم حينما يطوف بنظره شرقاً أو غرباً وخاصة في العصر الحاضر يجد أن "الإنسانية" هي من اختصاص غير المسلم وأن الغرب ومنظماته «حينما يتعلق الأمر بالإسلام مستعد لأن يخون مبادئه وقيمه التي ينادي بها». (حكيم، هذه هي حقيقة مجلس الأمن، مجلة البيان، العدد ٦٢) جمادي الآخرة، ١٤١٥هـ، ص ٦٠ - ٦١.

إن الذين يحاربون بدعاوى "الإنسانية" هم المسلمون فقط. (قطب، مذاهب فكرية معاصرة، ١٤٠٥هـ، ص ٥٩٣).

وإن أعداء الإسلام عند ما يحاربون المسلمين بدعاوى الإنسانية يهدفون إلى تحقيق أمرين هما:

١ - «إزالة استعلاء المسلم الحق بآياته الناشئ من إحساسه بالتميز عن الجاهلية المحيطة به في كل الأرض».

٢ - «إزالة روح الجهاد من قلبه ليطمئن الأعداء ويستريحوا». (م قطب، ١٤٠٥هـ، ص ٥٩٣).

إن الواقع يؤكّد هذه الفريدة المختلفة التي يرددّها أعداء الإسلام وأتباعهم من المسلمين الذين يتبنّون مثل هذه الدعاوى والشعارات البراقة كالإنسانية وغيرها فالإخوة المسلمون في البوسنة والهرسك والصومال وغيره يتعرّضون للإبادة والعالم والمنظمات الدولية تقف مكتوفة الأيدي دون اهتمام بحقوق الإنسان وقد تحارب دول وتحاصر اقتصادياً من أجل حثالة من أعداء الإسلام تعرّضوا للإهانة أو القتل، وهنا تبقى "الإنسانية" وقفاً على غير المسلم. (قطب، ١٤٠٥هـ، ٦٠ - ٦٢)، (حكيم، هذه حقيقة مجلس الأمن، ١٤١٥هـ، ص ٦٢ - ٦٣).

وهذا يعني أن هناك تفرقة من قبل هذه المنظمات التي تزعم أنها تسعى لحماية الإنسان وتطالب بحقوقه وما هذه الشعارات التي ترفعها إلا شعارات فارغة خاوية لارصيد لها في الواقع.

إن الهدف الأول والأخير من إثارة هذه الشعارات البراقة والنحل الهدامة والمذاهب المزيفة في ديار المسلمين هي : «إخراج المسلم من إسلامه وقطع ولاء المسلم بربه ودينه وإخوانه المؤمنين ثم العودة إلى روح الجاهلية التي تمثل في الطاعة والانقياد والخضوع لهذه المذاهب الكافرة ولطواويتها الذين يخططون لها» (القططاني، الولاء والبراء في الإسلام ، ٤١٨-٤١٩ هـ، ص ٤١٣ هـ).

ذ - أدلة بطلان الإنسانية:-

١- اتضح فيما مضى شواهد كثيرة تدل على بطلان "الإنسانية" وأنها حركة علمانية كما شهد بذلك "رسل" (١٩٥٩م، ص ١٧٠) و "قسطنطين زريق" (حسين، الإسلام والحضارة الغربية، ١٤١٣هـ، ٢١٠-٢١١). و "كالفريلي" (حسين، ١٤١٣هـ، ص ١٣٨). وكذلك كبار الماسونيين الذين أكدوا أن "الإنسانية" ستكون النظام الأمثل، (حسين، ١٤١٣هـ، ص ٢٠٧)، وهؤلاء الغربيون يفهمون من كلامهم وعباراتهم أن "الإنسانية" دعوة هدامة ومذهب إلحادي، يؤكذ هذا أيضا النص التالي :-

يقول سميث: إن «التحررية و "الإنسانية" حركتان عميقتا الجذور في العالم الغربي وهما مشتقتان من اليونان من ناحية، ومن الإنجيل من ناحية أخرى ، وقد آتت هاتان الحركتان ثمراتهما خلال ثورات القرن الثامن عشر بتصميمهما على احتمال التضحية والاستشهاد في سبيل تحقيق أهدافهما ومثلهما». (حسين، ١٤١٣هـ، ص ١٨٥).

هنا يظهر للمرء أن "الإنسانية" مبدأ إلحادي غربي -تسعي إلى محاربة الأديان الصحيحة والقضاء على تميز المسلم بدینه وعقیدته وصلته بربه .

٢- ومن أدلة بطلان الإنسانية :

أنه إذا كانت «القومية والوطنية ، اللتان تحصران الولاء في دائرة الجنس أو التراب فيلتقي فيها مثلا اليهودي العربي والنصراني العربي ، والشريك العربي ، والبعث

العربي مع المسلم العربي ؛ لأن رابطة القومية تجمعهم !! وهذا أمر يرفضه الدين الحنيف ؛ لأن الرابطة فيه هي رابطة العقيدة فضلاً عن أن الوطنية والقومية ضيقتا دائرة الولاء». (القططاني، الولاء والبراء في الإسلام، ١٤١٣هـ، ص ٤١٩).

فإن العالمية "الإنسانية" تتفق مع الوطنية والقومية «في مناقضة عقيدة الولاء والبراء ولكن هذا التناقض يتخذ شكلاً آخر، وهو توسيع دائرة الولاء بحيث يدخل فيها كل الأقوام والأديان وهذا في حقيقة الأمر ضياع للولاء ومسخ للبراء حتى لا يعود المسلم يشعر بالفارق بينه وبين أي كافر في بقاع الأرض». (القططاني، ١٤١٣هـ، ص ٤٢٥).

٣- إن "الإنسانية" دعوة باطلة من أساسها «لأنها تخالف سنة ثابتة من سنن الله في الأرض، وهي دفع الناس بعضهم ببعض، وضرب الحق بالباطل، والهدم والبناء وجهان لهذه السنة لا يفتان يعملان دون انقطاع». (حسين، الإسلام والحضارة الغربية، ١٤١٣هـ، ص ١٦٣).

إن سنة الصراع والهدم والبناء تعتبر من مظاهر الحركة والحياة في الكون وفي المجتمعات الإنسانية ويتجزء عن هذا الصراع بين الحق والباطل أن يظهر الحق في أصفى صوره وأنقى عناصره. (حسين، ١٤١٣هـ، ص ١٩٣).

فلو سلمنا "بالإنسانية" المزعومة لانتفى هذا في نظر محري الاستراتيجية ولزال الخلاف في الدين والعقائد والملل وساد المجتمعات الإنسانية المحبة والوئام، وهذا لن يكون لأنه يخالف سنن الله في الكون ومصادمة للناموس الإلهي الذي اقتضى تعدد المجتمعات البشرية وتتنوع صفاتها وسماتها، والجماعات البشرية تدرك ذواتها من طريقين :-

أ- التقاء كل جماعة منها على صفات معينة تؤلف بينها وتشد بنيانها وتوحد صفوتها.

ب- اختلاف كل جماعة عن الأخرى لكي تدرك أنها ذات معنوية مستقلة عن غيرها من الذوات ، فتشابه أفرادها يحفظها من التشتت والتفكك ومخالفتها لغيرها تحميها من أن تذوب وتندفع . . . ولهذا حرصت المجتمعات البشرية على اصطناع أشياء تعمق الشعور بالذات مثل اللجوء إلى أعلام خاصة

وأناشيد وطنية وغير ذلك، "والإنسانية" بالمفهوم السابق تلغى هذا كله وتقضى عليه وهذا مصادمة للتواميس الكونية. (حسين، ١٤١٣هـ، ص ١٩٧).

٤- القضاء على التميز الذي يتميز به الإنسان المسلم من غيره، والذي حرص الإسلام على تمييز المسلمين من سائر الأمم بوصفهم أمة ذات كيان مستقل ونص على هذا التمييز الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار والذي ورد فيه على أن «المؤمنين والمسلمين من قريش ويشرب، ومنتبعهم فلتحق بهم وجاحد معهم أمة واحدة من دون الناس». (ابن هشام، السيرة، ٢٤١/٢).

إن مصدر التميز لدى المسلمين هو إحساسهم «بأنهم على الهدى وغيرهم على الضلال، وأن المنهج الذي يعيشون به هو المنهج الأعلى؛ لأن المنهج الرباني والذي يعيش عليه غيرهم هو المنهج الأدنى؛ لأنه منهج جاهلي، فهو ليس تميزاً مبنياً على الجنس ولا اللون ولا الجاه ولا الغنى ولا القوة ولا أي معنى من المعاني الأرضية التي تعزز بها الجاهلية وتستعلى بها على الناس، إنما التميز المستمد من معرفة المنهج الرباني وأتباعه». (قطب، مذاهب فكرية معاصرة، ١٤٠٥هـ، ص ٦٠٣).

ولا يفهم من هذا أن الإسلام يرفض الحضارات الأخرى أو مخاصمة كل ما يأتي من مصدر غير إسلامي إن كان فيه منفعة ولم يكن متعارضاً مع الإسلام.

إن "الإنسانية" التي يسعى تقرير "الاستراتيجية" إلى ترسيخها في نفوس الناشئة يقضى على هذا التميز ويجعل الإنسان المسلم يذوب في كيان غير كيانه، وفي أمة غير أمه، وهذا محاولة لله سبحانه وتعالى ومصادمة للولاء والبراء في الإسلام. ومجمل القول عن المبدأ الإنساني يلخصه "الميداني" (١٤٠٥هـ) قائلاً: «بأن "الإنسانية" دعوة ترد على السنة الغربية والشرقية واليهود والنصارى والمجوس وغيرهم من شعوب الأرض ولكن لا أحد من هؤلاء يطبق مفهوم "الإنسانية" مادامت موجهة "للإنسان المسلم" بل إن هذا الشعار شعار خداع يرفع ضد بعض الناس ويطوي في سائر الأحيان، وهو شعار للاستهلاك لا لتطبيقه في الواقع». (كواشف زيف، ٢٨٤-٢٨٥).



الفصل الثاني

تعميد:

لقد كان من المتوقع لدى الباحث أن يكون هذا المبدأ "التربيـة للإيمان" أول مبدأ تقوم عليه التربية والتعليم، لأن تصبح مرتبته تالية للمبدأ الإنساني "التربيـة للإنسانية" ولكن للأسف لم يفطن المحررون للاستراتيجية لأهمية هذا المبدأ "التربيـة للإيمان" فأخروه، وما دروا أن مدار التربية والتعليم يقوم على هذا المبدأ، وهذا عائد إلى الإطار المرجعي والمشرب الذي نهلوـا منه والمصدر الذي ارتووا منه، وبالتالي انعكست هذه المبادئ على ثقافتهم وأصبحت جزءاً أساسياً من حياتهم.

إن الواقع يشهد «أن الذين تهيمنـون على أفكارهم ونفوسهم التزعـة القومـية أو التزعـة الاشتراكـية أو التزعـة العلمـانية أو التزعـة التحرـرـية أو التزعـة الرأسـمالـية أو التزعـة الديـمقـراطـية أو التزعـة الدـكتـاتـورـية أو غير ذلك إذا أرادـوا وضعـ سيـاسـة تعـلـيمـية لـبلـدانـهم أو لـبلـد خـاصـع لـسـلطـانـهم أو مشـورـتهم، فإـنـهم يـجـعـلـونـ منـ أولـ المـوـادـ التيـ يـقـرـرـونـهاـ فيـ هـذـهـ السـيـاسـةـ التـعلـيمـيةـ تـربـيةـ أـجيـالـ تـحـمـلـ هـذـهـ التـزعـةـ أوـ تـؤـمـنـ بـهـاـ وـتـعـملـ عـلـىـ تـأـصـيلـهاـ وـخـدـمـةـ قـضـاـيـاهـاـ». (آل سعود، المستشـرـقـونـ وـتـوجـيهـ السـيـاسـةـ التـعلـيمـيةـ فـيـ العـالـمـ العربيـ، ١٤١٤ـهـ، صـ ١٨٤ـ).

وفي السطور التالية يحاول الباحث أن يكون حديثـهـ عنـ هـذـهـ المـبـادـأـ منـ جـانـبـينـ:-

أولاً: التـربـيةـ للـإـيمـانـ منـ خـلالـ الـاستـراتـاجـيـةـ:

وعودـاـ إـلـىـ تـقرـيرـ "استـراتـاجـيـةـ طـوـيـرـ التـربـيةـ العـرـبـيةـ" لـلـبـحـثـ عـنـ مـفـهـومـ الإـيمـانـ وـالـعقـيدةـ إـلـاسـلامـيـةـ لـدىـ مـحـرـرـيـ الـاستـراتـاجـيـةـ، وـمـنـ خـلالـ هـذـهـ المـفـهـومـ نـخـرـجـ بـتـصـورـ شـامـلـ عـنـهـ.

إنـ البـاحـثـ هـنـاـ سـيـلـجـأـ إـلـىـ تـصـنـيـفـ مـبـادـأـ "الـترـبـيةـ للـإـيمـانـ" إـلـىـ تـصـنـيـفـاتـ تسـهـلـ عـلـىـ القـارـئـ فـهـمـهـ وـاستـيعـابـهـ لـتـصـبـحـ الصـورـةـ وـاضـحةـ فـيـ الأـذـهـانـ، وـتـكـوـنـ فـكـرةـ مـتـكـامـلةـ نـوـعـاـمـاـعـنـهـ معـ قـيـامـ الـبـاحـثـ بـنـقـدـ خـفـيفـ لـلـفـكـرـةـ، وـتـأـجـيلـ التـطـوـيلـ إـلـىـ مـحـلـهـ وـمـظـانـهـ.

١ـ وـحدـةـ الـأـمـةـ وـالـروـابـطـ الـتـيـ تـقـومـ عـلـيـهـاـ:

جاءـ فيـ تـقرـيرـ "استـراتـاجـيـةـ طـوـيـرـ التـربـيةـ العـرـبـيةـ بـأـنـ الـأـمـةـ العـرـبـيةـ تـقـفـ عـلـىـ مـفـرـقـ الـطـرـقـ وـتـعـرـضـ لـتـحـدـيـاتـ كـثـيـرـةـ مـنـهـاـ التـخـلـفـ، وـالتـجزـئـةـ وـالـاستـعـمـارـ

والصهيونية . (ص ١٧) .

ومضى المحررون يحللون هذه التحديات واحداً تلو الآخر ، ولم تقع عيني على التحدي العقدي الذي يشكل حجر الزاوية في العصر الحاضر ، بل هو من أهم المشكلات التي يواجهها المجتمع الإسلامي بصفة عامة ، وقد قدمت دراسات عن هذا التحدي العقدي الذي يواجه الأمة الإسلامية ، وعقدت ندوة عنوانها : "التحديات الحضارية والغزو الثقافي لدول الخليج العربي" في "مسقط - سلطنة عمان" في الفترة من ١-٣ شعبان (١٤٠٥هـ) ، وأغلب موضوعات هذه الندوة تعالج هذه القضية العقدية التي أهملها وتغافل عنها التقرير .

إن التحديات التي ذكرها المحررون تعتبر نتيجة طبيعية لإهمال العقيدة الإسلامية ؛ ولذلك اقتصرت على ذكر هذه التحديات وأهملوا التحدي العقدي ، وكذلك كان شأنهم لما عدداً مظاهر الضعف الحضاري في (ص ١٠١-١٠٢) إذ لم يكن من بين هذه المظاهر ضعف الجانب العقدي ، بل هو سليم مائة بمائتها في نظر المحررين ، وإلا لأدرجوه ضمن هذه التحديات ، ولكنهم أغفلوه أو تجاهلوه أو لم يُفطنوا إلى أهميته ؛ ولهذا تجدهم اقتصرت على تلك التحديات التي ترسّبت في أذهانهم .

وجاء في (ص ٢٤) من تقرير الاستراتيجية : أن هناك روابط تربط الأمة العربية فيما بينها ، مثل <(روابط الوطن الواحد ، واللغة الواحدة ، وروابط العقيدة وانشقاقه السائدة ، وروابط التاريخ المشترك والنضال المتكافل في سبيل التحرر والاستقلال ، وروابط المصالح المشتركة وامرازدة المتألفة والمصير الواحد)> وهذا جعل المحررون العقيدة ضمن هذه الروابط ، ولم تكن هي الموجه لبقية هذه الروابط والمهيمنة عليها .

وتكرر ذكر الروابط في (ص ٣٣، ١٠٤)، وهنا يتضح أمر واحد ، وهو : أن الجانب العقدي لم ينل المكان اللائق به في حساباتهم بل أهمل من قبل المحررين لل استراتيجية ، ذلك أن ضعف هذا الجانب يسرى إلى مختلف ميادين الحياة ، فمن «التخلف العقدي نشأت كل ألوان التخلف التي أصابت العالم الإسلامي ... التخلف العلمي والحضاري والاقتصادي والحربي والفكري والثقافي» . (قطب ، واقعنا

المعاصر، ١٤٠٨هـ، ص ١٧٣.)

وما يدل على عدم فهم المحررين لهذا الجانب وإهمالهم له أنهم يرون أن إمكانات الأمة العربية تكمن في وحدتها أقوى ما تكمن في عقيدتها، وهذا يؤكّد مدى جهل المحررين بالعقيدة الإسلامية من خلال عباراتهم التي دونوها في التقرير الذي جاء فيه مانصه: «إنما تكمن إمكانيات الأمة العربية بوحدتها أقوى ما تكمن في عقيدتها وتراثها الحضاري وفي ثرواتها البشرية» . (ص ٢٥).

لقد تفتقت قريحة المحررين فأتوا بشيء لم يسبقهم إليه أحد من العالمين، إنهم يحكمون على أنفسهم بالجهل من خلال عباراتهم التي أوردوها إذ كيف تتوحد الأمة العربية إذا لم يكن هناك قاسم مشترك يجمع بينها؟ فعلام توحدوا إذن؟ هل القومية العربية أم الوطنية أم الإقليمية أم الإنسانية هي القاسم المشترك بينهم أم غير ذلك؟ إن محرري الاستراتيجية يفرزون عصارات غيرها ضمة وينفثون سموها قاتلة ويناقضون كلامهم بعبارات متعددة، ففي (ص ٤٢) أكد التقرير على أن الإسلام هو الذي وحد العرب، وهذه فريدة أخرى فالإسلام انضوى تحت لوائه مختلف الأجناس والألوان واللغات، وسار في ركبها هؤلاء دون تفرقة بينهم بخلاف ما ادعاه التقرير من اقصار الإسلام على العرب، وتوحدهم تحت لوائه.

ويتساءل المرء هنا عن الروابط التي اتحد العرب عليها هل هي الروابط التي مر ذكرها آنفاً أم غيرها؟ وماذا يقصد بهذه العقيدة التي لم تتحد الأمة عليها؟ هل هي العقيدة الإسلامية؟ إن كانوا يقصدونها فهذا لا يقبل منهم؛ لأنها هي التي انضوى تحت لوائهما كل من أعلن إسلامه سواء كان من عرب الجزيرة أم من غيرها.

وورد في التقرير كلام ينافق بعضه ببعض، ففي (ص ٤١) أكد المحررون على أن القوة الغالبة التي مكنت الإسلام من الانتشار في بضع سنوات وأصبحت موضع الدهشة والإعجاب إنها قوة غالبة تعود إلى العقيدة نفسها التي اعتنقها المسلمون وأصبحوا قادة العالم. وفي هذا يجد المرء أن القوة تكمن في العقيدة التي هي الإطار المرجعي للمسلمين في مختلف شئون الحياة.

وفي (ص ٧١) يردد المحررون عبارات تنبئ على أن العقيدة هي التي ساعدت المجتمع العربي على الصمود «حتى يقال عن حق: أنه على الرغم من انهيار دولة

السياسة فيه بقيت دولة العقيدة قائمة، فكانت هي قوته ودعامته في مواجهة التحديات على خطر شدتها وضرارتها». ويستطرد المحررون قائلاً: «إن السياسات تمضي وتتبدد ولكن العقيدة ثابتة وتصمد» (ص ٧١)، و«إن الدولة تنحل وتتبدد ولكن الأمة تبقى وتظل ... وقد ثبتت للأمة العربية عقيدتها» (ص ٧١). أما الأمة الإسلامية فلها عقيدة أخرى في نظرهم.

وفي (ص ٧٥) ورد في التقرير أن الأمة العربية لم تقف مكتوفة الأيدي أمام التحديات، بل كانت تتصرّف في معركة وتنهزم في أخرى وأعانها على الصمود. «كما أعانها على تلك الغلبة عقيدتها»، وعلى الرغم مما أصاب العرب من ضعف وجحود «وأثر في تمسكهم إلا أن العقيدة مع هذا ظلت حية فعالة في نفوسهم على مر العصور ، وكان التمسك بها قوة حافظت على شخصية الأمة وصمودها في وجه التحديات». (ص ١٠٤).

ما سبق يتضح مدى التخطيط الذي وصل إليه المحررون للاستراتيجية، وأنهم يسيرون على غير هدى، وهذا عائد إلى قصور فهمهم للثقافة الإسلامية فباعهم فيها ييدوا -والله أعلم- أنه ضئيل جداً لا يؤهلهم لأن يكونوا في مركز التوجيه والقيادة؛ لأنهم غير مؤهلين لما يصدر منهم من عبارات متناقضة مما يدل على عدم الفهم لما يقولونه.

إن روابط الأمة التي تطرق إليها المحررون ليست روابط حتى عليها إسلامنا الحنيف بحيث يشكل من خلالها أمة تقود العالم.

إن الروابط القوية لا بد أن تكون عامة وشاملة حتى تستوعب أبناء المسلمين، أما الروابط التاريخية، والأرضية فليس لها رصيد في الواقع، فالروابط التي تجمع بين أفراد الأمة المسلمة وتوحدها هي الإيمان، والهجرة، والرسالة، والجهاد، والإيواء والنصرة.

فهذه الروابط التي لو اجتمعت في أمة لأدت إلى ميلاد جديد لها. وأي أمة لا تقوم على هذه الروابط أو تحدث خللاً فيها فإنه يؤدي إلى ضعفها وانحلالها ثم موتها وقتل فاعلية الأفراد فيها. (الكيلاني، أهداف التربية الإسلامية، ١٤٠٨هـ، ص ٢١٩-٢٧٦).

٤- التغيير والعقيدة:

ما لا شك فيه أن مجالات التجديد محدودة، وليس على إطلاقها، فبعض الناس يرى أن التجديد هو «تطوير الدين وتغييره ليلائم الزمان، . . . ليست مهمة الدين أن يلائم التطور، إنما مهمة التطور أن يلائم الدين». (القرضاوي، كيف نتعامل مع السنة النبوية، ١٤١١هـ، ص ٤١).

ويزيد "القرضاوي" (١٤١١هـ) الأمر وضوحاً عن التجديد قائلاً: «التجديد لشيء ما هو محاولة العودة به إلى ما كان عليه يوم أنساً وظهر بحيث يبدو مع قدمه، كأنه جديد، وذلك بتقوية ما وهى منه وترميم مابلى، ورثق ما انفتق حتى يعود أقرب ما يكون إلى صورته الأولى». (كيف نتعامل مع السنة النبوية، ص ٤٢).

إن التغيير أو التطوير أو التجديد «المقصود المنشود ليس تغييراً في حقائق الدين الثابتة القطعية للتلائم أو وضع الناس وأهواءهم، ولكنه تغيير للمفاهيم المترسبة في أذهان الناس عن الدين ورسم للصورة الصحيحة الواضحة ثم هو بعد ذلك تعديل لأوضاع الناس وسلوكهم حسبما يقتضيه هذا الدين». (المتدى الإسلامي، ١٤١٠هـ، ص ٤٢).

ومجالات التجديد كثيرة منها :

- ١- التجديد في مجال العقيدة لا يقصد من هذا إضافة شيء إليها، بل تخليلها من الإضافات البشرية لتصبح نقية.
- ٢- وكذلك التجديد في مجال النظر والاستدلال وإحياء الحركة العلمية التي تهدف إلى دراسة القضايا الشرعية دراسة مبنية على الدليل الشرعي الصحيح بعيداً عن عصبية المذاهب.
- ٣- التجديد في السلوك الفردي والاجتماعي والعمل على صياغته صياغة إسلامية شرعية.
- ٤- ومن التجديد فضح المناهج والاتجاهات والأوضاع والمبادئ والسبل المخالفة للإسلام ليحى من حي عن بنيه ويهلك من هلك عن بنيه وهذه كانت طريقة المرسلين في كشف طريق الضلال لئلا يتلبس بطريق الحق. (المتدى الإسلامي، ١٤١٠هـ، ص ٤٩-٥٠).

إن منهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام جاء لتحقيق أمرين:

- أ - هدم المناهج الباطلة السائدة في مجتمعاتهم وأئمهم وبيان ضلالها وتهافتها.
- ب - بناء المنهج الصحيح البديل وتأصيله وتعديقه، أي: الاهتمام بالتخلية قبل التخلية، قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرُ بِالظُّفُوتِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرُوهَ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ . (البقرة: ٢٥٦).

وهنا يتضح أن المنطلق في التغيير لا بد أن يخضع لعقيدة المجتمع التي يدين بها الأفراد، وبما أننا في مجتمع إسلامي فلا بد إذن أن يكون التغيير خاضعاً للعقيدة الإسلامية والدين الإسلامي.

ومن هذا المفهوم للتجدد يقدم الباحث هنا ما ي قوله محررو الاستراتيجية عن التغيير وعلاقة ذلك بالعقيدة.

- جاء في (ص ٤٧) من تقرير الاستراتيجية ما يلي:-

«تفاعل العقيدة الإسلامية مع تطور مجتمعها وصلاحها ومرؤتها في الاستجابة لحاجاته ومشكلاته المتعددة».

وهذا الكلام يفهم منه أن تخضع العقيدة الإسلامية للتطور، لا أن تخضع التطور للعقيدة الإسلامية، ليس هذا فحسب، بل إنه «لا تنهر الأمة وتنطلق من نير التخلف والركود إلى رحاب التطور والتقدم إلا بإرادة أبنائها ووعي جماهيرها وعزם قيادتها» (ص ٢٨)، أي: دون مصدر إلهي يوجبهما.

لماذا هذا كله لأن إرادة التغيير التي تعمر قلوب الملايين من أبناء الأمة العربية وتنشد الحياة الكريمة وفي سائر مجالاتها الاقتصادية «إنما تنجلي كلما اعتمد في التغيير على أساليب التخطيط والتنظيم فيما يسمى بالاستراتيجيات على تعدد ميادينها» (ص ٢٩).

إن اتباع التخطيط والتنظيم بعيداً عن التوجيه الإلهي يؤدي إلى الإخفاق دائمًا ولهذا فهم أي: المحررون يؤكدون على أن الإنسان أصبح قادرًا «على تطوير ذاته وبيئته وعلى إرادة التغيير التي يتلکها وتأثيرها في ثقته بنفسه وفي تشكيل مستقبله ومصيره». (ص ٢٠٥).

إن التغيير الذي يقوم به الإنسان من وجهة نظر الحرررين لابد أن ينطلق من «الاعتماد على هداية عقله وهداية ضميره في مواجهة مشكلات الحياة وتحمل مسئولياتها» (ص ٢٤٩)، وليس بحاجة إلى الهدي الإلهي والنور الرباني، وعلى المجتمع أن يكن الإنسان من تطوير شخصيته «وتمكينه من الاعتماد على هدي عقله وضميره» (٢٥٣-٢٥٢).

«إن التغيير الذي يرتضيه الله للأمة العربية يبدأ بتغيير نفوسها بالتربيـة الصالحة والتنـشـة السـلـيمـة، وهـل غـير التـرـبـيـة وسـيـلـة أـجـدـى وـأـنـفـع فـي تـغـيـير النـفـوس» (ص ٣٢).

إن «نهضة الأم وتقدمها رهن بالتربيـة الصالحة لأـبـنـائـهـا» (ص ٣٢). والتغيير لا بد أن يستند إلى اعتبارات أساسية تكون نابعة من :

- ١ - خصائص المجتمع وأصول معتقداته .
 - ٢ - طبيعته الثقافية ومشكلاته وحاجاته .
 - ٣ - تطلعات المجتمع وأماله في المستقبل في نطاق فلسفة اجتماعية متكاملة متطرورة بتطور المجتمع وتفاعلـه مع العالم والحضارة المعاصرة في خـير جـوانـبـهاـ .
- (ص ٣٣).

هـذا هو مـفـهـوم التـغـيـير وعـلـاقـتـه بـالـعـقـيـدة عـنـدـمـحرـرـيـ الاستـراتـيـجـيـةـ الـذـينـ دـائـماـ يـنـاقـضـونـ أـنـفـسـهـمـ بـأـنـفـسـهـمـ مـنـ خـلـالـ فـهـمـهـمـ لـلـعـقـيـدةـ وـتـبـاـيـنـهـمـ فـيـ هـذـاـ فـهـمـ الـمـحـضـ الـذـيـ لـاـ يـتـبـناـهـ أـحـدـ مـنـ الـتـعـلـمـيـنـ .

٣ - العقيدة والتربية:

أكـدتـ الـدـرـاسـةـ فـيـمـاـ مضـىـ مـنـ الصـفـحـاتـ أـنـ مـاـ مـنـ نـظـرـيـةـ تـرـبـوـيـةـ أـوـ اـقـتصـادـيـةـ أـوـ غـيرـهـ إـلـاـ وـتـنـطـلـقـ مـنـ عـقـيـدةـ يـدـيـنـ بـهـاـ الـمـجـتمـعـ بـحـيثـ تـكـونـ هـذـهـ عـقـيـدةـ مـنـارـةـ يـسـتـرـشـدـ بـهـاـ فـيـ سـلـوكـيـاتـ الـمـجـتمـعـ وـقـيمـهـ وـأـخـلاـقـهـ وـتـعـامـلـهـ مـعـ بـيـتـهـ ، وـمـنـ هـنـاـ يـرـىـ الـبـاحـثـ أـنـ عـقـيـدةـ هـيـ الـحـصـنـ الـحـصـيـنـ لـلـمـجـتمـعـ الـمـسـلـمـ ، وـأـيـ خـللـ فـيـ فـهـمـ عـقـيـدةـ يـؤـدـيـ إـلـاـ اـضـطـرـابـ السـلـوكـ وـالـتـصـورـاتـ فـيـ حـيـاةـ الـفـرـدـ وـالـجـمـاعـةـ وـالـأـمـ ، وـإـنـ فـهـمـ الـغاـيـةـ مـنـ عـقـيـدةـ وـالـتـرـبـيـةـ لـدـىـ مـحـرـرـيـ الاستـراتـيـجـيـةـ هـوـ فـهـمـ مـغـايـرـ لـاـ هـوـ مـوـجـودـ فـيـ

التربية الإسلامية وهذا الفهم يوقفنا على فهمهم لهذه الغاية، وبالتالي يخرج المرء بتصور كامل عن هذا الفهم.

من في صفحات سابقة أن التربية تسعى إلى غايات محددة من وجهة نظر المحررين، وهذه الغاية كما حددوها هي فهم أنفسنا وأهلنا وإخوانهم الأبعدين وسائر إخوانهم من بني الإنسان. (ص ١٧٩). وأنها تعد المربين ليعيشوا في عالمهم. (ص ١٨٣). وغاية التربية القصوى خير الإنسان والمجتمع والإنسانية جمعاء. (ص ٢٢٠)، وكذلك يلمس القارئ أن فهم المحررين للاستراتيجية للعقيدة فهم مغاير لما هو موجود في التربية الإسلامية.

ففي (ص ١٨٧) يؤكّد التقرير أن الشهداء الجزائريين الذين سقطوا صرعي «إنما سقطوا ليثبتوا حق شعبهم في الحياة الحرة الكريمة»، ولم يكن سقوطهم دفاعاً عن العقيدة الإسلامية وإعلاء لكلمة الله في الأرض، ويذكر هذا المعنى في (ص ١٨٧) حيث «هرع أبناء أمتنا العربية العظيمة عندما دعاهم الداعي من أقصى مغربها الأخضر ومن أقصى مشرقها الأزهر ليموتون دون بيت المقدس دون كل ذرة من تراب الوطن العربي الكبير» فطلب الشهادة من أجل التراب فقط والوطن ومن أجل بيت المقدس أي فهم هذا للعقيدة الإسلامية أن الإنسان يدفع روحه فداء للوطن والتراقب؟.

وكذلك يجب على التدريبات العسكرية، وهي «مجال صالح لنماذج حية من الثقافة القومية، وما فيها من قيم أصيلة تؤكد على التعاون والتماسك والولاء والدفاع عن الشرف والحق والوطن». (ص ٣٠٧).

إن من واجب التربية العربية وهي تنمي إرادة التغيير «حرصها على عقيدة السماء كما تجلت في حركتها الحضارية الإنسانية» (ص ١٧٥).

وقد ظهر فيما مضى أن المبدأ «الإنساني» مبدأ هدم لكل عقيدة صحيحة، ولكل دين صحيح، وهو هم يريدون أن تنطلق العقيدة من «الحركة الحضارية الإنسانية» لا من الحضارة الإسلامية التي تظللها العقيدة الإسلامية.

إن التربية التي يجب أن تنطلق منها العقيدة من وجهة نظر المحررين مصادرها مصادر مشبوهة وغير مقبولة فهي تستند «إلى الفكر الإنساني وتطور العلم الحديث،

في مجال العلوم السلوكية خاصة والممارسة الواقعية والتجريب»، ص (٣٤). وهي محرومة من النور الإلهي وتستضئ بغيره من قرائح فهوم الفكر البشري لا من مصدر رباني؛ ولهذا يدعى المحررون زورا وبهتانا بأنه ينبغي أن يكون هناك تلازم بين التعليم والعقيدة، ص (٩٠)، وأي تلازم هنا يحدث إذا كانت المصادر التي يعتمدون عليها في تقديم الاستراتيجية مصادر بشرية، إذن لا مجال للعقيدة الإسلامية في مصادر التربية، وإنما هو ادعاء مزعوم من المحررين وكلام نظري ليس له رصيد في الواقع !!.

٤ - المخالفات في الدين:

الولاء والبراء في الإسلام أصل من "أصوله العظام" ويعتبر الصورة الفعلية التطبيقية للعقيدة الإسلامية. وكلمة التوحيد لن تتحقق إلا بتحقيق الولاء والبراء في الإسلام، وإنما ليس لها رصيد في الواقع إذا انتفى هذا الجانب. إن من صفت عقيدته الإسلامية، وخلص تحاكمه لله تعالى، وتفهم كتاب الله وأخذ تفسيره الصحيح، وعمل بالسنة ظاهراً وباطناً، وزكي نفسه تزكية نبوية، واستمد فكره من الوحيين الشريفين كان من ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾.

إن الذي ينبغي أن تدركه الأمة المسلمة لتعرف قيمتها وحقيقةها وتعرف أنها أخرجت لتكون لها القيادة بسبب أنها خير أمّة أخرجت للناس والله يريد أن تكون القيادة للخير، ومن ثم لا ينبغي لها أن تتلقى من غيرها من أمّ الجahليّة، إنما ينبغي أن تعطي هذه الأم مالديها، وأن يكون لديها دائماً ما تعطيه من الاعتقاد الصحيح والتصور الصحيح والنظام الصحيح والخلق الصحيح والمعرفة الصحيحة والعلم الصحيح . (قطب، في ظلال القرآن، ١٣٩٣هـ، ٢/٢٣).

وانطلاقاً من هذا يحاول الباحث أن ينشر المفاهيم التي يعتنقها محررو الاستراتيجية حول "الولاء والبراء".

جاء في (ص ٢٤٨) من تقرير الاستراتيجية أن «أساس المجتمع المشارك الإيجابية من جميع أفراده وفئاته وعناصره دون تمييز بسبب اللون أو الجنس أو العقيدة من أجل تحقيق أهداف واحدة ومصلحة مشتركة»، فهنا ساواوا بين المسلم وغير المسلم وهذا من أثر المبدأ "الإنساني" الذي تبناه تقرير الاستراتيجية، وأصبح

على رأس قائمة المبادئ المقترحة والذي يحتوى على فكرة هدامة، وهي أن بني البشر كلهم في الإنسانية سواء.

وفي (ص ٤٤) من التقرير يؤكد المحررون أن العقيدة التي يعتنقونها من أصولها دعوتها إلى الإنسانية وإيمانها بالإخاء والمساواة، وهي تعلو على العنصرية، ولهذا ترسخ في أذهان المحررين للاستراتيجية أن «الإسلام لا يرى أن مجرد المخالف في الدين تبيح العداوة والبغضاء»، (ص ٤٥).

وهذا مفهوم خاطئ يخالف صريح القرآن والسنة، إن هذا الفهم للعقيدة هو نتيجة مفهوم المحررين للتطور والتجديد الخاطئ، فهم يؤكدون على «تفاعل العقيدة الإسلامية مع تطور مجتمعها وصلاحها ومرورتها في الاستجابة لحاجاته ومشكلاته المتتجدة». (ص ٤٧).

ومن التطور في زعمهم: عدم عداوة المخالفين في الدين؛ لأن العقيدة تتتطور مع تطور مجتمعها، ومن تطورها أنها تقبل المخالفين، ولا تكن لهم العداوة والبغضاء، أليس في هذا ما يدل على جهلهم بكتاب ربهم وسنة نبيهم عليه الصلاة والسلام؟ .

وهذا الفهم الخاطئ للعقيدة أوقعهم في نفق مظلم بحيث قدموا في الاستراتيجية تصورات غير مقبولة في الميدان العقدي، كما سبق بيانه.

ونتيجة لهذا سرى هذا الفهم الخاطئ حتى أصبح الدفاع عن الشرف والوطن من أهم ما تسعى إليه التربية. (ص ٣٠٧). وأن البلدان التي تعرضت للاحتلال من قبل المستعمر كان مفكروها وأدباؤها لديهم حس وطني وقومي، وفي كتاباتهم تعبر عن هذا الولاء للثقافة الوطنية والقومية. (ص ٨٣).

إن فهم المحررين للعقيدة الإسلامية لم يكن فهما صافيا نقيا، وإنما هو خليط من عقائد متعددة ولهذا جاء الفهم مزريا وغير دقيق.

٥ - الإسلام نظام حياة:

ما لا شك فيه أن الإسلام جزء لا يتجزأ ولا يقبل التجزئة، ولهذا دعا الإسلام أتباعه للدخول في السلم كافة، أي: العمل به دفعة واحدة دون تجزئة، يقول تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَةً ﴾ (البقرة: ٢٠٨). وهذا هو الفهم الذي

يجب أن يصاحب المسلم في حياته وفي سلوكياته وأنشطته حياته المختلفة .
ومن هنا يحاول الباحث أن يتجلو في تقرير " الاستراتيجية " ليري فهم المحررين للإسلام وعلاقته بالعقيدة .

إن أول ما يقع عليه النظر في هذه " الاستراتيجية " أن المحررين لها دائمًا يصفون الإسلام بأنه منهج حياة وذلك كما ورد في (ص ٣٣) من التقرير « إن في الإسلام عقيدة ونظامًا قوام الحياة السليمة للإنسان والمجتمع ، وقد اهتدى به العرب كما اهتدت به أم أخرى غيرهم ». ولكن يصاب الإنسان بالخيرة والاضطراب عند ما يقرأ نصا آخر يعارض ما تبناه التقرير ؛ إذ جاء في (ص ٥٧) مانصه : « للحضارة العربية أثار في فصل الدولة عن الكنيسة وفيما تلاه من حركات التحرير أو دعوات التغيير » ، أي : أن الدين أمر شخصي يتعلق بالفرد يؤدي عبادته في مكان معين ، وليس له علاقة بالحياة ، أليس في هذا منافاة لقولهم : بأن الإسلام منهج حياة ؟ وأي حياة هذه التي يقصدونها ؟ .

إن المحررين يؤكدون أهمية الإسلام في حياة الفرد والجماعة ، وعباراتهم توضح ما أقصده هنا من شموله لمختلف جوانب الحياة . « جاء الإسلام ثورة حضارية كبرى بما فصل من عقيدة في توحيد وتكوين الوجود ، وبما وضع من نظام لحياة الإنسان وحياة المجتمع » (٤٢) . فهو يتضمن « التأكيد على التوازن بين الروح والجسد ... لا يجوز للمسلم أن يبخس أياً منهما حقه ومطالبه ، ولا يحمد منه الإسراف في مرضاهة هذا أو ذاك ». (ص ٤٣) .

وهذا يقتضي أن « تكون التربية شاملة متکاملة تعنى بالجوانب المختلفة للإنسان ، وتحقق له التوازن والانسجام في حياته وتعنى بتنشئته متکاملا في شخصيته موفقاً بين مطالب الروح ومطالب الجسم ، وبين واجبات الدين وواجبات الدنيا ، مضطلاعاً ببعضه في مجتمعه ، مؤمناً بالإخوة الإنسانية للناس أجمعين ». (ص ٥٩) . والجمع بين علوم الدين والدنيا من مميزات المنشآت التعليمية في تاريخ التربية الإسلامية . (ص ٦٤) .

إن الإسلام ناسخ للدينات السماوية ومهيمن عليها ، إلا أن مفهوم المحررين لهذا لم يكن سليما ، فقد جاء في (ص ٤١) من التقرير مانصه : « جاء الإسلام يتم

دعوات الأنبياء ويختم رسالات السماء ويصحح عقيدة التوحيد ويكمّلها». فهذا تغليف للحقيقة وتزوير لها، فالإسلام مسيطراً على الكتب السماوية وقد أكمله الله سبحانه وتعالى، فلا يحتاج إلى تكميل أو زيادة.

وفي (ص ٤٦) وردت العبارة التالية في التقرير: «إذا كان الإسلام، وما ينطوي عليه من مبادئ وقيم سامية مستمرة، يعتبر نظام حياة شاملًا متكاملًا في تفاعله مع ظروف الزمان والمكان، فلابد من النظر إلى أهداف التربية والتجاهات التي وبرامجهما في حاضرها ومستقبلها من خلال هذه المبادئ والقيم».

الإسلام لا يخضع لهذه الظروف وإنما الظروف هي التي تخضع لمبادئه وقيمته السامية. وهكذا يجد المرء المفاهيم المبتورة في هذا التقرير عن الإسلام، فإذا دهار الدراسات العلمية والإنسانية كما تقول الاستراتيجية مصدره عقلاني وأخلاقي (ص ٦٤) أين العقيدة الإسلامية في مساحتها للنهوض بالدراسات العلمية وانطلاق الحضارة العلمية من هذه العقيدة؟

وهناك مفاهيم أخرى تناقض العقيدة الإسلامية والدين الإسلامي الحنيف، منها: لجوء المحررين إلى استخدام عبارات، مثل: "السيطرة على الطبيعة" كما ورد في (ص ٣٧، ١٠١)، وكذلك استخدام ألفاظ أخرى مثل: "المصادفة". التي وردت في (ص ٢٨، ٤٢، ١٨٣، ٧١)، وكذلك إهمال الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، التي تعتبر عبادة مضاعفة، ولجوء المحررين إلى استخدام حرف "ص" أو استخدام "صلعم" ، وهذا كما حدث في (ص ٤٣، ٥٩، ٦٠)، وإن كان المحررون قد ذكروا الرسول ﷺ وأردفوا ذلك بالصلاوة والسلام عليه، وذلك في (ص ٤٦، ٤١، ٦٠).

هذه فكرة مختصرة عن المبدأ الثاني من المبادئ التي يجب أن ينطلق منها التربية والتعليم والتي تبنت مثل هذه المبادئ "استراتيجية تطوير التربية العربية" وهو مبدأ "التربية للإيابان" ، وسيأتي مزيد تفصيل عن هذا المبدأ فيما يلي من الصفحات التالية:

ثانياً: التربية للإيمان من منظور التربية الإسلامية:

تمهيد:

يقف الإنسان المسلم إزاء ما يقرأه ويسمعه من غير المختصين مشدوهاً وحائراً، ويتألم كثيراً البعض الذين أقحموا أنفسهم في ميادين ليسوا من أهلها، بل وضعوا أنفسهم في مكان القيادة والتوجيه - ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه - ومن ذلك يجد المرء أن بعض المتطفلين على الإسلام والمعالين فيه يرون في أنفسهم أنهم قد قدموا خدمات جليلة لأمة الإسلام وما دروا أنهم بعملهم هذا قد جنوا على الإسلام وأهله جنابه لا يحوها التاريخ، ولا تغفر لهم الأجيال الناشئة، هذا العمل الذي أقدموا عليه، وذلك من خلال بعض المؤلفات التربوية التي يراد للناشئة أن يتشربوا بها وينشأوا عليها، والتي هي سبب زعاف وموت حقيقي لأمة الإسلام إذا تربت عليها الأجيال خاصة إذا كانت صدرت من غير المختصين في هذا الشأن، ووجهوا توجيهها معيناً.

إن هذا المنحني الفكري الذي أصبح به بعض من يتسمون بالمربيين واحتلوا مكان الصدارة في تربية الناشئة يبشر بجيل مشوه في أفكاره وقيمه ومبادئه مبتور الصلة بالله سبحانه وتعالى.

إن كثيراً من المؤلفات التربوية التي تدرس في بعض أقطار العالم الإسلامي تعلن محاربتها للدين، وتسعى إلى اجتثاثه من صدور الناشئة، ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

من المعلوم أن عناصر الموقف التعليمي ثلاثة، هي: المعلم، المتعلم والمحتوى، وكلها تسعى إلى تحقيق هدف واحد، وهو عبادة الله سبحانه وتعالى على بصيرة ومعرفة، والتربية الإسلامية التي يريد لها المجتمع الإسلامي هي: تربية الجيل الناشئ على هذا الإسلام "تربية إسلامية صحيحة منذ نعومة أظفاره، دون أي تأثر بالتربية الوافدة".

وما أحوج العالم الإسلامي إلى التربية الصحيحة ذات القواعد السليمة والأسس المتينة لينشأ أجيال يؤمنون بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً.

لقد هال الباحث ما عرفه عن تقرير "استراتيجية تطوير التربية العربية" كما مر سابقا في مبدأ "التربية للإنسانية" وها هو الباحث، الآن يشق طريقه جهة المبدأ الثاني وهو "التربية للإيمان" ويحاول أن يقومه وينقده منطلقا في ذلك من العقيدة الإسلامية التي تعتبر الإطار المرجعي لكل شئون الحياة.

من المعلوم أن الأمة الإسلامية إذا أرادت أن تظفر بالقيادة العالمية فعليها أن تهتم بأجيالها فتربيهم تربية إسلامية، وتجعل القرآن والسنة نصب عينيها. فالإصلاح أيًا كان نوعه يبدأ من التربية، بل وأخر شيء في الإصلاح هو التربية التي تصنع الإنسان منطلقا من العقيدة التي تدين بها الأمة الإسلامية.

إن الباحث هنا لن يذهب بعيدا في دراسته، بل سيعرج على تعريف العقيدة والإيمان من منظور التربية الإسلامية ليكون هذا التعريف منطلقا له في تقويم ما جاء في "الاستراتيجية"، وبحيث يكون هذا التعريف بمثابة مصباح يسير على هديه ويستنير بنوره.

أ - تعريف العقيدة:

(أ) في اللغة: تطلق العقيدة في اللغة على معانٍ متعددة، منها:

- ١ - عقد اليمين. (الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، د. ت، ص ٣٤١) لقوله تعالى: «وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَنَ» (المائدة: ٨٩).
- ٢ - العهد. (ابن فارسي، معجم مقاييس اللغة، ٤/٨٦، هـ ١٣٩١)، لقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُهُودِ» (المائدة: ١).
- ٣ - مصدر ميمي بمعنى الاعتقاد وما يعتقد الإنسان من أمور الدين . (البستانى، محيط المحيط، هـ ١٣٩٧، ص ٦١٨).
- ٤ - ما يدين به الإنسان ويعتقد. (اليسوعي، المتجد، د.ت، ص ٥١٩).

(ب) في الاصطلاح:

أما المعاني الاصطلاحية للعقيدة فهي ترد على عدة معانٍ أيضا، منها:

- ١ - «الأمر الذي يجب أن يصدق به القلب وتطمئن إليه النفس حتى يكون يقينا ثابتا لا يازجه ريب ولا يخالطه شك». (ابن تيمية، العقيدة الواسطية، ٦١٤٠ هـ، ص ٨).

٢ - «ما يقصد فيه نفس الاعتقاد دون العمل»، (الجرجاني، التعرifات، ١٣٥٧هـ، ص ١٣٣).

٣ - العقيدة هي الجانب النظري الذي يطلب الإيمان به أولاً، وقبل كل شيء إيماناً لا يرقى إليه شك ولا تؤثر فيه شبهة». (شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة، ١٤٠٤هـ، ص ٩).

٤ - «هي التصديق المطلق الذي لا يمازجه ريب ولا يخالطه شك بكل تعاليم الدين الإسلامي التي وردت في صحيح القرآن وصحيح الأحاديث النبوية الشريفة باعتبارها شاملة لكل جوانب الحياة». (أحمد، طرق تعليم التربية الإسلامية، ١٤٠٤هـ، د. ط، ص ١٠١).

ب - تعريف الإيمان اصطلاحاً:

يتضح للقارئ أن العقيدة هي الجانب النظري، وهي شاملة لكل جوانب الحياة وهنا سيورد الباحث تعريف الإيمان في الاصطلاح، ومن خلال تعريف العقيدة والإيمان ستتضح الصلة بينهما:

(أ) «اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالأركان». (ابن حجر، فتح الباري، ١٣٨٧هـ، ٤٦).

(ب) وعرف "النووي" (١٣٩٢هـ) الإيمان في كتابه "شرح مسلم" : بأنه «التصديق بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالجوارح». (١٤٧/١).

ويلحظ القارئ هنا أن للإيمان ثلاثة عناصر هي :

١ - اعتقاد بالقلب. ٢ - إقرار باللسان. ٣ - عمل بالجوارح.

كما يلاحظ هنا أيضاً أن الاعتقاد أصبح عنصراً أساسياً من عناصر الإيمان، وهو يمثل «قاعدة الإيمان وأصله»، فالإيمان عقيدة مستقرة في القلب استقراراً يلازمها ولا ينفك عنه ويعلن صاحبها بلسانه عن العقيدة المستكتنة في قلبه ويصدق الاعتقاد والقول بالعمل». (الأشرق، العقيدة في الله، ١٤٠٥هـ، ص ١٦).

من خلال ما سبق يتضح أن هناك تلازماً بين الإيمان والاعتقاد، ولا يستغني أحدهما عن الآخر يصور هذا التلازם "عمر بن سليمان الأشرق" (١٤٠٥هـ) في كتابه "العقيدة في الله" قائلاً: «فمثيل الإيمان كشجرة طيبة ضاربة بجذورها في

الأرض الطيبة، وباسقة بسوقها في السماء، مزهرة منمرة معطاءة، تعطي أكلها كل حين بإذن ربها، فـالإيمان هو الشجرة، وجدورها هي العقيدة التي تغلغلت في قلب أصحابها، والسوق والفروع والثمار هي العمل، ولا شك أن الجذور إذا خلعت أو تعفنت فسدت الشجرة ويبقى ولم يبق لها وجود، وكذلك الإيمان لا يبقى له وجود إذا زالت العقيدة. أما إذا قطعت الساق والفروع أو قطع بعض منها، فإن الشجرة تضعف وتهزل، وقد تموت كليا لأن وجود الفروع والأوراق ضروري كي تحافظ الشجرة على بقائها، وكذلك الأعمال إذا تركت أو ترك جزء منها، فإن الإيمان ينقص أو يزول». (ص ١٧ ، ١٨).

إن علاقة العقيدة بالإيمان في التربية الإسلامية علاقة وثيقة وقوية ولا تستقيم الحياة إلا بهما جمِيعاً، ولا ينفك أحدهما عن الآخر بأي حال من الأحوال.

ج - أهمية العقيدة الإسلامية في حياة الفرد والمجتمع:

ذكر الباحث في بداية هذه الدراسة أن العقيدة هي الأساس لمناشط الحياة، ولا تقوم حياة دون عقيدة، وهذه حقيقة لا يختلف عليها اثنان، ذلك : «أنه ما من نظرية تربوية أو اجتماعية أو اقتصادية أو سياسة إلا وانبثقت من عقيدة تحدد نظرها في الكون والحياة والإنسان، وتتشعب عنها جميع أنظمة الحياة فيما بعد». (الغضبان، من معين التربية الإسلامية، ١٤٠٢ هـ، ص ٦).

وإذا كانت العقيدة تتناول مختلف الأنشطة الحياتية فهل هناك أهم من ميدان التربية والتعليم الذي من خلاله تنشأ أجيال الأمة الذين سيقودونها، إما إلى بر الأمان، وإما إلى الخسران والضلالة -والعياذ بالله سبحانه وتعالى - .

إن محريي "الاستراتيجية" أهملوا العقيدة الإسلامية أثناء تناولهم للتحديات التي تواجهها الأمة العربية (ص ١٧) وأثناء حديثهم عن مظاهر الضعف الحضاري في (ص ١٠١ - ١٠٤)، حيث لم ترد في هذين الموضعين وغيرهما، وكان العقيدة الإسلامية صافية نقية لم تتعرض للمحاربة من قبل أعداء الإسلام.

إن الواقع يكذب هذا فأهم ما يسعى إليه الأعداء هو حجب الإيمان بالله سبحانه وتعالى والتشكيك في عقيدة المسلمين والتقليل من شأنها ووصمها بأنها عقيدة غبية.

إن العقيدة الإسلامية هي الطوق الواقي الذي يربط كيان الإنسان، ويوحد اتجاهه وينع اتحالله وانحرافه عن جادة الطريق القويم .
وإذا كانت العقيدة صافية فما الداعي إلى تقديم "استراتيجية لتطوير التربية العربية" دون عقيدة؟

إن العقيدة «هي التي ترسم للفكر وجهته وتدفع صاحبها إلى طريق سلوك معين وعمل معين ، فما يكون من الأعمال من صلاح أو فساد فإنما مرجعه صلاح العقيدة وفسادها». (المصري ، لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغاياتها ، ١٣٩٨هـ ، ص ٩١).

وإن أول خطيئة وقع فيها محررو "الاستراتيجية" هو أنهم جعلوا مبدأ "التربية الإيمانية" المبدأ الثاني ، وجعلوا مبدأ "التربية الإنسانية" هو الأول ، فأخرروا ماحقه التقديم ، وقدموا ما حقه التأخير من وجهة نظرهم هم :

إن هذا العمل قذيفة مسمومة وفکر هدام ، فمن الحكمة «وضع كل شيء في مرتبته ، فلا يؤخر ما حقه التقديم ، أو يقدم ما حقه التأخير ، ولا يصغر الأمر الكبير ، ولا يكبر الأمر الصغير». (القرضاوي ، أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة ، ١٤١١هـ ، ص ٣٤).

إن هذا الترتيب هو الذي سار عليه الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، فأكرم الخلق سيدنا محمد بن عبد الله عليهما السلام كانت «مراحل سيرته عليهما السلام» ترجمة لهذا الفقه ، ففي العهد المكي كانت المهمة محصورة في الدعوة إلى الله وتربيـة الجيل المؤمنين . . . وكان التركيز على أصول العقيدة وترسيخ التوحيد والتخلـي بالفضائل وعدم الانشغال بالجزئيات أو الفرعـيات». (القرضاوي ، ١٤١١هـ ، ص ٣٤).

ذلك لأن مجانية الأولويات والإهمال لها والركون إلى دونها يشكل خطرا على حياة المجتمع ، فالخير كلـه مرتبـ بفقـه هذه الأولـويـات . (المجتمع ، ع ١٠٧١ ، ٢٤ ، جـمـاديـ الأولىـ ، ١٤١٤ـهـ ، ص ٥٠-٥١).

إن محرري "الاستراتيجية" لجهلـهم بأهمـية العـقـيدة الإـسلامـية وضعـوا "المبدأ الإنسـانيـ" على رأس قائـمة الأولـويـات في المـبـادـىـ التي تقومـ عـلـيـها الاستـراتـيجـيةـ ، وهذهـ جـريـةـ لا تـغـتـفـرـ أنـ يـجـهـلـواـ أهمـيـةـ مـبـداـ العـقـيدةـ الإـسلامـيةـ ، وأنـ يـكـونـ هوـ المـوجـهـ

لبقية المبادئ التي يجب أن ينطلق منها ميدان التربية والتعليم.

وإن ما وقع فيه المحررون للاستراتيجية من تقديم المبدأ الإنساني على المبدأ الإيماني يكفي دليلاً لنصف هذه الاستراتيجية، وعدم قبولها، فال التربية الإسلامية الأولى في العهد المكي تمكنت من صياغة أفراد الأمة عقائدياً وفكرياً وسلوكياً وغرسـتـ في نفوسـهـمـ الـانتـماءـ لـهـذـهـ العـقـيـدـةـ الـرـبـانـيـةـ أـوـلـأـ وـقـبـلـ كـلـ شـيءـ،ـ فـهـلـ سـارـتـ هـذـهـ الـاسـتـراتـيـجـيـةـ عـلـىـ هـذـهـ الدـرـبـ نـفـسـهـ أـمـ حـادـتـ عـنـهـ؟ـ .ـ

لقد حادت الاستراتيجية عن الصواب وضللت طريقها نتيجة توجيه معين وقد ان أصحابها مقومات الثقافة الإسلامية وعدم وضوحها لدى من قام بتحريرها مما جعل الأمر يزداد سوءاً ويستفحـلـ،ـ لقدـ كانـ أكبرـ ضـربـةـ وجـهـتـ للـعـالـمـ الـعـرـبـيـ هوـ تـسـلـيمـ الـقـيـادـةـ التـرـبـويـةـ إـلـىـ آـنـاسـ غـيرـ مـخـتصـينـ فـسـلـمـواـ لـهـمـ زـمامـ الـقـيـادـةـ وـتـوـجـيـهـ الـأـمـةـ،ـ وـكـانـ عـمـلـ هـؤـلـاءـ كـمـنـ يـسـقـيـ مـحـتـضـراـ يـعـانـيـ سـكـرـاتـ الـمـوـتـ،ـ سـمـاـ زـعـافـاـ لـلـإـجـهـازـ عـلـىـهـ،ـ وـهـؤـلـاءـ الـاتـبـاعـ كـثـيـرـونـ لـاـ كـثـرـهـمـ اللـهــ.ـ وـإـنـ تـسـتـرـواـ بـلـبـاسـ الـإـسـلـامـ .ـ

لا شك أن الإنطلاق في المبادئ كان خاطئاً وهذا عائد إلى عدم تحديد الهوية الخاصة بالإنسان المسلم فهذه الهوية هي التي تحدد سلوك الأفراد وتجعلهم يسيرون في إطارها وفقدان الهوية فقدان لكيان الأمة لأنها تصبح دون محتوى فكري، فالعقيدة الإسلامية في المجتمع الإسلامي هي الهوية التي تميزه عن بقية المجتمعات الأخرى والواقع يشهد بأهمية هذه الهوية وأثرها في الأمة فالجميع يعلم أن اليابان «خرج من الحرب العالمية منهك القوي متضرراً كما لم تتضرر دولة مثله، ومع ذلك هو الآن في مصاف الدول المتقدمة... لأن الخط الواضح الذي سارت عليه اليابان منذ خروجها من الحرب هو التميز بهوية مستقلة». (الشمسي، طريق البناء التربوي، ١٤٠٩ـهـ، ص ٩٢ـ٩٣ـ).

ونحن في العالم العربي إذا أخذنا بهذه الاستراتيجية، وهي بهذه الصورة فهل حققنا هويتنا أم حاولنا الإجهاز عليها من قبل أنفسنا؟ .

إن ترتيب الأولويات ينبغي أن يكون واضحاً لدى من يقدم بناء نظرية تربوية أو استراتيجية تربوية حتى لا يأتي البناء هشا وضعيفاً وغير متماسك، وهذه حقيقة

تلجأ إليها الدول عند تأسيسها أو خروجها من الحروب والکوارث ، وينبغي أن يكون هذا الأمر أكثر وضوحاً في البناء التربوي ، فالرسول ﷺ واجه ركاماً جاهلياً مشوشة منحرفاً وظلماً واقعاً فلم يشأ أن يجمعهم تحت محاربة الظلم أو حول القومية العربية ، وكان بإمكانه أن ينطلق من هذا وسيجد العون والدعم ينهال عليه ، ولكنه عليه الصلاة والسلام أقام تربية أصحابه على أساس ثابتة وراسخة ، استغرقت من عمره المديد ثلاثة عشر عاماً وكلفته معاادة الأهل والقبيلة ومحاربة العرب كانت بداية التربية تنصب على العقيدة ، والتي بفقدتها ينهار البناء التربوي ؛ لأنه بنى على شفاعة جرف هار ، لا على تقوى من الله ورضوان . (الشمسي ، ١٤٠٩هـ ، ص ١٠٥-١٠٩).

وخلاصة القول : إن العقيدة الإسلامية هي الدافع لكل شيء في حياة المسلم «هي الدافع لإقامة "النظام" بكل مزاياه الربانية التي لا توجد في أنظمة البشر ومناهجهم ، وهي الدافع لحماية هذا النظام الرباني من أعدائه الذين لا يرغبون في رؤيته قائماً في الأرض ... وهي الدافع للتعلم». (قطب ، دراسات قرآنية ، ١٤٠٣هـ ، ص ٢٦٩).

ومن أجل ذلك جعل الله سبحانه وتعالى كل التنظيمات والتشريعات والتوجيهات مرتبطة بالعقيدة ومنتشرة عنها . (قطب ، ١٤٠٣هـ ، ص ٢٦٩).

د - الروابط التي تقوم عليها الأمة:-

جاء في (ص ٢٤) من تقرير "الاستراتيجية" ذكر الروابط التي تربط الأمة العربية مثل : "روابط الوطن الواحد ، واللغة الواحدة . . . وروابط التاريخ المشترك".

إن هذه الروابط التي أوردها المحررون للاستراتيجية تتم عن جهل مطبق بالعقيدة الإسلامية ، فهل الوطن والتاريخ المشترك وغيرها من الروابط الأرضية البشرية تصلح أن تكون قاسماً مشتركاً تجتمع عليها أمّة الإسلام ، كلاً لا تصلح أن تكون قاسماً مشتركاً ذلك ؟ لأن الإسلام هو القاسم المشترك الوحيد لأمّة متكاملة كبرى ولا شيء غيره «وإذا ما نحننا الإسلام جانباً ، فمن المستحيل أن نجد قاسماً مشتركاً آخر نتفق عليه وتلتقي عنده الأمّة الإسلامية فلا الأرض ولا اللغة ولا التاريخ يمكن أن تكون القاسم المشترك لأمتنا ، وذلك لأن الأرض واللغة والتاريخ تعتبر امتداداً للإسلام». (حسنة ، فقه الدعوة ملامح وآفاق ، ١٤٠٨هـ ، ١/٧٢).

إن الواقع الإسلامي يؤكد أهمية العقيدة في حياة الأمة الإسلامية، وأنها كانت تعتبر جواز المرور كما في اللغة المعاصرة، فالعالم الإسلامي «كان أمة واحدة تظلله راية "لا إله إلا الله محمد رسول الله . . . وكان المسلم يخرج من طنجة حتى ينتهي به المقام في بغداد لا يحمل معه جنسية قومية أو هوية وطنية وإنما يحمل شعاراً إسلامياً هو كلمة التوحيد، فكلما حل أرضاً وجد فيها له إخوة في الإيمان، وإن كانت الألسنة مختلفة والألوان متباعدة؛ لأن الإسلام أذاب كل تلك الفوارق واعتبرها من شعارات الجاهلية». (القططاني، الولاء والبراء في الإسلام، ١٤١٣هـ، ص ٤١٩).

إن هذه الروابط محكومة بالعقيدة الإسلامية التي لا تعترف بها "الاستراتيجية"، فهذه الروابط تهدف إلى زعزعة العقيدة الإسلامية في نفوس الناشئة وأضعافها، فالروابط الحقيقة التي تقوم عليها الأمة الإسلامية روابط مستمدّة من القرآن والسنة، وقد حصرها "الكيلازي" (١٤٠٨هـ) في كتابه "أهداف التربية الإسلامية" في الروابط التالية: الإيمان، الهجرة، والرسالة، والجهاد، والإيواء، والنصرة. (ص ٢١٩-١٧٦) وهذه الروابط مستمدّة من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءاَوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمُ أُولَئِكَ بَعْضٍ﴾ (الأنفال: ٧٢).

إن الواقع الإسلامي يؤكد على أهمية العقيدة الإسلامية في توحيد الأمة، وأنها الملاذ الوحيد عند اشتداد المصائب والمحضن الذي تنطلق منه الأجنحة، وهذا يرد الفريدة التي وردت في تقرير الاستراتيجية، والتي ينص المحررون على أن امكانات الأمة تكمن في الوحدة لا في العقيدة. (ص ٢٥)... ويرد على مزاعمهم التي تؤكد على أن الإسلام هو الذي وحد العرب. (ص ٤٢).

فالإسلام احتضن أجنساً مختلفاً تظللهم راية التوحيد وتجمعهم العقيدة الإسلامية، وهكذا يجد المرء التناقض واضحاً في هذه الاستراتيجية التي لم يثبت محرروها على رأي واحد فيما تجدهم يؤكدون شيئاً معيناً ينافقونه مرة أخرى في ثنياً الاستراتيجية. ففي (ص ٧١) من تقرير الاستراتيجية أكدوا على أن العقيدة هي التي ثبتت وصممت أمام التحديات وأعانت الأمة العربية على الصمود وظلت حية

فعالة في نفوسهم على مر العصور، وكان التمسك بها قوة حافظت على شخصية الأمة وصمودها في وجه التحديات. (ص ١٠٤).

وإذا كانت العقيدة قد حافظت على شخصية الأمة في التاريخ، أليست جديرة بأن تبقى كذلك في العصر الحاضر؟ .
يجيب المحررون للاستراتيجية ما يلي :

«تفاعل العقيدة الإسلامية مع تطور مجتمعها وصلاحها ومرؤتها في الاستجابة لحاجاته ومشكلاته التجدد» (ص ٤٧)، جعلها تبقى حية فعالة في نفوس الأمة. وهذا يعني بأنها تتطور تبعاً للتطورات المجتمع، فهي تخضع لحاجاته ومشكلاته، لأن تخضع الحاجات والمشكلات للعقيدة.

ه - علاقة التربية بالعقيدة:

«إن التعليم هو المحضن والرحم الذي تخلق وتنمو فيه قابليات الإنسان، وتشكل شخصيته وتنمي مهاراته وت تكون ثقافته . . . والمدارس والمعاهد والجامعات هي مجتمعات المستقبل . . . حيث تزرع في معاهد التعليم بذور مستقبل حياة الإنسان العقلية والسلوكية، فإذا لم نحسن بناء للمقدمات التي تملكتها بشكل سليم فسوف ننتهي إلى النتائج التي تملكتنا، ولا نمتلك إزاءها، أي امكانية للتغيير». (أقلانية، النظم التعليمية عند المحدثين في القرون الثلاثة الأولى، كتاب الأمة "٣٤" ، هـ ١٤١٣، ص ١١).

إن التربية والتعليم يتعامل مع البشر وهو لا يصنع الآلة « وإنما يصنع النفس ويكون العقل ، وينبع المهارة التي تصنع الآلة، يصنع القادة والزعماء والعلماء والأباء والأمهات والمبuden والمفكرين وبكلمة مختصرة يصنع الإنسان ويحضره للتعامل مع الحياة بشتى مجالاتها . . . فإن أي خطأ أو خلل أو عجز أو تقدير سوف تكون له نتائجه المتعددة والمترابطة على المستويات كلها». (أقلانية، هـ ١٤١٣، ص ١١).

«ولما كانت التربية بناء الإنسان على ما يحقق الهدف الأعلى للتربية، وحيث كانت هذه العقيدة هي أصول التربية إذا تأصلت في النفوس واستقرت في القلوب وزرع هذه الأصول وترسيخها في النفوس هي القاعدة الصلبة والمرتكز الأساسي

الذي تبني عليه الأهداف». (الحمد، العقيدة نبع التربية، ١٤٠٩هـ، ص ٢٩).

فمن هنا يظهر أهمية هذه العقيدة وصلتها بالتربيـة، حيث كانت دعوات الرسـل صـلوـات اللـه وسلامـه عـلـيـهـمـ أـولـا مـا يـدـعـونـ إـلـى تـوـحـيدـ اللـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـى لـتـسـمـوـ النـفـوسـ وـتـعـلـقـ بـخـالـقـهـ وـتـرـتـقـى بـصـاحـبـهـ مـنـ سـفـاسـفـ الـأـمـورـ وـمـساـوـئـهـ إـلـى الـمـعـالـيـ والمـكـارـمـ وـمـا ذـلـكـ إـلـا لـأـنـهـ أـصـلـ فـي كـلـ عـلـمـ فـي حـيـةـ الـإـنـسـانـ المـسـلـمـ.

إن التعليم الصالـحـ هو صـمـامـ الـأـمـانـ فـي الـأـمـةـ الـتـيـ تـرـيدـ النـهـوضـ بـنـفـسـهـاـ وـالـخـرـوجـ مـنـ النـفـقـ الـمـظـلـمـ الـذـيـ تـعـيـشـ فـيـهـ أـمـتـاـ إـلـاسـلـامـيـةـ،ـ فـالـتـعـلـيمـ هـوـ أـدـاـةـ لـإـنـشـاءـ الـأـجـيـالـ الـتـيـ تـؤـمـنـ بـمـبـدـأـ الـأـمـةـ وـقـيـمـهـاـ وـتـحـفـظـ ذـلـكـ الـمـبـدـأـ،ـ وـتـلـكـ الـقـيـمـ السـلـيـمـةـ مـنـ كـلـ تـحـرـيفـ أوـ تـزـوـيرـ مـدـسوـسـ عـلـيـهـاـ.ـ وـمـنـ هـنـاـ يـجـدـ الـمـرـءـ الـمـسـلـمـ أـنـ "ـالـنـدـوـيـ"ـ (١٣٩٦هـ)ـ أـصـابـ كـبـدـ الـحـقـيقـةـ فـيـ كـتـابـهـ نـحـوـ التـرـبـيـةـ إـلـاسـلـامـيـةـ الـحـرـةـ عـنـدـ مـاـ أـكـدـ عـلـىـ أـنـ الـأـمـةـ إـلـاسـلـامـيـةـ أـمـةـ ذاتـ عـقـيـدـةـ وـمـبـدـأـ وـرـسـالـةـ وـدـعـوـةـ «ـفـيـجـبـ أـنـ يـكـونـ تـعـلـيمـهـاـ خـاصـعـاـ لـهـذـاـ الـمـبـدـأـ وـالـعـقـيـدـةـ وـهـذـهـ الرـسـالـةـ وـالـدـعـوـةـ،ـ وـ "ـالـتـعـلـيمـ"ـ أـدـاـةـ لـإـنـشـاءـ الـأـجـيـالـ الـتـيـ تـؤـمـنـ بـهـذـاـ الـمـبـدـأـ وـتـدـيـنـ بـهـذـهـ الـعـقـيـدـةـ.ـ وـتـحـمـلـ هـذـهـ الرـسـالـةـ وـتـؤـدـيـ هـذـهـ الدـعـوـةـ وـكـلـ تـعـلـيمـ لـاـيـؤـدـيـ هـذـاـ الـوـاجـبـ أـوـ يـغـدرـ بـذـمـتـهـ وـيـخـوـنـ فـيـ أـمـانـتـهـ فـلـيـسـ هـوـ التـعـلـيمـ إـلـاسـلـامـيـ،ـ بـلـ هـوـ التـعـلـيمـ الـأـجـنـبـيـ،ـ وـلـيـسـ هـوـ الـبـنـاءـ وـالـتـعـمـيـرـ،ـ بـلـ هـوـ الـهـدـمـ وـالـتـخـرـيـبـ وـأـوـلـىـ لـلـبـلـادـ إـلـاسـلـامـيـةـ أـنـ تـتـجـرـدـ مـنـ وـتـحـرـمـ مـنـ ثـمـرـاتـهـ فـالـأـمـيـةـ خـيـرـ لـهـاـ مـنـ هـذـاـ التـعـلـيمـ الـذـيـ يـرـزـأـهـاـ فـيـ طـبـيـعـتـهـاـ وـعـقـيـدـتـهـاـ وـرـوحـهـاـ».ـ (صـ ١٨ـ).

عـنـدـ الرـجـوعـ إـلـىـ تـقـرـيرـ الـاستـراتـيـجـيـةـ يـرـىـ الـبـاحـثـ أـنـ فـهـمـ الـغـاـيـةـ مـنـ التـرـبـيـةـ هـوـ الـذـيـ يـحدـدـ صـلـةـ التـرـبـيـةـ بـالـعـقـيـدـةـ أـوـ صـلـةـ الـعـقـيـدـةـ بـالـتـرـبـيـةـ،ـ فـالـغـاـيـةـ -ـكـمـاـ سـبـقـ وـأـنـ مـرـ ذـكـرـهـاـ فـيـ صـفـحـاتـ مـاضـيـةـ -ـ مـنـ التـرـبـيـةـ عـنـدـ الـمـحـرـرـيـنـ لـلـاـسـتـرـاتـيـجـيـةـ تـتـلـخـصـ فـيـ مـعـرـفـةـ أـنـفـسـنـاـ وـأـهـلـنـاـ وـإـخـوـانـهـمـ الـأـبـعـدـيـنـ وـسـائـرـ إـخـوـانـهـمـ مـنـ بـنـيـ الـإـنـسـانــ.ـ (صـ ١٧٩ـ).

وـالـتـرـبـيـةـ تـعـدـ الـمـرـبـيـنـ لـيـعـيـشـوـاـ فـيـ عـالـمـهـ (١٨٣ـ)ـ وـغـاـيـتـهـ الـقـصـوـيـ خـيـرـ الـإـنـسـانــ وـالـمـجـمـعـ وـالـإـنـسـانـيـةـ جـمـعـاءـ (صـ ٢٢٠ـ).

أـينـ مـعـرـفـةـ اللـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ -ـ فـيـ تـقـرـيرـ الـاستـراتـيـجـيـةـ -ـ الـذـيـ كـانـتـ أـوـلـ الآـيـاتـ نـزـوـلـاـ عـلـىـ رـسـوـلـ اللـهـ عـلـيـهـ السـلـامـ تـدـعـوـ إـلـىـ مـعـرـفـتـهـ أـوـلـاـ،ـ ثـمـ مـعـرـفـةـ الـنـفـسـ ثـانـيـاـ «ـأـفـرـأـ

بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿العلق: ١﴾.

إِنَّ اللَّهَ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى أَمْرَ نَبِيِّهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّداً عَلَيْهِ السَّلَامُ بِعِرْفَتِهِ أَوْ لَا قَائِلًا لَهُ :
 ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (محمد: ١٩).

وهؤلاء المحررون يؤكدون في تقريرهم على أهمية معرفة الإنسان والمجتمع والإنسانية جمعاء أين هذا المنهج الرباني من هذا المنهج البشري؟ وأين فهم الأولويات في ميدان التربية والتعليم؟ هل يقتضي منا أن نخالف منهج الله ونعكسه؟ الله هو الذي خلق الإنسان ويعلم ما يناسبه ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ الْلَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك: ١٤).

إن الأولويات في الميدان التربوي مطلوب فهمها من واضعي السياسة التعليمية وإن سارت العملية التربوية على غير هدي وانطلقت دون أساس ، فهل يسير القطار دون قائد؟ . وهل يصل بسلام إذ فقد السائق؟ .

لقد حدد رسول الله ﷺ معالم التربية في ثلاثة عناصر هي :

١ - الإيمان بالله الواحد.

٢ - الإيمان برسول الله ﷺ إلى قريش خاصة وإلى الناس كافة .

٣ - الإيمان باليوم الآخر.

وكان العنصر أو الأساس الأول يعني نقض عقيدة المجتمع الجاهلي كله .

وكان العنصر أو الأساس الثاني يعني نقض أكبر قيم المجتمع وهي قضية المساواة في الأصل البشري والتفاضل بالتقوى . (الغضبان ، المنهج الحركي للسيرة النبوية ، ١٤١١هـ ، ص ٤٤-٦٦).

إن قضية توحيد الله سبحانه وتعالى يجب أن تتغلغل في نفوس الناشئة من خلال المنهاج الدراسي الذي يتشرب الناشئة من خلاله المبادئ والقيم الإسلامية فهذا المنهج هو الذي ارتضاه الله لعباده وحثهم عليه يقول تعالى : ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالظُّغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرُوْةِ الْوُثُقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾ (البقرة: ٢٥٦).

إن العقيدة هي أساس الدين الإسلامي فمن أجلها أرسلت الرسل ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٢٥).

وبهذه الكلمة طولبت جميع الأئمَّةِ رسُولاً أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّغُوتَ» (النَّحْلُ : ٣٦).

ومن أجل التوحيد نتجت الموالاة والمعاداة بين الناس حتى بين الآباء والأبناء، ولا يصح إيمان المرء إلا بهذه العقيدة الإسلامية، وإذا عرف المرء هذه العقيدة أحسن «أن لحياته قيمة ومعنى ولعيشها طعمًا ومذاقاً، وأنه ليس ذرة تافهة تائهة في الفضاء ولا مخلوقاً سائباً يخبط بخطب عشواء في ليلة ظلماء». (القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، ص ٤٠٥ هـ، ص ١٢). إِلَّا وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْرُهُ وَيَعْلَمُهُ.

لقد جاءت الأحاديث النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام تقرر مبدأ العقيدة وتؤكد على أولوياتها في دعوة الآخرين، وقد عقد "المنذري" (د. ت)، في كتابه "مختصر مسلم" في كتاب الإيمان" باب: أول الإيمان قول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ». (ص ٩-٧).

وبالرجوع مرة أخرى إلى تقرير "الاستراتيجية" للتعرف على صلة العقيدة بالتربيـة سـيـجـدـ المرءـ .

أن هناك خلطاً كبيراً وقصوراً عظيماً في فهم العقيدة من قبل المحررين، فالعقيدة لا بد أن تكون قائمة على "الإنسانية" وتومن "بالإباء" لكل الناس منبني الإنسان. (ص ٧١). والتربية مطلوب، منها: أن تقوم ب مهمتها في غرس الإخوة الإنسانية للناس أجمعين في نفوس الناشئة (ص ٥٩). والعلمون الذين يعملون في الميدان التربوي لا بد أن يستندوا في معلوماتهم إلى الحكمة الإنسانية والفكر التربوي الحديث. (ص ١٧١).

أين مكان العقيدة هنا؟ لم يكن لها ذكر في ميدان التربية؟ .

ولهذا يجد المرء أن المحررين للاستراتيجية يتشددون بعباراتهم ويتعاملون على الآخرين، وهم في الوقت نفسه نخب هواء، فحظهم من الثقافة الإسلامية ضئيل فهم يؤكدون على «أن التغيير الذي يرتضيه الله للأمة العربية يبدأ بتغيير نفوسها بال التربية الصالحة والتنشئة السليمة وهل غير التربية وسيلة أجدى وأنفع في تغيير النفوس؟ . . . إلى الخير والصلاح». (ص ٣٢).

بل إن «نهضة الأمم وتقديرها رهن بال التربية الصالحة لأبنائها» (ص ٣٢).

إنها عبارات استهلاكية لا رصيد لها في الواقع، وهل تصلح تربية الأجيال بدون عقيدة إسلامية؟

إن التغيير المطلوب عند المحررين هو أن يتخلى الإنسان عن عقيدته ويصبح قادرًا «على تطوير ذاته وبيئته وعلى إرادة التغيير التي يمتلكها وتأثيرها في ثقته بنفسه، وفي تشكيل مستقبله ومصيره» (ص ٢٠٥). وأن ينطلق التغيير من «الاعتماد على هداية عقله وهداية ضميره في مواجهة مشكلات الحياة وتحمل مسئولياتها». (ص ٢٤٩). وليس بحاجة إلى الهدى الإلهي والنور الرباني، وعلى المجتمع أن يمكن الإنسان من تطوير شخصيته «وتمكينه من الاعتماد على هدى عقله وضميره». (ص ٢٥٣-٢٥٢).

إن من واجب التربية العربية، وهي تنمي إرادة التغيير «حرصها على عقيدة السماء كما تجلت في حركتها الحضارية "الإنسانية"». (ص ١٧٥). أى: أن العقيدة في المجتمع الإسلامي لا بد أن تكون منطلقة من الحركة "الإنسانية" التي تسعى لهدم كل عقيدة صريحة ودين صحيح، كما سبق بيان خطورة مبدأ "الإنسانية" فيما مضى من الصفحات.

إن فهم المحررين للعقيدة فهم غامض ومشوش و مليء بالانحرافات والتصورات الفكرية والسلوكية؛ لأن التربية -في نظرهم- التي تسعى إلى غرس العقيدة في نفوس الناشئة مصادرها مشبوهة وغير مقبولة، فهي تستند «إلى الفكر الإنساني وتطور العلم الحديث . . . والممارسة الواقعية والتجريب». (ص ٣٤).

إن هذه المصادر محرومة من النور الإلهي، وهي تحمل عقائد واضعيها، ولذا يدعى المحررون زوراً وبهتانا بأنه ينبغي أن يكون هناك تلازم بين التعليم والعقيدة. (ص ٩٠). أى تلازم يمكن أن يحدث بين التربية والعقيدة بهذه الصورة المشوهة؟ وهل يمكن أن تتبع هذه التربية أجيالاً أسوأ؟ كلا ستكون مستخرجات هذا التعليم عقليات مضطربة وشخصيات مزقة ومشوهة لا تستقر على قرار، ولا تنطلق من أساس، فهي كالريشة في مهب الريح.

و - خطورة المخالفة في الدين:

الولاء والبراء يعتبر من أصول العقيدة الإسلامية فالمعاداة والموالاة بين الناس

حتى بين الآباء والأبناء يعتبر عنصراً أساسياً من العقيدة الإسلامية فها هو أبو عبيدة ابن الجراح يتتصدر لقتل والده يوم بدر؛ لأنَّه كان من المعاندين للمحادين للله ورسوله ص فأنزل الله عزوجل ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمَ الْأُخْرَ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْرَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ (المجادلة: ٢٢).

إن من ينعم النظر في تقرير "الإستراتيجية" يجد أن المخالفه في الدين تحظى كثيراً، فأساس المجتمع المشاركة الإيجابية في نظر المحررين «من جميع أفراده وفئاته وعناصره دون تمييز بسبب اللون أو الجنس أو العقيدة» (ص ٢٤٨)؛ لأن العقيدة التي يتبنونها هي العقيدة "الإنسانية" (ص ٥٤). وهذه العقيدة لا بد أن تخضع للتغيير والتطوير وتلبى حاجات المجتمع في مشكلاته المتتجدة (ص ٤٧). ولأنَّ الأمة العربية حقيقة تاريخية وكيانها يتصل بالحضارة الإنسانية منذ نشأتها وهي تستمد فهم العقيدة من خلال الحضارة "الإنسانية" (ص ٢٢٨). والهدف من التغيير لا بد أن يراعى خير "الإنسانية جموعه" (ص ٢٧).

والإسلام دعا إلى إخوة "إنسانية شاملة" (ص ٤٢).

وهكذا نجد أن الإسلام يدعو إلى "إخوة إنسانية"

والعقيدة تدعو إلى "إخوة إنسانية" (ص ٥٤).

والتربيَّة تسعى إلى "إخوة إنسانية" (ص ٥٩).

والعلمون يتلقون معلوماتهم من الحكمة الإنسانية (ص ١٧١).

والرسالة القومية التي يحملها العرب تدعو إلى هداية الإنسانية (ص ٧٢).

والأرض لا بد أن تسكنها أسرة "إنسانية" (ص ١٨٢). كما في زعم المحررين

للإستراتيجية.

ونتيجة لهذا الفهم الخاطئ المنحرف انعكست مفاهيم خطيرة في تقرير "الإستراتيجية" من بينها أن «الإسلام لا يرى أن مجرد المخالفه في الدين تبيح العداوة والبغضاء». (ص ٤٥).

إنهم بهذا يتطاولون على الدين الإسلامي ويخطئونه وأقاموا أنفسهم مقام التشريع يفتون بغير علم ويقولون على الله ما لا يعلمون إن الولاء في الله المقصود

هنا هو «محبة الله ونصرة دينه، ومحبة أوليائه ونصرتهم والبراء هو: بعض أعداء الله ومجاهدتهم». (القططاني، الولاء والبراء في الإسلام، ١٤١٣هـ، ص ٤٣).

فهل المخالفة في الدين لا تبيح العداوة كما يزعمون؟

وإذا كانت المخالفة في الدين لا تبيح العداوة فلماذا تبراً إبراهيم عليه السلام من أبيه في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوُّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ (التوبه: ١١٤).

وهل أصبح إبراهيم قدوة حسنة إلا في قوله: ﴿الْأَسْتَغْفِرَنَ لَكَ﴾.

(المتحنة: ٤)، وأمرنا الله بالإقتداء به؟

إن الآية الكريمة الواردة في سورة المتحنة أكدت الأسوة الحسنة في فعل إبراهيم غير أنه «لا أسوة لكم فيه في ذلك "الاستغفار" لأن ذلك كان من إبراهيم لأبيه عن موعدة وعدها إياه، قبل أن يتبين له أنه عدو لله، فلما تبين له أنه عدو لله تبراً منه، فتبرؤا من أعداء الله من المشركين ولا تخذوا منهم أولياء حتى يؤمنوا بالله وحده ويترءوا عن عبادة ماسواه، وأظهروا لهم العداوة والبغضاء». (الطبرى، جامع البيان عن تأويل القرآن، ١٣٧٣هـ، ٢٨/٦٦).

إن إبراهيم عليه الصلاة والسلام هو قدوة حسنة لنا في هذا المبدأ، وكذلك يجد المرء المسلم أن نوحا عليه الصلاة والسلام يسلك هذا المسلك، وهو مبدأ المحبة في الله والبغض في الله. فقد مكث يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عاما ولم يؤمن معه إلا القليل، ومن الذين عصوه وأبوا أن يستجيبوا الدعوته ابنه، ولما دعا نوح عليه الصلاة والسلام على قومه كان ابنه من ضمن الذين تعرضوا للغرق والهلاك فنادى ﴿نُوحُ رَبِّهِ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِكَ﴾ (هود: ٤٥) فرد الله سبحانه وتعالى عليه بقوله: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ (هود: ٤٦). وهذا درس تربوي وعظة للمؤمنين يفهم من خلال هذه التربية الربانية على «أن الشيجة التي يتجمع عليها الناس في هذا الدين وشيجة فريدة تتميز بها طبيعة هذا الدين وتعلق بأفاق وآماد وأبعاد وأهداف يختص بها ذلك المنهج الرباني الكريم . . . ليست وشيجة الدم، والنسب، وليس وشيجة الأرض، والوطن وليس وشيجة القوم والعشيرة، وليس وشيجة اللون واللغة وليس وشيجة الجنس والعنصر وليس وشيجة الحرفة والطبقة، إنها وشيجة العقيدة .

أما الوسائل الأخرى فقد توجد ثم تنقطع العلاقة بين الفرد والفرد، وبين الله لنوح لماذا لا يكون ابنه من أهله؟ **﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾** (هود: ٤٦)، فوشیجة الإيمان قد انقطعت بينكما **﴿فَلَا تَسْتَئِنَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾** (هود: ٤٦)، إنه ليس من أهلك ولو كان هو ابنك من صلبك». (قطب، في ظلال القرآن، ١٣٩٣هـ، ٤/١٨٨٧)، إن هذه العقيدة الإسلامية تؤكد على ضرورة وجود المفاصلة على أساس العقيدة بين المسلم وكل من لا يتسمى إلى التجمع الحركي الإسلامي ولو كان أقرب قريب.

فهل محررو "الاستراتيجية" يعوا هذا الفهم السليم للعقيدة أم أنه التقول على الله بغير علم - إن هذا تجرؤ منهم وتحكم، فهل ما فعله إبراهيم ونوح عليهمما الصلاة والسلام حق أم باطل؟ إذن علينا أن نتلقي مصادrnنا من القرآن والسنة ولا نقدم على شيء مالم يكن عندنا برهان من المصادر المذكورين وإلا فلنعطي القوس باريها ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه.

إن هذه الدعوة التي تبناها تقرير "الاستراتيجية" هي نتيجة طبيعية لدى المحررين "لل استراتيجية" لأن المشرب الذي تلقوا معارفهم منه غير صافي بل معكر وهكذا كل من تأثر بالمذاهب الهدامة فكراً ومنهجاً لا يمكن أن يكون ولاه لدینه وأمته صافياً صادقاً كما أن براءه لن يكون وفق التصور الإسلامي الصحيح.

ذ - إسلام نظام حياة:-

إن تغليف الحقيقة وتزويرها ظاهر للعيان من قبل محرري "الاستراتيجية"، وقد اتضحت هذا الاتجاه والمنحنى الفكري المنحرف من خلال الصفحات السابقة، وهناك شعارات أخرى يرفعونها ولافتات يعلقونها ليبرروا اتجاههم الإسلامي وهم ليسوا في شيء من ذلك وإنما هو مجرد التلاعب بالألفاظ واللجوء إلى العبارات الفضفاضة لإشعار الآخرين بميلهم الإسلامي وليس هذا حكمًا مسبقاً فقد مر سابقاً كثير من الضلالات التي تكتنف هذه "الاستراتيجية" والتي باطنها فيه الرحمة وظاهرها سمع عاف وفکر هدام.

إن الباحث لن يستخدم عواطفه وانفعالاته وليدع القارئ ليحكم على ماجاء في تقرير "الاستراتيجية" في (ص ٢٧) والذي يقال فيه أن «للحضارة العربية آثاراً في فصل الدولة عن الكنيسة وفيما تلاه من حركات التحرير أو دعوات التغيير».

إن هذا الادعاء لشيء عجائب - لم يسمع الباحث بهذا من قبل بأن الحضارة العربية على حد زعمهم تفصل بين الدين والدنيا وتجعل للعبادة مكانا مخصصا هو الكنيسة أو المسجد، وهذا يعني أن التدين أمر شخصي يتعلق بالفرد الذي يؤدي عبادته في مكان معين وليس له علاقة بالحياة، ما سمعنا بهذا من علمائنا ومشايخنا إن هذا إلا اختلاق؟

لقد تكررت دعوات المحررين للاستراتيجية بأن الإسلام نظام لحياة الإنسان والمجتمع (ص ٤٢). والإسلام يؤكد «على التوازن بين الروح والجسد . . . لا يجوز للمسلم أن يبخس أيهما حقه ومطالبته ولا يحمد منه الإسراف في مرضاه هذا أوذاك». (ص ٤٣).

والتربيـة في المجتمع تعـمل على تحقيق التوازن في حـيـة المـتعلـم حتـى يـسـطـعـ أـن يـوـقـعـ «ـبـيـنـ مـطـالـبـ الرـوـحـ وـمـطـالـبـ لـجـسـمـ وـبـيـنـ وـاجـبـاتـ الدـيـنـ وـوـاجـبـاتـ الدـنـيـاـ». (ص ٥٩).

فـالـجـمـعـ بـيـنـ عـلـومـ الدـيـنـ وـالـدـنـيـاـ هـوـ مـنـ مـيـزـاتـ الـمـشـاـتـ الـتـعـلـيمـيـةـ فـيـ تـارـيـخـ التـرـبـيـةـ الـاسـلامـيـةـ. (ص ٦٤).

هـكـذـاـ يـجـدـ المـرـءـ الـاسـتـرـاتـيـجـيـةـ مـلـيـئـةـ بـالـشـعـارـاتـ الـمـضـلـلـةـ وـالـعـبـارـاتـ الرـنـانـةـ الـجـوـفـاءـ.

فـفيـ (ص ٢٢٧)ـ مـنـ تـقـرـيرـ الـاسـتـرـاتـيـجـيـةـ جـاءـ فـيـهـ أـنـ مـنـ الـمـبـرـاتـ الـتـيـ تـسـنـدـ هـذـاـ الـمـبـدـأـ التـرـبـيـةـ لـلـإـيمـانـ «ـالـحـاجـةـ الـأـصـيـلـةـ فـيـ النـفـسـ الـإـنـسـانـيـةـ لـلـعـقـيـدـةـ الـدـيـنـيـةـ وـاعـتـبـارـ أـنـ الـإـيمـانـ لـازـمـ فـيـ حـيـةـ الـإـنـسـانـ وـمـصـدرـ لـلـقـوـةـ وـالـاطـمـئـنـانـ»ـ يـعـلـقـ أـحـدـ الـمـرـبـينـ عـلـىـ هـذـهـ الـعـبـارـاتـ قـائـلاـ: «ـوـوـاضـحـ مـنـ هـذـاـ أـنـ الـاسـتـرـاتـيـجـيـةـ تـدـعـوـ إـلـىـ الـإـيمـانـ باـعـتـبـارـهـ أـمـراـ فـرـديـاـ وـشـخـصـيـاـ يـجـلـبـ لـلـإـنـسـانـ الـرـاحـةـ وـالـسـقـرـارـ . . .ـ وـلـكـنـهـ لـاـ تـدـعـوـ إـلـىـ مـقـتضـيـاتـ الـإـيمـانـ فـيـ حـيـةـ وـلـاـ تـتـحدـثـ عـنـ تـغـلـلـ الـعـقـيـدـةـ الـإـسـلـامـيـةـ فـيـ حـيـةـ لـتـوجـهـهـاـ». (التـوـمـ، السـبـيلـ إـلـىـ بـنـاءـ فـكـرـ تـرـبـويـ إـسـلـامـيـ لـدـىـ الـمـعـلـمـ، ١٤١٢ـهـ، ص ٣١).

إن التـقـرـيرـ يـؤـكـدـ عـلـىـ «ـعـنـيـةـ التـرـبـيـةـ بـاـقـرـهـ الـدـيـنـ مـنـ مـكـانـةـ الـإـنـسـانـ فـيـ الـوـجـودـ وـفـيـ الـجـمـعـ وـمـنـ اـعـتـمـادـهـ عـلـىـ هـدـىـ عـقـلـهـ وـهـدـىـ ضـمـيرـهـ فـيـ سـعـيـهـ الـمـتـوـاـصـلـ نـحـوـ الـكـمالـ»ـ (ص ٢٢٧).

ويفهم من هذا «على أن الإيمان بالله كما تراه الاستراتيجية أمر شخصي معزول تماماً عن تنظيم الحياة وتوجيهها فهو يدعو صاحبه إلى التمسك بالقيم الإنسانية والأخلاق الفاضلة التي يستمدّها من هدى عقله وهدى ضميره وهدى الحكمة الإنسانية على مر القرون». (النوم، السبيل إلى بناء فكر تربوي إسلامي لدى المعلم، ١٤١٢هـ، ص ٣٢).

دعوات عريضة مثل اعجاز نخل خاوية، إذا كان الإسلام نظام حياة ومنهج فلماذا يجزئ تجزئة ولماذا تعزل العقيدة عن المجالات الحياتية المختلفة؟.

«إن العبادة في الإسلام ليست محصورة في أعمال من الخشوع الخالص كالصلوة والصيام مثلاً ولكنها تتناول كل حياة الإنسان العملية أيضاً، وإذا كانت الغاية من حياتنا هي عبادة الله فيلزم منا أن تأتي أعمالنا كلها على أنها عبادات». (أسد، الإسلام على مفترق الطرق، ١٤٠٤هـ، ص ٢٣).

وهذا يعني أن الإسلام أحاط بكل جوانب الحياة لأنه نظام شامل يرسم للإنسان المسلم سبيل الإيمان ويوضح له أصول العقيدة وينظم صلته بربه وب أخيه المسلم وبالحياة والآخرة «إن الإسلام لم يشطر الإنسان شطرين كما فعلت أديان أخرى: شطر روحي يوجهه الدين ويتجه به للمعبد وهذا الشطر أو النصف من اختصاص رجال الدين - (في الدين النصارى) - . . . وشطر آخر مادي لسلطان للدين ولا لرجاله عليه ولا مكان لله فيه إنه شطر الحياة للدنيا»، (الفرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، ١٤٠٥هـ، ص ١٠٨).

وخلاصة القول: أن ما بين ولادة الإنسان إلى وفاته هي محل العبادة، وأن العبادة لا تقتصر على الشعائر التعبدية بل تشمل كل حركة وشعور وسلوك يقوم به المرء وتحقيقاً لقوله تعالى: «قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ» (الأنعام ١٦٢-١٦٣).

الفصل الثالث

المبدأ القومى في التربية

نهاية

أولاً - القومية من خلال
الاستراتيجية

ثانياً - القومية من منظور التربية
الإسلامية.

ثالثاً - الإخوة الإيمانية وأثرها في
نماذج المجتمع الإسلامي

تمهيد:

تناول الباحث فيما مضى من الصفحات المبدأ "الإنساني" ومبدأ "التربية للإيان" واتضح له من خلال دراسة هذين المبدأين أن محرري "الاستراتيجية"

الدراسة من خلال قراءته لها، وبحيث يكون عقله مشدوداً إلى الموضوع الذي يقوم الباحث بدارسته. إن إيراد مثل هذه العبارات يضفي مزيداً من الوضوح والفهم عند القارئ والمطلع لما تحتوي عليه الاستراتيجية من مفاهيم وتصورات منحرفة لمعرفة إلى أي مدى هي مجانية للمفاهيم والتصورات التي تنطلق منها التربية الإسلامية، وتنحه أرضية صلبة من حيث الحكم على فسادها أو صلاحتها للوطن العربي.

في (ص ٣٧٦) من تقرير "الاستراتيجية" أكد المحررون أهمية المؤسسات الأولية في الارتقاء بال التربية في الوطن العربي، وأن هناك صلة وثيقة بين "المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وبين "منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم" اليونسكو" في ميدان التربية والتعليم لتنظيم الرأي والمشورة والاتصال وتنفيذ المشروعات التربوية على المستوى القطري والقومي، ليس هذا فحسب بل «إن تجديد التربية ميدان من صميم اختصاص منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة اليونسكو" وعلى رأس الأسبقيات في برامجها».

ومن المعلوم أن "منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم" هي منظمة صليبية يهودية حاقدة على الإسلام وال المسلمين تنفتح سموتها وثبت مفاسدها عن طريق الاهتمام بال التربية وتقديم الاستشارات عنها للوطن العربي وتتستر بلباس باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب - وقد خبر هذه المنظمة "محمد محمد حسين" رحمه الله تعالى من خلال نقه للبحوث والمؤلفات التي قدمت للوطن العربي والتي هي مليئة بتصورات ومفاهيم مغايرة لما في ديننا الحنيف، وقد ذكر بعضها في صفحات سابقة.

تؤكد "الاستراتيجية" أهمية التعاون الدولي مع المنظمات الدولية، مثل: "اليونسكو" التي تعتبر مصدراً مهماً تعتمد عليها "الاستراتيجية" لتطوير التربية العربية" (ص ٣٦٦) وتطوير برامج المستحدثات التربوية سواء «من حيث تنمية البحوث والدراسات في مجالاته وتطوير أساليبه ووسائله أو من حيث انتاج مواده واستثمارها وتدريب العاملين في ميادينه». (ص ٣٦٧).

ويرى التقرير أن التعاون لابد أن يكون وثيقاً بين "المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم" و "اليونسكو" ووكالاتها من أجل تطوير التربية والثقافة والعلوم وفي سبيل محاربة الاستعمار والعنصرية. (ص ٣١٢).

إن التربية العربية في رأى محرري "الاستراتيجية" لا بد أن يكون لها نصيب واف في حركة التعاون الدولي للانفتاح «على تجاربها وخبراتها وبخاصة في توثيق التعاون الثقافي والتربوي» (ص ٣١)، وعلل المحررون ذلك أنه يوجد في مواثيق «منظمة الأمم المتحدة ووكالاتها الخاصة أهداف نبيلة . . . - وفيها - مؤسسات فعالة لخير الإنسانية جموعاً» (ص ٣١). وهذه المؤسسات التي تمتلكها الأمم المتحدة مختصة في مختلف شئون الحياة التربوية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية (٢٠١-٢٠٢) «وتشكل الأمم المتحدة اليوم، أحد الآمال الكبرى للإنسانية لبناء مستقبل يسوده السلام والوئام بين الشعوب ويكون هدفه الإزدهار الشامل والإخاء الإنساني». (ص ٢٠٥).

ومن هنا يرى التقرير أن من أهداف التربية العربية: «الإفادة من التجارب العالمية والتعاون من أجل ذلك مع المنظمات الدولية ودول العالم الثالث». (ص ١٣١).

ويؤرخ محررو "الاستراتيجية" عن بداية التعاون الدولي في الوطن العربي في ميدان التربية وغيره ويضيفون ذلك إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية، حيث «تنامي التعاون الدولي في الوطن العربي في مجالات التربية بعد الحرب العالمية الثانية بصورة ملحوظة وبصورة خاصة عن طريق "منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم" "اليونسكو" منذ إنشائها سنة (١٩٤٦م)، وكانت بعض الدول العربية من مؤسسيها والتحقت بها الدول العربية التي كانت مستقلة عند إنشائها وتبعتها الدول التي استقلت في الخمسينات والستينات من هذا القرن» (ص ١٦٦).

هذه هي بعض العبارات التي اقتبسها الباحث من "الاستراتيجية" وهي تعطي دلالة واضحة عن المصدر الأصيل الذي تستقي منه "المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم" منهاجها وتصوراتها ومبادئها في مجالات التربية وغيرها، ويتبصر أيضاً مدى التطابق والتشابه في الاسم الذي أصبح علماً على المنظمة وإذا كانت مصادر "المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم" هي منظمة "اليونسكو" والتي مقرها "باريس" فيكفي هذا نصفاً لكل هذه المفاهيم والتصورات والمبادئ التي تبنتها هذه المنظمة؛ لأنها لا تستند إلى ركن وثيق، وهي مصادر مشبوهة ومشوشة وغير موثوق

بها إطلاقاً، إن هذه العبارات التي وردت في "الاستراتيجية" تؤكد على أن أصحابها يتمنون في ثقافتهم إلى مصادر غير أصلية بل إن المصادر هذه هي التي تحارب الإسلام علانية وسرا فكيف يوثق بما تقدمه من مبادئ وتصورات مستقاً من فكر دخيل؟.

ومن المبادئ التي تقوم منظمة "اليونسكو" بنشرها وتوعية الجماهير بها المبدأ القومي والإنساني والديمقراطي وغيرها، وقد أصبح كتاب أيدجارد فور "تعلم لتكون" مرجعًا أساسياً ومنهلاً عذباً لهذه المنظمة ومن يستعين بها وهي تحاول جاهدة إقناع الآخرين بهذه المبادئ وفعلاً قد تحقق لها ما أرادت فيها هي "المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم" تبني مثل هذه المبادئ من خلال تقرير الاستراتيجية.

ب - تعريف القومية:-

بالرجوع إلى الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (١٤٠٩هـ) تعرف القومية العربية بأنها «حركة سياسية فكرية متعصبة، تدعى إلى تمجيد العرب، وإقامة دولة موحدة لهم على أساس من رابطة الدم والقربى واللغة والتاريخ وإحلالها محل رابطة الدين وهي صدى للفكر القومي الذي سبق أن ظهر في أوروبا» (ص ٤٠١).

ويؤرخ «علي بن عبد الحليم محمود» (١٣٩٩هـ) في كتابه "الغزو الفكري وأثره في المجتمع" للقومية فيذكر بأنها فكرة أوروبية الأصل، وهي تعنى عندهم «رفع شعار وطني يتمكن به جمع من الناس من أن يتوحدوا عليه في ظل حكومة مركزية»، كما فعل نابليون عند ما استحدث القومية الإيطالية وال القومية الألمانية.

(ص ١٧١).

والقومية مصدر صناعي، ونسبتها إلى قوم ولفظ قوم ورد في القرآن والسنة مقيداً ومطلقاً إما بالإضافة إلى مؤمن أو كافر أو بصفة إيمان أو كفر أو ما أدخل في أحدهما، وإذا ذكر مع لفظ قوم لفظ النساء على سبيل المقابلة صار لفظ قوم يعني الرجال فقط كقوله تعالى : ﴿لَا يُسْخِرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ﴾ (الحجرات: ١١).

أما إذا ذكر لفظ قوم وحده فيدخل في معناه النساء كقوله تعالى : ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ (النمل : ٤٣).

وسمى القوم قوماً؛ لأنهم في الأصل يقومون بهم الأمور ويقيمونها بما تقوم به وتصلح عليه بمشيئة الله تعالى .

وـ«القومية مصدر صناعي»، مقياس على ما تواضع العرب المعاصرة على اشتقاده بإضافة ياء النسب وتأء التأنيث لمواجهة الكثرة الغامرة المتداقة من المصطلحات الحديثة في مختلف العلوم والمعارف الإنسانية المستحدثة، وهي ترجمة للاصطلاح الغربي Nationalism الذي يعبر عن ظاهرة بُرّزت في المجتمعات الغربية في القرن التاسع عشر تصور وعيًا جديداً يجدد جماعة محدودة من الناس يضمها إطار جغرافي ثابت ويجمعها تراث مشترك وتنتهي إلى أصول عرقية واحدة حسب ما اصطلح عليه علماء الأجناس المحدثون».

ج - نشأة القومية:-

يعد "ساطع الخصري" رائد القومية العربية وأهم مفكريها وأشهر دعاتها وله مؤلفات كثيرة تتبنى مثل هذه الدعوة وقد أرخ لظهورها كما في محاضرته التي عنوانها "نشوء الفكر القومي" منذ أوائل القرن التاسع عشر حيث طرأت على أوضاع أوروبا تطورات وانقلابات لم يعهد مثلها التاريخ من قبل. (العبد، فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام، ١٤٠٢ هـ، ص ٢٨).

«وهنا فكر أعداء الإسلام في نقل التزعزعات القومية والعرقية إلى العالم الإسلامي لعلها تكون سبباً في إضعاف وحدة المسلمين وتمزيق شملهم وراحوا ينادون بإحياء الحضارات الجاهلية القديمة التي أماتها الإسلام». (صالح، احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، ١٤٠٩ هـ، ١٢١-١٢٢).

ويستمر "صالح" (١٤٠٩ هـ) في توضيح السعي الحثيث الذي بذله أعداء الإسلام في الدعوة «إلى إحياء الطورانية في تركيا، والقومية الفارسية في إيران والقومية العربية في العالم العربي والقومية البربرية في المغرب العربي وجند لهذه الدعوات رجالاً منبني قومنا ولساننا وجلدتنا ولكنهم رضعوا البن الغرب النصراني، وتربيوا على موائده وفكرة». (ص ١٢٣-١٢٢).

لقد ظهرت الدعوة للقومية العربية للمرة الأولى في العالم العربي على يد الجمعية العلمية السورية عام ١٨٤٧ م، وقد تبنت الجامعة الأمريكية بعد ذلك الدعوة لهذه الفكرة الخبيثة يقول "مايلز كوبلاند" (١٣٩٠ هـ) في كتابه "لعبة الأمم" «في الجامعة الأمريكية في بيروت ولدت فكرة القومية العربية وترعرع دعاتها حتى إن أكثر

من تسعين في المائة من الدعاة للقومية العربية كانوا من خريجي هذه الجامعة الأمريكية». (ص ٢١٩).

ويزيد الأمر وضوحاً "محمد محمد حسين" (١٤١٣هـ) في كتابه "الإسلام والحضارة الغربية" بأن الدعوة إلى القومية العربية اتّخذت في أول أمرها شكلًا ثقافياً ببعث التراث العربي وبإنشاء صحفة ومسرح عربي، والاهتمام باللغة العربية، وجعلها لغة التعليم بدلاً من اللغة التركية التي كانت سائدة آنذاك، وكثرة كبيرة من نصارى لبنان من اتصلوا بالإرساليات الانجليزية الأمريكية هم الذي تبنوا مثل هذه الدعوة السرطانية ، (٢٤٤-٢٢٥)، وظهرت بدايات هذا الفكر القومي في حركة سرية في عاصمة الخلافة العثمانية ثم في حركة أدبية علمية تتخذ من دمشق وبيروت مقرّالها، ثم في حركة سياسية واضحة المعالم في المؤتمر الأول العربي الذي عقد في باريس عام ١٩١٢م، وهناك جمعيات كثيرة كانت ذات صبغة قومية بلغ تعدادها حوالي خمس عشرة جمعية. (الموسوعة الميسرة، ١٤٠٩هـ، ٤٠٢-٤٠١).

ولما عجزت المؤامرة اليهودية من إغراء "السلطان عبد الحميد" بالتنازل عن

«وانتقلت دعوى هذه التزعع القومية إلى المسلمين على وجه العموم وأصبحت ظاهرة بارزة في هذه البلاد العربية والإسلامية مع مطلع القرن العشرين الميلادي . . . في إندونيسيا وفي إيران وفي الهند . (حسين، الإسلام والحضارة الغربية، ١٤١٣هـ، ص ١٩٦). ومن الأهداف التي من أجلها ظهرت دعوى القومية هي «طرد تركيا دولة الخلافة من المنطقة وتفریغ المنطقة والعالم الإسلامي من دينه بإحلالعروبة مكان الدين ، وكان » كلتا القوميتين المتعارضتين المتناقضتين «التركية والعربية اتجهتا في الهجوم على هدف واحد ألا وهو الخلافة الإسلامية» . (علوان، القومية في ميزان الإسلام ، ١٤٠٤هـ، ص ١٥).

لقد كان نشوب الحرب العالمية الأولى فرصة سانحة للأقطار العربية؛ لأن تنفصل عن الإمبراطورية العثمانية وانتهز الحلفاء هذه الفرصة الذهبية ونفحوا في قربة القومية ، وقام "لورانس" الداهية بدوره فأشعل الحماس القومي وأثار العرب على الأتراك وسررت هذه الدعوة سريان النار في الهشيم . (الندوي ، العرب والإسلام ، ١٤٠٨هـ، ١٢-١٣).

وتلخص "الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة" (١٤٠٩هـ) الجذور الفكرية والعقائدية للقومية العربية في النقاط التالية:-

- ١ - «إن الاستعمار هو الذي شجع الفكر القومي وعمل على نشره بين المسلمين حتى يجعلوا القومية بدليلاً عن الدين مما يؤدي إلى انهيار عقائدهم ، وي العمل على تزييقهم سياسياً حيث تثور العداوات بين شعوبهم المختلفة» .
- ٢ - «إن نشاط نصارى بلاد الشام ، وخاصة لبنان هم الذين تبنوا هذا الفكر القومي أيام الدولة العثمانية ، وهم الذين عملوا على نشره «لأنه يعمق العداوة مع الدولة العثمانية المسلمة التي يكرهونها وينبه في العرب جانباً من شخصيتهم غير الدينية مما يبعدهم عن العثمانيين» .
- ٣ - ظهور الفكر القومي العربي ردة فعل للفكر القومي التركي الطوراني» .
(ص ٤٠٤-٤٠٥).

وفيما يلي من الصفحات ستناول الباحث المبدأ القومي من زاويتين هما:

أولاً : القومية من خلال الاستراتيجية.

١- روابط القومية:

لا يشك أحداً أن هناك دعائم عامة لكل مجتمع على وجه الأرض ، وهناك دعائم خاصة وروابط رئيسية للأمة العربية الإسلامية تنفرد بها عن غيرها من الأمم ، وهذه الروابط تنطلق من عقيدة الأمة العربية الإسلامية ، وتشكل عقداً متيناً وترتبطاً سميكاً وقوياً بين أفراد المجتمع ، ومن خلال هذه الروابط يستطيع الإنسان أن يحكم على بقاء هذه الأمة أو زوالها نظراً للقرب هذه الروابط أو بعدها من منظور التربية الإسلامية وروابطها .

إن الباحث ، هنا سيحلق في أجواء "الاستراتيجية" ويتناقل بين ثناياها ويغوص في أعماقها ليستخرج هذه الروابط التي تبناها "تقرير الاستراتيجية" والتي تعتبر من وجهة نظر المحررين روابط عربية تختص بالأمة العربية في الوطن العربي ويندر أن تتوفر عند غيرها من أمم الأرض . (ص ٣٣) .

وسوف يقتصر دور الباحث على استخراج العبارات التي تحدد هذه الروابط من خلال "الاستراتيجية" وقد يتبع العبارات بنقد خفيف أو يسكت عنه ويترك للقارئ أن يحكم على مدى صلاح هذه الروابط أو عدم صلاحتها في المجتمع العربي وبعد أن ينتهي الباحث من هذا كله يليه مباشرة تقويمياً للقومية من منظور التربية الإسلامية .

جاء في (ص ٢٤) من التقرير أن أبرز امكانات الأمة العربية «أن العرب على تعدد أقطارهم أمة واحدة تؤلف بينهم روابط يندر أن تجتمع لغيرهم من الأمم في عددها ومتانتها ، وهي روابط الوطن الواحد واللغة الواحدة ، وروابط العقيدة ، والثقافة السائدة ، وروابط التاريخ المشترك ، والنضال المتكامل في سبيل التحرر والاستقلال ، وروابط المصالح المشتركة ، والإرادة المتألفة والمصير الواحد» .

وفي (ص ٢٥) يرى محررو "الاستراتيجية" أن الوحدة تعتبر أقوى العناصر من أي رابط آخر قائلين «إنما تكمن إمكانيات الأمة العربية بوحدتها أقوى ما تكمن في عقيدتها وتراثها الحضاري وفي ثرواتها البشرية الغنية» ، وهذه العبارة تدل على أن العقيدة أمر ثانوي ليس لها تأثير على الوحدة بين الأمة العربية .

ويفتخر المحررون بأن الأمة العربية تمتلك مقومات قومية، وهذا ما لا تبلغه أم أخرى من أم الأرض التي تتكتل فيما بينها حول المصالح المشتركة في التنمية وفي الأمان القومي والجوار، وليس بين هذه الروابط مقومات قومية. (ص ٢٤).

وفي التقرير عبارات تناقض بعضها بعضاً، ففي (ص ٧٥) من التقرير أورد المحررون عبارات يفهم منها على أن العقيدة هي أهم عنصر من عناصر الوحدة بين الأمة العربية، والتي تمنع هذه الأمة العربية قوة صامدة في وجه التحديات، فعلى الرغم مما أصاب العرب من الضعف والجمود «إلا أن العقيدة مع هذا ظلت حية فعالة في نفوسهم على مر العصور، وكان التمسك بها قوية حافظت على شخصية الأمة وصمودها في وجه التحديات».

وفي (ص ١٠٤) أورد التقرير أبرز الخصائص التي تربط بين شعوب الأمة العربية وهي «روابط التاريخ المشترك، والعقيدة المشتركة، ووحدة اللغة والثقافة، وما يتربّ عليها من المصالح المشتركة ووحدة الشعور والمصير». على أن التقرير أضاف روابط أخرى مكنت الأمة العربية من الحفاظ على ذاتيتها، ومنها: «伊拉克 الحضارة وشمول العقيدة، ووحدة اللغة والثقافة ما مكّن الأمة العربية من الحفاظ على ذاتيتها وجعل هذه المقومات أساساً لصمود الأمة العربية إزاء التحديات الضخمة التي واجهتها، ومنبعاً لتنمية الوعي القومي». (ص ١٢٥).

إن التناقض بارز للعيان ولا يمكن أن ينكره أى إنسان، ففي (ص ٣٣) من التقرير يلمس القارئ أن المحررين "للاستراتيجية" يؤكدون على مقومات قومية ويهملون مقومات أخرى، ومن أخص تلك المقومات من جهة نظرهم «وحدة اللغة ووحدة الثقافة، ووحدة المصالح المشتركة والمصير الواحد». وهنا يجد القارئ إهمالاً للعقيدة وعدم ذكر لها واعتبارها أمراً ثانوياً لأنهم خصوا هذه المقومات بمزيد من الإيضاح وليس في قائمة هذه المقومات العقيدة؟ أما تعتبر هي على رأس قائمة الأسبقيات في أي برنامج عمل؟ وإذا أهملت العقيدة وأصبحت أمراً ثانوياً فعلام يجتمع العرب؟ وهل الروابط الأخرى تغنى عن العقيدة؟

إن محرري "الاستراتيجية" يسيرون على غير هدي ويتباطرون في كلامهم وعباراتهم خطط عشواء دون هدف محدد، فهم يقسمون من هنا وهناك دون تدقّق

في كلامهم أو تحيص لما يلقون من عبارات مخالفة للصواب ومجانبة للحقيقة والتاريخ. فهابم أولاء يؤكدون في التقرير على أن هناك ظروفاً تاريخية استحدثها الاستعمار كانت سبباً مباشراً في بطء ظهور هذه المقومات القومية وكان ينبغي أن تكون القومية أساساً للتنظيم السياسي وهدفاً لتكوين الوحدة العربية ولكن المستعمر على حد زعم المحررين سعى إلى «طمس الشخصية القومية وتبديد مقوماتها». (ص ١٨).

إن التقرير يهدم ما بناه من خلال العبارات الواردة فيه فالاستعمار في رأي المحررين سعى إلى سياسة التجزئة «وتشجيع الولايات المحلية والطائفية والتعلق بالسياسات القطرية». (ص ١٠٣).

ماذا يفهم من هذه العبارات؟ هل يفهم منها على أن المستعمر سعى إلى طمس القومية أم سعى إلى إذكائها وإشعال نيرانها؟.

يضيف التقرير روابط أخرى لل القوميّة، وهي: «وحدة الفكر والمصالح ووحدة الهدف والمصير». (ص ٢١٠). إن هذه المقومات القوميّة القصد منها الوصول إلى «وحدة الإرادة ووحدة المصير». (ص ٢٢٤)، ويحمل التقرير أثناء ذكر الروابط القوميّة العقيدة ويؤكد أن هذه المقومات القوميّة التي تجمع بين الأمة العربيّة تتميز «بوحدة اللغة والثقافة، ووحدة الوطن والتاريخ ووحدة المصالح والمصير». (ص ٢٢٨).

ويؤكد تقرير «الاستراتيجية» على أن بداية القوميّة كانت تعتمد على الجانب النظري والعملي معاً قائلًا: «إن الاتجاه القومي العربي كانت له بدايات فكريّة وعملية في القرن التاسع عشر». (ص ٨٩).

إلا أن الاستعمار أخر هذا الاتجاه ودعا إلى تجزئة الوطن العربي إلى كيانات صغيرة وبأسلوبه هذا الماكر شجع التزعّة القطرية والعمل القطري استجابةً للحركات الوطنيّة المتفرقة في كل بلد عربي والتي نظرت إلى مصلحتها الوطنيّة في حدود قطّرها دون أن تتجاوز ذلك إلى أقطار أخرى. (ص ٨٩).

ويرى المحررون على أن «غاذج القوميات الأوروبيّة وبصفة خاصة ما وجد في فرنسا وإنجلترا كانت لها تأثيرها على اتجاهات السياسيين والمفكرين والمشرعين، فحالت دون دراسة المبدأ القومي وأثاره في إنشاء دول جديدة قائمة على ذلك المبدأ

كوحدة المانيا وإيطاليا ودول البلقان» (ص ٨٩).

لقد ألت "الاستراتيجية" باللائمة على الاستعمار الذي يعتبر المسؤول عن عدم الوضوح القومي فتقول:

«ولكن ظروفًا تاريخية معروفة استحدثها الاستعمار بالتجزئة وصرف الحركات الوطنية من اعتماد استراتيجية قومية في نشاطها عطل اتجاهات الوحدة، فظلت مقومات القومية وعواملها الماثلة في الأمة العربية ظاهرة اجتماعية أكثر منها مفهوماً أساسياً يجد مجالاته في التطبيق الواقعي وفي تكوين الدولة وتأسيسها». (١٠٥).

إن ضعف الحركات الوطنية في مواجهة الاستعمار والتحديات التي تواجهها الأمة العربية أدى إلى ضرورة تعميق الاتجاه العربي القومي باعتباره بديلاً أساسياً عن هذه الحركات الوطنية التي انحصر نشاطها في مصلحتها الوطنية وفي حدود قطرها دون أن تتجاوز ذلك إلى الأقطار الأخرى. (ص ٨٩).

ويستدرك المحررون على أن بعض الأقطار قد نجحت «في إضفاء اتجاهات قومية على التعليم وما زال هذا النوع من الاتجاهات ينمو نمواً متدرجاً على أن هذه الأهداف الوطنية والقومية هي أيضاً لا تزال ضيقية سواء من حيث أبعادها الإنسانية في تنمية الشخصية أو من حيث أبعادها الاجتماعية في المساعدة في تطوير المجتمع وتنميته، أو من حيث أبعادها القومية فقد ظلت إلى حد بعيد قطرية وتعنى بتخريج موظفين . . . إنها لا تستند إلى فلسفة تربوية مستمدّة من فلسفة عربية شاملة معبرة عن خصائص الأمة العربية في معتقداتها، وفي ذاتيتها المتميزة، وهي من ناحية ثانية تظل أهدافاً عامة لا تدرج في التحديد، حتى يكن ترجمتها في أنماط سلوكية واقعية يستطيع أن يستوعبها المدرسون المربيون، ويعملوا على تحقيقها ويتابعوا مضمونها في المناهج والنشاط التربوي بصفة عامة». (ص ٩٧).

ويحدد التقرير بداية الدعوات القومية، ويصفها بأنها طلائع طلب الحرية والاستقلال، وأن شعار الحركات الوطنية في مصر كانت هي " مصر للمصريين" وكان من الأمور المعطلة لهذه الحركات هو توزع الولاء بين المصالح الوطنية القطرية من ناحية، وبين المحافظة على الولاء للدولة العثمانية، وظهرت تيارات بين شباب

العرب في العراق وسوريا ولبنان وفلسطين، والتي كانت خاضعة للدولة العثمانية ، فمنهم من رأى استمرار الانتماء للدولة العثمانية ، ومنهم من رأى أن تأخر البلاد العربية وسوء أحوالها يقتضي حصولها على استقلال ذاتي في نظام لا مركزي ، كالذى دعا إليه حزب تركيا الفتاة وزاد في قوة دعوة هؤلاء إلى القومية «النزعات الطورانية» التي اتخذتها بعض الأحزاب التركية ومحاولتها فرض اللغة التركية لغة للتعليم بدلاً من العربية ، وكان هؤلاء هم العناصر التي تألف منها عدد من الجمعيات السورية ، وكانوا من أقطار عربية مختلفة هي سوريا ، والعراق ، وفلسطين ، ولبنان ، فكان لدعوتهم منطلق جديد للحركة القومية». (ص ٨٦).

وما يدل على أن هذه الحركة القومية التي انتشرت في كل من سوريا وال伊拉克 ، وفلسطين ولبنان هي المنطلق لتطوير التربية العربية في الوطن العربي ، والأساس الذي قام عليه المبدأ القومي في التربية ما جاء في (ص ٢٤٧) من أن المصادر الرئيسية التي قامت عليها الاستراتيجية مستمدة من :

- ١ - «أصول العقيدة الدينية وأصول الثقافة العربية
- ٢ - أحوال مجتمع الأمة العربية وحاجاتها وامكانياتها وحركة القومية العربية فيها وتطوراتها نحو المستقبل».
- ٣ - أن على المجتمع العربي الجديد أن «يتخذ من مقومات القومية سبيلاً إلى تماسكه وبناء قوته ووحدته ، ويسمهم في تطور الحضارة وفي الأخوة الإنسانية وصيانة السلام العالمي». (ص ٢٥٠).

٤ - القومية والعقيدة:

الباحث هنا يحاول أن يبرز مكانة العقيدة عند القوميين ومدى تأثيرها على حياتهم وهل القومية تهتم بالعقيدة؟ وإذا اهتمت بها فهل تحكمها في شئون حياتها؟ أم أنها مجرد عبارات يرددوها القوميون؟

صحيح أن العقيدة تعتبر من الروابط والدعائم لأي مجتمع على وجه الأرض ، ولكنها تختلف عن بقية الروابط التي تم ذكرها آنفا ، ذلك لأنها هي القلب النابض في حياة الأمم وعليها مدار الحياة ومن أجلها يحدث الصراع بين أمّ الأرض .

وعوداً إلى تقرير "استراتيجية تطوير التربية العربية" فهي الفيصل بيننا، وهي الحكم العدل من حيث أهميتها عند القومين.

بالرجوع إلى "الاستراتيجية" يرى محرروها أن التحديات التي تواجهها الأمة العربية «هي مشكلات التخلف والتجزئة والاستعمار والصهيونية» (ص ١٧)، وأن الاستعمار دهم الوطن العربي وسعى إلى «طمس الشخصية القومية وتبديد مقوماتها» (ص ١٨).

هنا يلحظ الباحث أن المحررين ذكرروا التحديات التي تواجهها الأمة العربية وأن المستعمر البغيض سعى إلى طمس الهوية القومية، ولم يذكروا أو يعيروا الجانب العقدي أي اهتمام وما دروا أن أكبر التحديات الحقيقة التي تواجهها الأمة العربية هي زعزعة المعتقد في نفوس الناشئة ليقولوا لا صلة لهم بربهم وخالقهم ويصبح من السهل بعد ذلك انقيادهم إلى حيث يريد أعداء الإسلام، وأن المشكلات الحاصلة هي نتيجة طبيعية لضعف الجانب العقدي عند المسلمين.

وتؤكد إهمال العقيدة من قبل محرري "الاستراتيجية" يجد المرء أنهم سردوا الإمكانيات التي تمتلكها الأمة العربية، وجعلوا العقيدة من ضمن هذه الإمكانيات التي يمكن أن تكون لها أثر في وجه التحديات . (ص ٢٤).

وكذلك يجد أنهم عند ما ذكروا مظاهر الضعف الحضاري في الوطن العربي لم يشيروا من بعيد أو قريب إلى الضعف العقدي الذي يتتبّع الأمة العربية، وهذا يعني أن العقيدة ليست سبباً مباشراً في تخلف المسلمين بل هناك جوانب أخرى، هي التي آلت بالأمة العربية إلى مثل هذا الضعف الحضاري. (ص ١٠١-١٠٢).

إن تقرير "الاستراتيجية" يحاول أن يجعل من القومية منهجاً للحياة وأسلوباً يعتمد عليه في تحقيق الوحدة العربية، ولهذا يلقى محررو "الاستراتيجية" باللائمة على الاستعمار الذي أخر ظهور مقومات القومية، وكان حرياً بالحركة القومية «أن تبلور في صورة محددة قائمة على اعتماد القومية أساساً للتنظيم السياسي وهدفاً لتكوين الوحدة العربية» (ص ١٠٥).

و هنا يتساءل الباحث أين مكان العقيدة في تحقيق الوحدة؟ وإذا لم تكن هناك عقيدة فعلام تتحد الأمة العربية؟ هل القومية يمكن أن تحل محل العقيدة؟

إن الوحدة القومية التي يمكن أن تلتقي جميع أقطار الأمة العربية عليها في مواجهة التحديات تعتبر من أهم الأهداف الحضارية التي تسعى إليها الأمة العربية. (٢٧) من وجهة نظر المحررين كما يزعمون، بل إن من الأسس التي قامت عليها "الاستراتيجية" لتطوير التربية العربية هي أن تكون التربية «نظاماً قومياً شاملًا» (ص ٣٣) على المستوى القطري والقومي.

فالقومية هي الموجهة لأنشطة الحياة، وليست العقيدة التي تقوم بهذه الوظيفة في نظر محرري "الاستراتيجية"، ولهذا يفتخر محررو "الاستراتيجية" بهذه المقومات التي تمتلكها الأمة العربية والتي تعتبر أسبق الدول انتظاماً في مجموعة إقليمية.

لقد «كانت الدول العربية بحكم روابطها القومية من أسبق الدول انتظاماً في مجموعة إقليمية فأنشأت منذ ١٩٤٥م، جامعة الدول العربية . . . "التي تعتبر" وسيلة صالحة لتأكيد الروابط بين الدول العربية والعمل على وحدتها». (ص ٢٥). و«إنما تكمن امكانيات الأمة العربية بوحدتها أقوى ما تكمن في عقيدتها وتراثها الحضاري وفي ثرواتها البشرية الغنية» (ص ٢٥)،

ها هي عبارات المحررين تشيد بالوحدة التي تعتبر أقوى من العقيدة، ومن كل شيء، أليس هذا نفياً صريحاً لأهمية العقيدة في حياة الأمة العربية؟ وإذا كانت الاستراتيجية تبني أن تقام وحدة عربية فعلام تقوم هذه الوحدة العربية؟ هل هناك عقيدة غير العقيدة الإسلامية التي يمكن أن تتحقق مثل هذه الوحدة؟ يبدو أن القومية هي العقيدة الجديدة عندهم التي يمكن أن يتحقق من خلالها وحدة الأمة العربية فعليها يلتقون ومن أجلها يضホون، وفي سبيلها يبذلون الغالي والرخيص.

ونظراً للتطور العقيدة في نظر المحررين جعلهم يصلون إلى نتيجة خاطئة ومغلوطة وهي «أن الإسلام لا يرى أن مجرد المخالفة في الدين يبيح العداوة والبغضاء». (ص ٤٥)، وهذا يعني أن المسلمين لا بد أن يعلنوا محبتهم للآخرين سواء كانوا يهوداً أم نصارى أم غيرهم من ذوي الديانات المنحرفة المحرفة، لأن «العقيدة الإسلامية ودعوتها الإنسانية تعلو على العنصرية وتومن بالإخاء والمساواة». (ص ٥٤) وكذلك «المواقف الإنسانية والعقلانية التي يتبعها الإسلام من حيث خلاصه من التزعزعات العنصرية». (ص ٤٩).

فالعقيدة والإسلام تعلوان على العنصرية بحيث تسري المحبة من قبل المسلمين «إلى الإنسانية جموعاً» (ص ٤٥) لتحقيق الإخوة الإنسانية لكل البشر بحيث لا يكون هناك تمايز أو فوارق بينهم من حيث العقيدة، وهنا يصل المحررون إلى نتيجة مهمة مؤداها أنه «لا تعارض بين القومية والعالمية» (ص ٢٤٨)، فالقومية تساوي العالمية، وكذلك العكس، أما العقيدة الإسلامية فلا نصيب لها في حياة الأمة الإسلامية ويصبح «أساس المجتمع السليم إقرار مبادئ الأخوة» (ص ٤٤) المزعومة التي يقترحها المحررون والتي تعلن موالتها لكل البشر.

إن تبني "المبدأ الإنساني" أو "التربيـة للإنسانية" من قبل المحررين للاستراتيجية جعل هذا المبدأ يطغى على كل المبادئ المقترنة في "الاستراتيجية" بل إنها تنطلق من هذا المبدأ "الإنساني" الذي جعله المحررون في قائمة المبادئ وقدموه في الترتيب الأول على غيره بحيث أعطى أسبقية على المبادئ كلها وفعلاً كان له النصيب الأكبر أثناء هذه "الاستراتيجية" فالقارئ يلمس آثاره في المبدأ الإيجاني، والمبدأ القومي الذي يقوم الباحث بنقده الآن.

وسيتضح آثار المبدأ الإنساني في بقية المبادئ التي سيأتي الحديث عنها بعد الانتهاء من هذا المبدأ القومي مباشرة.

وما يؤكـد ما يقوله الباحث من طغيان المبدأ "الإنساني" على المبادئ كلها وجعل له الصدارة في "الاستراتيجية" أن المحررين يعتبرون الإسلام من وجهة نظرهم ثورة كبيرة ويعملون ذلك «بما دعا إليه من إخوة إنسانية شاملة». (ص ٤٢)، وكذلك العقيدة التي تعلو على العنصرية وتدعوا إلى الإخاء والمساواة لا بد أن تسري إلى الإنسانية جموعاً «كما تجلت في حركتها الحضارية الإنسانية». (ص ١٧٥)، فالعقيدة «أقامت المجتمع على أساس من العدل والحق، كما أقامت "الإنسانية" على أساس من المساواة والإخاء». (ص ٧١).

إن هذا الفهم القاصر للعقيدة والإسلام أدى إلى نتائج وخيمة وخطيرة وهدامة ومفاهيم مغلوطة من قبل المحررين، ففي (ص ٤٧) من التقرير، قسم المحررون العلوم الإنسانية إلى ثلاثة أقسام: هي: (أ) حركة العلوم الدينية. (ب) والحركة الأدبية. (ج) والحركة التاريخية، وجعلوا الإسلام من جملة العلوم الإنسانية التي

تهتم بالإنسان لكنهم لا يقصدون ذلك، فهم يغلفون الحقيقة ويلبسونها لباساً غير ما يهدفون إليه.

ومما يدل على ذلك أي: على أنهم جعلوا الإسلام من العلوم التي اخترعها البشر. ما جاء في (ص ٦٣) من التقرير، أن مصادر الدراسات الإنسانية والعلمية هي المصدر العقلاني والأخلاقي وليس هناك مصدر إلهي للإسلام بل العقل هو الذي يتوصل إلى هذا.

وفي هذا إنكار للوحي وللرسالة التي أتى بها خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ وهذا معارض لما تعتقده الأمة الإسلامية، وتدين به.

وهذا الذي توصل إليه محررو "الاستراتيجية" من مثل هذه المفاهيم المغلوطة ناجح من اعتقادهم بأن تراثنا الإسلامي حي؛ لأنّه قابل للتطور صالح للبقاء في كل مكان وزمان يعول على أشرف ما يتميز به الإنسان عقله وضميره» (٧٢).

إن هذا التطور المطلق في زعم المحررين جعلهم يعممونه على الإسلام والعقيدة وشئون الحياة دون تفريق بين الجانب المادي والجانب المعنوي من حيث التطور فأصبح عندهم عدم التفريق بين القومية والعالمية، وبين العقيدة والإنسانية، وبين الإسلام، حتى إن رسالة الإسلام هي رسالة قومية يحملها العرب إلى العالم الإسلامي «يسهمون بها في هداية الإنسانية جموعاً» (ص ٧٢).

وأن "الاستراتيجية لتطوير التربية العربية" تسعى إلى تطوير التربية في نطاق التنمية الشاملة من منظور «ارتباطها بالأهداف القومية الإنسانية للأمة العربية». (ص ٢١٩).

وخلاصة القول: إن عقيدة الأمة العربية وذاتها القومية هي التي مكنت الأمة العربية من الصمود تجاه التحديات التي تواجهها الأمة العربية. (ص ٧٥).

٣- القومية: والتغيير والتربية والعلمون والإنسان العربي.

القومية كما اتضح للباحث تعتبر عقيدة عند القومين ووجهة للحياة وأنشطتها. وإن هذه المحاور وهي التغيير، والتربية، والعلمون لابد أن تتأثر بالقومية وتنطلق منها وصولاً إلى إيجاد الإنساني العربي الجديد والمجتمع العربي الجديد الذي يعتمد على القومية منهجاً وسلوكاً.

جاء في (ص ١٠٨) من تقرير "الاستراتيجية" تحت عنوان "اتجاهات التغيير" أن الأمة العربية لديها مقومات أساسية تربط بعضها ببعض وأهمية هذه المقومات أن الأمة العربية تنظر «إلى كيانها وأمنها ومستقبلها من خلال العلاقة العضوية بعضها البعض ، ومن هنا كان الاتجاه العربي القومي حتميا وأساسيا أمام كل بلد عربي وأخذ هذا الاتجاه يعبر عن نفسه بوضوح وبوسائل مختلفة ، ومن ذلك بروز جامعة الدول العربية لتجسد أهداف الأمة العربية في الوحدة والتضامن من أجل القوة الذاتية ورد الوان العدوان والتخلف».

وهذا يؤكد أن الاتجاه في التغيير لابد أن يكون قوميا وأن المواثيق والدستير الوطنية تنص على انتماها للأمة العربية، وبذلك «أصبح الهدف قوميا» . (ص ١٠٨) و «إن التغيير الذي يرتضيه الله للأمة العربية يبدأ بتغيير نفوسها بالتربيـة الصالحة والتنـشـة السـلـيمـة وهـل غـير التـرـبـيـة وـسـيـلـة أـجـدـى وـأـنـفـع فـي تـغـيـير النـفـوس» (ص ٣٢) كـلا إـن الوـسـائـل الـأـخـرى لاـ يـكـنـ أـن تـحـقـقـ ما تـحـقـقـه التـرـبـيـة من إـيـجاد نـاشـئـة سـلـيمـة، وـلـكـنـ هـل تـنـطـلـقـ التـرـبـيـة مـنـ الـمـبـدـأـ الـقـوـمـيـ الـعـرـبـيـ وـيـصـبـحـ وـصـفـنـاـ لـهـاـ بـأـنـهـاـ تـرـبـيـةـ صـالـحةـ وـتـنـشـئـةـ سـلـيمـةـ؟

وهل هذا هو المطلوب من التغيير أن تصبح الناشئة قومية في أفكارها وفي سلوكياتها وأنمط حياتها؟

إن البلاد العربية تشهد تحولات خطيرة وعميقة ولها أهداف تسعى إلى تحقيقها ، ومن هذه الأهداف أن تصبح «الوحدة هدفا رئيسا لها». (ص ١٠٧)، أى وحدة هذه التي تقصدونها؟ إنها الوحدة القومية بالطبع !

ويعرو محررو "الاستراتيجية" عدم تحقيق الوحدة إلى أن الأنظمة التربوية كانت متخلفة في الماضي وعجزت عن تحقيق الوحدة العربية؛ لأن تحقيقها «رهن بتطوير هذه الأنظمة وتجدیدها لتكون أداة فعالة في تكوين المواطن العربي محور التنمية الشاملة وهو أداتها وغايتها». (ص ١٧) والقومية العربية هي الأساس للتنظيم السياسي ولتكوين الوحدة العربية. (ص ١٠٥).

إن البلاد العربية تتحرك نحو جعل التربية أداة للتغيير؛ ولهذا خضعت أهداف التربية لكثير من المراجعة وبرز فيها الاتجاه القومي العربي واضحاً واتضح للمحررين

أهمية «ضرورة تكوين الإنسان العربي المتكامل» (ص ١١٢)، وكانت حركة التغيير قائمة على قدم وساق سواء على مستوى تبادل المعلمين في مختلف المراحل الدراسية أم من خلال المؤتمرات والحلقات التربوية أم عن طريق تنظيم مشروعات تربوية مشتركة بين "المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم" والمنظمات الأخرى المتخصصة في ميدان التربية والتعليم من أجل الارتقاء بالإنسان العربي الجديد. (ص ١١٢).

إن من واجب التربية العربية وهي تبني إرادة التغيير أن تنزع نحو التجديد في ميدان التربية وتضفي عليه أصالتها ومن التجديد في التربية أن ترسخ أهداف الوحدة العربية وقيم هذه الأمة لتحقيق وحدة المصير والحياة الكريمة لجميع أبنائها وهذه مهمات ينبغي أن تبرز بين أبعاد استراتيجية تطوير التربية العربية كما تصورها المحررون. (ص ١٧٥).

إن المثقفين والمتعلمين عن طريق الثقافة الوافية هم الجديرون بتحقيق هذا التجديد في ميدان التربية والتعليم والقادرون على الاضطلاع برسالة تكوين ثقافة تلائم الأمة العربية في مجالات الأدب والعلوم الاجتماعية والفلسفة والعلوم الطبيعية من أجل أن تستعيد الأمة العربية مكانها بين الأمم وتعبر عن طموحها في طلب التغيير (٨٣-٧٩) إن من ينعم النظر في "الاستراتيجية" يجد أن الذين أشادت بهم "الاستراتيجية" في تجديد التربية وغيرها هم من ذوي الفكر المنحرف، والذين عليهم مأخذ كثيرة، ولا يمكن قبول آرائهم في ميدان التربية والتعليم إلا بعد التمحص والنقد لأن حرافها عن مبادئ التربية الإسلامية ومفاهيمها وتصوراتها، وقد تكررت الإشارة إلى هؤلاء في أماكن متعددة من الاستراتيجية (٤٩، ٥٠، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٩١) وليس هذا فحسب، بل إن المحررين يلمزون الحركات الإصلاحية الحقيقة وينعتونها بنعوت غير مستساغة ومقبولة (ص ٧٩)، وهذا يدل بكل تأكيد على أن محرري "الاستراتيجية" يميلون إلى مثل هؤلاء فالطيور على أشكالها تقع.

إن التجديد في نظر المحررين للاستراتيجية لم «يعد مقصوداً منه مجرد احتذاء الثقافة الغربية والإقبال عليها والاقتباس منها . . . بل جعلها منطلقاً إلى الإبداع والابتكار بنماذج فيها تعبير عن ذاتية الأمة وتأصيل لثقافتها». فأصبح المجددون أهل فهم ونقد وابتكار وإبداع» (ص ٨٢).

فالتغيير من وجهة نظر المحررين هو في خير الأمة العربية «والحفاظ على سلامتها عقيدتها وأصالة ثقافتها وضمان الحياة الكريمة لأبنائها». (ص ٩١).

ويوضح محررو "الاستراتيجية" الأسباب التي أدت إلى الدعوة إلى تجديد التربية وجعلها منطلقة من منطلقات قومية ويحصرونها في «اشتداد حركة الاتصال بين الأقطار العربية وتفاعل الحركات الوطنية وتأثير بعضها في بعض، وتزايد الدعوة القومية وازدياد أنصارها في الأقطار العربية المختلفة وجنوح بعض قادة حركة التجديد إلى مزيد من العناية بالتراث العربي والكشف عن مزاياه وقيمه، وانتشار الصحافة بين الأقطار العربية، كل هذه الأسباب أدت إلى دعم نزعة التجديد، واتخاذها أبعاداً قومية». (ص ٨٢).

إن التربية لا بد أن تخدم القومية العربية التي يدعوا إليها المحررون وطريق بث الوعي عنها وتعميقها في نفوس الناشئة هي التربية التي تبقى «حياة في نفوس من يهتدون إلى كنوزها ويعرفنها بالتنشئة الصالحة والتربية السليمة». (ص ٢٢).

ويرى التقرير أن الأمة العربية تمتلك ثروة بشرية ضخمة «في قدرات أبنائها، ولهم من سلامة العقيدة، وعراقة الحضارة وأصالة الثقافة والاتصال بثقافات الشعوب، وهم بما لهم من هذا التراث الغني وتلك الإمكانيات الواقية لقادرون بإذن الله حি�ثما واتتهم أحوال التنشئة السليمة والتربية الصالحة أن ينهضوا بهميات حضارية جديدة». (ص ٢٥).

ويتبين من هذه العبارات الاهتمام بالجانب القومي الذي يتبنّاه المحررون "لل استراتيجية" والإشادة بالحضارات السابقة على الإسلام والتي كان لها تأثير عميق في مسیرته.

هل يشك أحد بعد إيراد هذه العبارات أن التربية الصالحة التي يسعى إليها التقرير إنما هي قومية عربية لا إسلامية؟

لا اعتقاد أن أحداً يشك في هذا إلا مكابر أو مصاب بحقد أعمى متغصب للقومية العربية كما هو شأن الجاهلين.

ولمزيد من الإيضاح بأهمية القومية العربية عند المحررين يورد الباحث عبارات أخرى نطق بها لسانهم وخطتها أقلامهم لتكون شاهدة عليهم بأنهم اتخذوا من

القومية أساساً لتنظيم شئون الحياة ومن هذه العبارات ما جاء في (ص ١٠٩). مانصه: «إن التربية في العالم العربي استطاعت أن تنقل إلى الناشئين والشباب الاعتزاز بالتراث وبالأحداث الماضية غير أن هذا ما زال على المستوى اللغظي في كثير من الأحيان»، وعلينا أن نتجاوز المستوى اللغظي بالنسبة للاعتزاز بالشخصية القومية والتراث القومي إلى ممارسة هذا الاعتزاز بفهم مقوماته»، وهذا يدل على أن محوري الاستراتيجية يهتمون بالاتجاه القومي في التربية ومارسته فعلياً لغظياً ليكون نموذجاً حياً وتطبيقاً فعلياً. (ص ١١٢) من أجل «تكوين الإنسان العربي المتكامل». (ص ١١٢).

وقد عبر عن هذا الهدف القومي «المواضيق والدساتير الوطنية وقوانين التعليم والمسوح والدراسات والتقارير والمواضيق القومية، وقرارات المؤتمرات والملتقيات الوطنية والقومية والدولية . . . تربية وإعداد المواطن العربي المؤمن بتراث الأمة العربية وبقيمها الأصيلة ورسالتها الحضارية» إضافة إلى «التعاون العربي الثقافي دعماً للوحدة الثقافية كأساس للقومية العربية». (ص ١٣١).

هل بقي شك عند القارئ أن القومية العربية لابد أن يعتنقها الناشئة وغيرهم من يعيشون في الوطن العربي؟.

إن الاستراتيجية المقترحة لتطوير التربية العربية تؤكد على التفاعل بين التربية وال المجالات الأخرى «وانتظامها في نطاق التنمية الشاملة وارتباطها بالأهداف القومية الإنسانية للأمة العربية» (ص ٢١٩)، وهي استراتيجية حضارية «تسعى استجابة لإرادة التغيير الحضاري في مجتمعها وتتسم بخصائصه وتحتسب بأهدافه القومية والإنسانية» (ص ٢٢٤)، وتسعى الاستراتيجية أيضاً «إلى الاعتماد على الإنسان العربي وجعله محوراً وأداة وغاية للتربية وللتنمية الشاملة على السواء». (ص ٢٢٤) لأنها « تستند إلى العلم منهجه ومحتوى وإلى الفكر الحديث اتجاهات وتطبيقات وتدعم إلى إقامة التربية في الوطن العربي على أساس فلسفية نابعة من خصائصه وأصالته قيمة». (ص ٢٢٥-٢٢٤).

وتعتمد الاستراتيجية أيضاً على واقع التربية العربية وما تواجهه من مشكلات وتنطلع إلى «التميز بقيمها الإسلامية وبأصالتها القومية» (ص ٢٢٦).

وستند أيضاً إلى «حركة القومية العربية فيها وتطوراتها نحو المستقبل» (ص ٢٤٧) من أجل «إعداد الإنسان العربي الجديد» (ص ٢٢٦) والمجتمع العربي الجديد الذي «يتخذ من مقومات القومية سبيلاً إلى تمسكه وبناء قوته ووحدته ويسهم في تطور الحضارة وفي الإخوة الإنسانية وصيانة السلام العالمي» (ص ٢٥٠).

وهذه الفلسفة التي يتبعها تقرير الاستراتيجية جديرة أن تغنى التربية العربية وتهديها إلى غاياتها ومقاصدها «لتكون حقاً تربية عربية متميزة معبرة عن الأمة العربية في ماضيها الحي وحاضرها العamer عاملة على تكوين المواطن المتمثل لشخصيته القومية، وتلك مهمة جديرة أن تتحرك نحوها الجهد وتؤلف مساراً رئيسياً في حركة التربية العربية في تجديد ذاتها». (ص ٢٤٩) ويجب على المؤسسات التربوية التي تحضن الناشئة أن تهتم بتنشئة الأطفال في سنينهم الأولى "التربية قبل المدرسة" بحيث تقوم رياض الأطفال بدور فعال في حياة الطفل يؤدي «إلى تشربه لأصول الثقافة القومية وما تميز به من شخصية قومية مما يزيد في أهمية التعمق بأساليب التنشئة والتحقق من صحتها وسلامتها في نطاق الأسرة وفي نطاق المؤسسات» (ص ٢٥٩) التربوية التي تضطلع بهذه المهمة ابتداءً من المراحل الدراسية الأولى وحتى التعليم العالي الذي يكون موجهاً «لتحقيق الأهداف القومية في التنمية الشاملة وفي القوة والمنعة للأمة حفاظاً على أنها» (ص ٢٧٤).

إن التحديات التي تواجهها التربية في الوطن العربي كثيرة منها:

- ١ - «غياب فكر قومي عربي متكمال يجمع بين الأصالة والمعاصرة ويحقق لحركة التربية السرعة والإتساق» (ص ١٣٢، ١٤٦).
- ٢ - «عدم توافر أسباب البحث العلمي بصورة وافية، مما أدى إلى ضعفه وعدم ارتباطه باحتياجات المجتمع وعدم قدرته على تأصيل علم عربي وفكر عربي متميز واستمرار اعتماده في أكثر الأحيان على المصادر الأجنبية والنماذج الغربية بصفة خاصة» (ص ١٥١).

وهنا يتضح أن الحاجة ماسة إلى تطوير فلسفة عربية متميزة تستند إلى «خصائص الأمة العربية في أصالتها ومقومات عقيدتها وثقافتها . . . وإلى مقوماتها القومية وإمكانياتها . . . لتهدي بها التربية العربية في غايتها ومقاصدها وفي أهدافها وأغراضها». (ص ٢٥٠).

إن المؤسسات التربوية لابد أن يكون المحتوى فيها مركزاً على "التربية القومية" والاعتزاز بالأمة العربية وثقافتها وحضارتها الإنسانية. (ص ٢٧١).

وأن تكون هذه المؤسسات «وثيقة الصلة بالمجتمع ومؤسساته وبالمؤسسات التربوية ذات الصلة ببرامجها على مستوى الجامعات وعلى مستوى المدارس نفسها وأن ترتبط هذه المعاهد بعضها ببعض وبالمؤسسات بروابط قومية». (ص ٢٨٤).

إن هذه المؤسسات التربوية يجب أن تعنى بالعلم عن طريق مناهج تربيته بحيث يظهر في إعدادهم وتدریبهم «الأهداف القومية ومطالب العمل القومي لتطوير التربية العربية وتطوير التنمية الشاملة على مستوى الوطن العربي». (ص ٢٨٤). ولابد أن «يستمد المعلمون مكانتهم في المجتمع بحكم تعدد مهاماتهم الاجتماعية والتربوية وارتباطها بالأهداف القومية والتنمية». (ص ٢٨٧)، ويصبح إعداد العلمين «وتدریبهم وتطوير مهامهم التربوية والمجتمعية والقومية ركناً أساسياً لتجديد التربية العربية وبعداً رئيسياً من أبعاد الاستراتيجية المعتمدة لها». (ص ٢٨٧).

ومجمل القول إن "المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم" هي المنظمة العربية ذات الاختصاص المباشر "باستراتيجية تطوير التربية العربية" و "هي المؤسسة المسئولة على الصعيد القومي عن العمل في سبيل تنفيذ "استراتيجية تطوير التربية العربية" فيسائر منطلقاتها ومبادئها وعناصرها فتجعل منها حি�ثماً اعتمدتها مصدرها رئيسياً لبرامجها، وهي ولا شك الإدارة الصالحة الفعالة لتنظيم قومية العمل العربي في سائر ميادينها» (ص ٣٧٢).

وخلاصة آراء محري الاستراتيجية عن المبدأ القومي في التربية ما ورد في (ص ٢٢٨-٢٢٩) أثناء تناولهم لهذا المبدأ خاصة موضعين الدلالات والإعتبارات في الاهتمام به ومن ذلك:

أ - «إن التربية ذات انتماء قومي تتأثر بالخصائص الحضارية القومية في مجتمعها وعليها أن تمثلها و تستوعبها في خير صورها وأن تعمل على تطورها فتعمل الوعي بها وبالمساهمة في تحقيق أهدافها يصدق ذلك خاصة على التربية العربية» (ص ٢٢٨).

ب - «إن من أهداف التربية ووظائفها إعداد المواطن الملزם نحو مجتمعه الممثل

لشخصيته القومية في نقاوتها وصفاتها العامل على الوفاء بمتطلباتها». (ص ٢٢٨).

ج - «إن الولاء للمجتمعات المحلية وللمجتمعات القطرية إنما يكون على خير حالاته إذا كان في إطار ولاء قومي شامل». (ص ٢٢٨).

د - «إن العمل التربوي ذو أبعاد قومية وإنما يكون على خير حالاته من الكفاية والجدوى حينما يقوم على أساس جهود قومية شاملة». (ص ٢٢٨).

هـ - «بروز القومية كحركة قومية في تحرر الشعوب وفي تكوين الدول الحديثة وظهور التجمعات الإقليمية على أساس المصالح المشتركة في النصف الثاني من القرن العشرين ودور التربية في الحركة القومية وفي بناء الأمم والدول الحديثة وتعاظم مهماتها في هذا المجال». (ص ٢٢٨).

ثانياً: القومية من منظور التربية الإسلامية:**أ- حقائق مهمة:**

يود الباحث قبل أن ينطلق إلى تقويم القومية أن يضع أمام القارئ حقائق مهمة يجب ألا تغيب عن البال، ولا تمحى من الذاكرة بحيث يكون على ذكر منها، ومن هذه الحقائق:-

١- إن خطة للسيطرة على المناهج التعليمية في البلاد العربية من قبل النفوذ الأجنبي قد اتخذت وسائل متعددة للوصول إلى الأهداف الهدامة المتمثلة في القضاء على الإسلام والمسلمين والتشكيك في الدين الإسلامي وملء عقول الناشئة بفهایم ومبادئ وتصورات بعيدة عن المبادئ والمفاهيم والتصورات الإسلامية

لتبقى هذه الناشئة قلقة نامية لا صلة لها بخالقها.

٢- ومن الأساليب الخفية غير المعروفة - للوصول إلى الأهداف الهدامة والمبادئ المنحرفة - هو التسلل إلى أغراضهم من خلال إنشاء منظمات تعمل على الوصول إلى الأهداف التي يسعى المحتل الأجنبي إلى تحقيقها «وقد أسهمت

المنظمات الدولية في هذا المجال بما في ذلك الأمم المتحدة و"يونسكو" ، والتربية الأساسية على وجه الخصوص التي تعتبر امتداداً لمخططات ترمي إلى فصل الدين عن الدولة». (الجندى ، سوم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية ،

١٤٠٥هـ، ص ١٢١).

٣- من قواعد التصور والاعتقاد لدى الأمة الإسلامية الإيمان بوحدة هذه الأمة الإسلامية على مر العصور ومعرفة مقومات هذه الأمة ، ومن يستقرئ التاريخ يجد أن العقيدة الإسلامية والدين الإسلامي هو «القاسم المشترك الوحيد للأمة متكاملة كبرى ولا شيء غيره وإذا ما نحننا الإسلام جانباً فمن المستحيل

أن نجد قاسماً مشتركاً آخر نتفق عليه وتلتقي عنده الأمة الإسلامية . فلا الأرض ولا اللغة ولا التاريخ يمكن أن تكون القاسم المشترك لأمتنا؛ وذلك لأن الأرض واللغة والتاريخ تعتبر امتداداً للإسلام». (حسنة ، فقه الدعوة ملامح وأفاق ، ١٤٠٨هـ ،

كتاب الأمة (١٨)، ٧٢ / ١).

٤- إن الجانب التاريخي أكبر شاهد على أهمية العقيدة الإسلامية لدى المسلمين

وأنها كانت هي الجنسية المعترف بها وهي الهوية التي يتقبل بها الإنسان المسلم من مكان إلى آخر في العالم الإسلامي الذي «كان أمة واحدة تظلله راية لا إله إلا الله محمد رسول الله . . . وكان المسلم يخرج من طنجة حتى يتنهى به المقام في بغداد لا يحمل معه جنسية قومية أو هوية وطنية، وإنما يحمل شعاراً إسلامياً هو كلمة التوحيد. فكلما حل أرضاً وجد فيها له أخوة في الإيمان، وإن كانت الألسنة مختلفة والألوان متباعدة لأن الإسلام أذاب كل تلك الفوارق واعتبرها من شعارات الجاهلية». (القططاني، الولاء والبراء في الإسلام، ١٤١٣هـ، ص ٤١٩).

٥ - وإن الواقع يشهد بأهمية العقيدة في حياة أي مجتمع وأهمية تمسك الناشئة بها فالجميع يعلم أن اليابان «خرج من الحرب العالمية منهك القوي متضرراً كمَا لم تتضرر دولة مثله ومع ذلك هو الآن في مصان الدول المتقدمة . . . لأن الخط الواضح الذي سارت عليه اليابان منذ خروجها من الحرب هو التميز بهوية مستقلة». (النشمي، طريق البناء التربوي، ١٤٠٩هـ، ص ٩٢-٩٣).

٦ - ونتيجة لتلك الحقائق يؤكد الباحث أن الذي لا يحمل هوية مستقلة يتذبذب هنا وهناك ويبقى كالريشة في مهب الريح لا يستقر له قرار ولا يثبت على حال فتارة يشرق وأخرى يغرب وهكذا دواليك.

إن من لا يحمل هوية مستقلة متميزة فهو كحاطب ليل يخطب خطب عشواء وتكون نتائج أعماله أفكاراً مشوشة ومبادئ منحرفة ومفاهيم مشوهة.

٧ - وختام هذه الحقائق أن القومية والديمقراطية وغيرهما تنطبق عليهما ما يلي : -
أ - أن هذه المبادئ الهدامة ولدت في أحضان أوروبا ولم يكن منشؤها بلاد المسلمين .

ب - وأن معظم دعاة هذا التيار هم من تلمندوا على أوروبا وجلهم من النصارى .
ج - إن قضية التجديد خدعة ماكرة لتطويق الإسلام وتضييق الخناق عليه .

د - وإن رموز دعاة التجديد مهممنون على المراكز الحساسة ويخدمون السياسات الغربية . (أسد، الإسلام على مفترق الطرق، ١٤٠٤هـ، ص ١١٣-١١٤).

يقول المتهدى النمساوي "محمد أسد" (١٤٠٤هـ) في كتابه "الإسلام على مفترق الطرق": «فنحن لا نحتاج إلى فرض إصلاح على الإسلام كما يظن بعض المسلمين؛ لأن الإسلام كامل بنفسه.. أما الذي نحتاج إليه فعلاً فإنما هو إصلاح موقفنا من الدين بمعالجة كسلنا - وغرورنا.. ولكي نصل إلى إحياء إسلامي فإننا لانحتاج إلى أن نبحث عن مبادئ جديدة في السلوك نأتي بها من الخارج إننا نحتاج فقط إلى أن نرجع إلى تلك المبادئ القدية المهجورة فنطبقها من جديد». (ص ١١٣-١١٤).

ويؤكد "محمد أسد" (١٤٠٤هـ) على رفض التبعية الفكرية والذوبان الحضاري في كيان الحضارات الأوروبية ويدعو المسلم إلى الإعتزاز بدنية وعقيدته فيقول: «وكيما يستطيع المسلم إحياء الإسلام، يجب أن يعيش عالي الرأس، ويجب عليه أن يتحقق أنه متميز، وأنه مختلف عن سائر الناس وأن يكون عظيم الفخر؛ لأنه كذلك... ليحتفظ بهذا الفارق على أنه صفة غالبة، وأن يعلن هذا الفارق على الناس بشجاعة بدلاً من أن يعتذر عنه بينما هو يحاول أن يذوب في مناطق ثقافية آخر». (ص ٨٣).

- وخلاصة القول إن المجتمع الحي الذي رباه رسول الله ص اجتمع فيه «العربي، والفارسي، والشامي والمصري، والمغربي، والتركي، والصيني، والهندي، والرومانى، والإغريقي، والإندونيسى، والإفريقي»، إلى آخر الأقوام والأجناس، وتجمعت خصائصهم كلها لتعمل متمازجة متعاونة متناسقة في بناء المجتمع الإسلامي والحضارة الإسلامية ولم تكن هذه الحضارة الضخمة يوماً عربية، وإنما كانت إسلامية، ولم تكن يوماً قومية، وإنما كانت دائمًا عقائدية».

قطب، معالم في الطريق، ١٤١٢هـ، ٥٩.

بـ- أضواء كاشفة على الاستراتيجية القومية:

وعوداً إلى الاستراتيجية العربية لتطوير التربية يجد المرء أن المحررين لها يصفون الداعين إلى القومية بأنهم طلائع طلب الحرية والاستقلال وهم من العناصر الفعالة الذين كان لدعوتهم منطلق جديد للحركة القومية. (ص ٨٦) ومن هنا كانت هذه الحركة القومية العربية أهم راشف رئيسي للاستراتيجية. (٢٤٧).

يصف "محمد الغزالى" (١٣٩٦هـ) في كتابه "مع الله" مؤسسي الدعوة القومية العربية بأنهم «ليسو عربا ولا عجما . . . إنهم مسخ غريب الأطوار صفيق الصياغ، ابتلى بها البلاد الإسلامية أثر صنع الاستعمار، وقد ملأت ضجتهم الأودية كما تملأ الضفادع بنقيقها أكتاف الليل . . . ويزعمون أنهم مبشرون بالقومية العربية ورافعون لألويتها وفي الوقت نفسه ينسحبون من تقاليد العروبة ويهاجمون أجل ما عرفت به ويعثرون العوائق في طريق الإيمان ورسالته . . . فهم ملحدون مجاهرون بالكفر . . . والغريب أن هؤلاء الناس يخاصمون الإسلام بعنف ويحاربون أمته بجبروت وبهادنون الأديان الأخرى، لأن الإسلام هو العدو الذي كلفوا باستئصاله وحده لا بل هو العقبة الفدحة التي وضعت المعاول في إحالتها ترابا . . . وإن لجدير أن يسمى هؤلاء بأتيا القومية العربية». (ص ٢٦٧-٢٦٩).

وفي مؤلف آخر "للغزالى" (١٣٩٧هـ) يؤكد بأن القومية العربية مولود غير شرعي «احتضنته بيئات نافرة من الإسلام أو مبغضة له، وأن هذا الوليد يستمد نماءه من الثقافات الدخيلة». (حقيقة القومية العربية، ص ٦).

وفي الطريق نفسه يشير "الغزالى" في كتابه السابق أن "على بن حسن الخرطلي" قال عن القومية بأنها ولادة مشوهة «وكان أول من بشر برسالة القومية بين العرب هم أبناء "الرعايا" أي المسيحيون الذين وجدوا في القومية أداة صالحة ليس فقط للتخلص من السيادة العثمانية بل للخروج كذلك من حدود الدائرة الإسلامية إلى وسط أرحب حيث يستطيع المسلمون وغير المسلمين من العرب أن يذيبوا أنفسهم في ولاء شامل». (١٣٩٧هـ، ص ٦).

وما جاء في (ص ٢٢٥) من تقرير "الاستراتيجية" أنه «يجدر أن تنطلق الاستراتيجية المقترحة من التحاهات محددة وافية في السياسة التربوية ومن ورائها مبادئ فلسفية اجتماعية متميزة للمجتمع العربي، ذات صلة بال التربية العربية ذاتها».

إن القومية العربية فرضت في ميدان التربية والتعليم فرضا واحتلت «المكان الأعلى ومن التعليم بجميع مراحله المكان الأمكن في كثير من البلدان الإسلامية وحتى جعلت مبلغ العلم وسيلة وغاية واعتبر معتقدها قد بلغ من الوعي النهاية واستحق الثقة والولاية بل إن ميدان التربية والتعليم قد استهدف لغرسها فيه منذ أمد

بعيد وعلى مراحل». (العبود، فكره القومية العربية على ضوء الإسلام، ١٤٠٢هـ، ص ٨). وفي (ص ٢٢٨) من الاستراتيجية قدم المحررون مبررا إسلاميا أثناء حديثهم عن "المبدأ القومي" ثم جاء بعده مباشرة مبرر آخر يدعو إلى التحلل من الإسلام وإبعاده من حياة المسلمين وأنشطتهم وهذا هو المبرر الهدام الذي ينص على:-

«كون الأمة العربية حقيقة تاريخية حضارية، اتصل كيانها بالحضارة الإنسانية منذ نشأتها، وكان لها تأثير واسع وعميق في مسيرتها، وهي تملك في حاضرها من مقومات القومية وداعي الوحدة ما يندر أن تملكه أمة أخرى، فهي تميز بوحدة اللغة والثقافة ووحدة الوطن والتاريخ ووحدة المصالح والمصير».

يلاحظ القارئ هنا اهمال المحررين للعقيدة الإسلامية؛ لأنها في نظرهم لا تعتبر من مقومات القومية بل هي لا قيمة لها في حياة الأمة العربية، ولو كان لها قيمة لجاءت في أولويات اهتمامهم ولكن لأن ماضي الأمة العربية من وجهة نظرهم مرتبط بالحضارات الإنسانية التي كانت موجودة قبل الإسلام، ولهذه الحضارة أثر واسع وعميق على مسيرتها، أما الإسلام فليس له تأثير في مسيرة الأمة العربية، وهو ساقط من الحسبان. هذا في الماضي، أما حاضر الأمة العربية فلها مقومات مرموقة بين أم الأرض تميز عنها بوحدة اللغة والثقافة والوطن والتاريخ وهنا يتضح للقارئ أن للعرب حضارة قبل الإسلام تنافس الحضارات الأخرى، مثل: الحضارة البابلية والآشورية وحضارة الفراعنة فهذه الحضارات الجاهلية هي التي لها أثر واسع وعميق على مسيرة الأمة العربية وليس الإسلام.

إن الاهتمام ببعث الحضارات القديمة يعتبر نزعة قومية وفكرة غربية سعي المحتل الأجنبي إلى تمجيدها وإذكاء الروح القومية من خلالها وزعزعة المعتقد من نفوس المسلمين. (العبود، فكره القومية العربية على ضوء الإسلام، ١٤٠٢هـ، ص ٢٣٠-٢٣٢).

بل إن الاهتمام بالحضارات السابقة يعتبر من أهم مظاهر فرنجية العالم الإسلامي لتقوية الوطنية الشعوبية وتدعم مقوماتها.

يقول "جب" في كتابه "وجهة الإسلام": «وقد كان من أهم مظاهر فرنجية العالم الإسلامي تنمية الاهتمام ببعث الحضارات القديمة التي ازدهرت في البلاد المختلفة التي يشغلها المسلمون الآن فمثل هذا الاهتمام موجود في تركيا وفي مصر

وفي اندونيسيا وفي العراق وفي إيران». (التدوي، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية، ١٣٨٨هـ، ص ١٨٥).

إن العبارة السابقة توحّي باعتناق القومية العلمانية تقليداً للغرب الذي أقام حياته بعيداً عن الدين وأصبح في نظر القوميين العرب «كل تجمع أو حتى تضامن أو تقارب على أساس العقيدة والدين مظهراً من مظاهر التخلف والرجعية يجب أن تبرأ منه الجماهير لتكون عصرية متقدمة». (القططاني، الولاء والبراء في الإسلام، ١٤١٣هـ، ص ٤٢١).

إن عدم العصرانية في نظر محرري الاستراتيجية سببها «غياب فكر قومي عربي متكامل، يجمع بين الأصالة والمعاصرة ويحقق لحركة التربية السرعة والإتساق». (١٣٢، ١٤٦).

ج- وجود القومية العربية قبل الإسلام وأثرها في التقدم والرقي.

إن القومية العربية قبل الإسلام موجودة «لhma ودما ولغة وأرضاً». (باشميل، القومية في نظر الإسلام، ١٣٧٩هـ، ص ١٥).

فهل استطاعت أن تتحرك بأصحابها نحو الرقي والتقدم قيد أملة؟ كلا! لكن لما جاء الإسلام «وصار ديناً للقومية العربية عظم شأنها واتسعت رقعتها وسيطر رجالها بفضل الإسلام لا بفضلها على أكثر بقاع المعمورة». (باشميل، ١٣٧٩هـ، ص ١٥).

نعم إن الإسلام هو الذي رفع من شأن العرب ولو لا الإسلام «لباقي العرب الأولون قبائل تائهة في صحراء الجزيرة ولما سجل لهم التاريخ إلا سطوراً تافهة في زاوية مهجورة من صحائفه». (الغزالى، ١٣٩٧هـ، ص ٩).

إن الرسالة «التي شرفت بها العروبة ليست زعماً بمنقاوة دم أو وهما بكرامة العنصر، كلا!». (الغزالى، حقيقة القومية العربية، ١٣٩٧هـ، ص ٦٥).

فالعرب لم يكن لهم ذكر ولم يعرف العرب «العزّة والسؤود إلا بالإسلام الذي جعل منهم أمة ذات شأن تهابها الملوك وتتساقط أمامها التيجان». (الشريف، الإسلام على حلبة الصراع، دراسة لأوضاع العالم المعاصر، ١٤١٣هـ، ص ٦٨-٦٩).

ولنفرض أن القومية العربية «منهج وعقيدة تمتاز بخصائص التقدم وعناصر

الإرتقاء وتنحى العرب العظمة والقوة من حيث كونهم عرباً ودون أن يحتاجوا إلى عقيدة خارجية موجهة لبقي "أبو جهل" و "أبو لهب" وأضرابهما إلى الأبد ملء سمع التاريخ وبصره». (باشميل، القومية في نظر الإسلام، ١٣٧٩هـ، ص ١٦).

لقد كانت عند العرب القومية والعصبية لكن الذي مرغ خدوthem يوم بدر في التراب ليس هو «مقاومتهم للقومية العربية بل كانوا أحقر الناس على العروبة وإنما الذي فعل بهم ذلك هو ثورتهم العنصرية باسم العروبة وحدها في وجه العقيدة الإسلامية التي جاءت لتساوي بين شعوب العالم وتجعل منها شعوباً واحداً يدين بعقيدة واحدة». (باشميل، ١٣٧٩هـ، ص ١٧).

يقول "أبو الحسن الندوبي" (١٤٠٨هـ) واصفاً العلاقة التي تربط بين العرب والإسلام في كتابه "العرب والإسلام" قائلاً «عقد الله بين العرب والإسلام للأبد وربط مصير أحدهما بالآخر فلا عز للعرب إلا بالإسلام ولا يظهر الإسلام في مظهره الصحيح إلا إذا قاد العرب ركبها وحملوا مشعله». (ص ٦)،

ويلفت "الندوبي" (١٤٠٨هـ) أنظار العرب المسلمين إلى طريق العزة والكرامة والسؤدد الذي جعل منهم أمة ذات شأن قائلاً: «هل كان للعرب أن يمثلوا هذا الدور العظيم الذي مثلوه في العالم وأن يشغلوا سمع الزمان وبصره وأن يغيروا مجرى التاريخ لو لا هذه الرسالة السماوية التي تسمى الإسلام ولو لا هذا الكتاب العظيم الذي يعرف بالقرآن ولو لا بثهم لهذه الدعوة وجهادهم في سبيلها». (ص ٨٥).

لقد وصف الله العرب بأنهم كانوا قبل الإسلام لفي ضلال مبين وسجل التاريخ خطبة الرسول عليه الصلاة والسلام يوم خاطب بها الأنصار يوم حنين حيث قال: «يا معاشر الأنصار ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي؟ وعاللة فاغناكم الله بي؟». (مسلم، الصحيح، ١٩٧٥هـ)، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام، ٧٣٨/٢، حديث رقم (١٠٦١).

فهل يستطيع القوميون العرب أن ينكروا هذه الحالة التي كانت سائدة بين العرب فهم على ضلاله في عبادة الله حيث كانوا يعبدون الأوثان ويئدون البناء فيها هو الصحابي الجليل "أبو جعفر بن أبي طالب" رضي الله عنه يوضح كيف كان حال

العرب قبل الإسلام بقوله لا يكن معارضتها أو نفيها أو نقضها بين يدي بخاشي الحبشه قائلاً: «أيها الملك! كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل منا القوي الضعيف». (ابن هشام، السيرة، ٤١٥/١).

فهل يتباهى القوميون العرب بهذه القومية التي اتصف بها أجدادهم بأنهم كانوا قطاع طرق ووائدية البنات وهل القوميون العرب الجدد لهم مصدر غير هذا؟ إن هذا العار وشمار في وجهعروبيين ومن يتغنى بالعروبة دون الإسلام. «إن هذا الشرف المتاح للعروبة لم يجئها من نفسها الأرضي، بل جاءها من رسالتها السماوية، فإن أجناس البشر لا يرجح بعضها البعض الآخر بشيء. وما يظن أنه جنس ما من أنه أرقى من جنس آخر محض هراء... . ويوم نفخر بأننا عرب وحسب فإننا نسقط عن المكانة التي رشحنا لها ونعطي الآخرين الحق في الابتعاد عنا ونخون بذلك الأمانة التي وكلها الله إلينا». (الغزالى، حقيقة القومية العربية، ١٣٩٧هـ، ص ٢٣-٢٤).

ومن هنا يجد المرء المسلم أن العروبة ليست «تعصباً جنسياً لدم من الدماء أولون من الألوان». (الغزالى، ١٣٩٧هـ، ص ٩٠)، فالعروبة «لم تنفح فيها الروح وتبرز إلى الحياة العالمية إلا مع الإسلام، أما قبل الإسلام فوجودها الأدبي صفر وجودها المادي فوق الصفر». (الغزالى، ١٣٩٧هـ، ص ١٠٥).

إن العروبة في نظر القوميين العرب الجدد هي «انتماء لكل نحلة والتقطاط من كل مائدة واصطياد للأفكار والتقاليد من كل بلد شيء واحد محظوظ على العروبة في نظر أولئك الناس أن تنتسب إلى ولدي نعمتها الفذ أو تلوذ بسياج بقائهما الخالد أو تقتربن بالإسلام ومن هنا تصدر رسائل وتلقى خطب وتؤلف كتب تتساوق جمیعا نحو هذه الغایة الوضيعة، جعل القومية العربية لا إسلام لها». (الغزالى، ١٣٩٧هـ، ص ١٣٩-١٤٠).

من أجل ذلك ينبغي على الأمة الإسلامية أن تسرع إلى تصحيح الواقع المنحرف مستهدية بمبادئ الإسلام في وصل ما انقطع من أمجادها ونظم ما انتقض من مصالحها وتوعية الإنسان المسلم على أن المجتمعات القومية التي تبنتهَا

الاستراتيجية وهي اللغة والثقافة والأرض والتاريخ والمصالح المشتركة والمصير ليست تحت رابطة الإسلام ولا داخله وهذا ما يؤكده "باشميل" (١٣٧٩هـ) في كتابه "القومية في نظر الإسلام" قائلًا: «إن أساس الدعوة القومية العربية اليوم هو إبعاد الإسلام عن معرك حياة العرب السياسية والإجتماعية والتربوية والتشريعية؛ لأنهم يرون أن رابطة اللغة والجنس أقدر على جمع كلمة العرب من رابطة الدين لذلك عملوا منذ البداية على أن يكون طابع الدعوة هذه طابعاً قومياً، بعيداً كل البعد عن أي تأثير ديني كما هو شأن الحركات القومية في أوروبا التي لم تكن حركة القومية العربية إلا صدى لها كما هو واضح من فلسفات هذه القومية». (ص ٤٠-٤١).

ويؤكد "محمد الغزالي" (١٣٩٧هـ) في كتابه "حقيقة القومية العربية" أنها شيء مستحدث و«أن إحياء فكرة العروبة على أنها شيء بديل عن الإسلام تفسير للعروبة لم يعرفه العرب ولا المسلمون خلال تاريخهم كله ولم يبرز خلال السنين الأخيرة إلا مع دسائس التبشير ومكره البالغ بالأجيال الحائرة التي نبتت في ظلاله الداكنة، وأي نجاح للحروب الصليبية أعظم من أن ينسلخ المسلمون عن دينهم . . . وأن يحبسو كتاب ربهم وسنة نبيهم في خزائن موصودة فلا تكون لهم رسالة». (ص ١٨٣).

إن المقومات والأسس التي تقوم عليها القومية العربية والتي ردتها الاستراتيجية في غير ما موضع يقول عنها» "محمد قطب" ، (١٤٠٥هـ) في كتابه "مذاهب فكرية معاصرة": إنها أسس لا خيار فيها للإنسان فهو يولد في أرض معينة ويتكلم بلغتها ويشرك مع أبناء قومه في الجنس، وفي المصالح المادية القاهرة أما الأسس التي يكون للإنسان فيها خيار فالقومية تنبذها وهذا يعني نبذ الالتزام بالعقيدة الإسلامية وما ينبع عنها، وبالتالي لا يتفضل الناس فيها على أساس الإيمان والكفر فتراهم منحرسين داخل حدودهم بحثاً عن المصالح القومية. (ص ٥٦٢).

د - الغربيون والقومية العربية.

إن الواقع يشهد بأن القومية العربية ليست إلا نبتة غريبة غريبة عن المجتمع الإسلامي وهي طارئة عليه وقد أدرك الغربيون أثر القومية في تفتيت الوحدة

الإسلامية فعملوا على ترسيخها ونشرها في مجتمعاتنا الإسلامية ليبقى العالم الإسلامي شيعاً وأحزاباً يسهل ابتلاعه والإنقضاض عليه واحداً تلو الآخر، وهذا هي أقوال لبعض الغربيين تؤكد هذا الواقع المرير:

يقول "برنارد لويس": «كل باحث في التاريخ الإسلامي يعرف قصة الإسلام الرائعة في محاربة الأوثان منذ بدء دعوة النبي، وكيف انتصر النبي وصحابه، وأقاموا عبادة الإله الواحد التي حلّت محلّ الديانات الوثنية لعرب الجاهلية وفي أيامنا هذه تقوم معركة مماثلة أخرى ولكنها ليست ضدّ "اللات" و"العزى" وبقية آلهة الجاهلية بل ضدّ مجموعة جديدة من الأصنام اسمها "الدولة" أو "العنصرية" أو "القومية" . . . فإدخال هرطقة العلمانية أو عبادة الذات الجماعية كانت أفعز المظالم التي أوقعها الغرب على الشرق الأوسط ولكنها مع ذلك كانت أقلّ المظالم ذكراً وإعلاناً». (العبود، فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام، ١٤٠٢هـ، ص ٢٧٤).

أما "ارنولد تويني" الذي سبر الحركات القومية في الغرب فيقول: «ولكن القومية لا تستطيع أبداً أن توحد الإنسانية بل إنها توزعها وتشتت شملها ومن أجل ذلك ليس لها مستقبل وأنها لا تستطيع إلا أن تدفن الإنسانية في ركامها». (الندوي، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية، ١٣٨٨هـ، ص ١٦٧).

ويؤكّد "برنارد" على أنّ "اللبرالية والفاشية والوطنية والقومية والشيوعية، والاشتراكية كلّها أوروبية الأصلّ مهما قلّتْها وعدلّها أتباعها في الشرق الأوسط". (العبود، ١٤٠٢هـ، ص ٣٦٥).

نعم لقد سلك أعداء الإسلام مسالك شتى لإطفاء نور الله ومحاولة القضاء عليه عن طريق المستشرقين والتغريب والاحتلال هادفين إلى طمس الهوية الإسلامية في نفوس الناشئة، فها هو "لورانس" يعبر عن هذا الهدف الخبيث في تقريره للمخابرات الإنجليزية قائلاً: «إن أهدافنا الرئيسية تفتتت الوحيدة الإسلامية بدر الإمبراطورية العثمانية وتدميرها، وإذا عرفنا كيف يعامل العرب فسيبقون في دوامة الفوضى السياسية داخل دوليات صغيرة جامدة متنافرة غير قابلة للتماسك». (الميداني، أجنحة المكر الثلاثة، ١٤٠٧هـ، ص ٣٣٠-٣٢٩).

وهذا هو فعلاً ما حصل حيث أثاروا النعرات الطورانية التركية والنعرات القومية العربية مما أدى إلى سقوط الخلافة الإسلامية وانقسامها على بعضها إلى دواليات متنافة كل يفتخر ببني جنسه وقومه ويؤكد هذه الحقيقة المرة "أبا إبيان" وزير خارجية العدو الإسرائيلي سابقًا قائلاً: «يحاول بعض الرعماء العرب أن يتعرف على نسبة الإسلامي بعد الهزيمة الأخيرة أي نكسة ١٩٦٧م» وفي ذلك الخطر الحقيقي على إسرائيل؛ ولذا كان من أول واجباتنا أن تبقى العرب على يقين راسخ بنسبهم القومي لا الإسلامي». (الكيلاني، الخطر الصهيوني على العالم الإسلامي، ص ٢٥٧ هـ، ١٤٠٩).

و«الحقيقة أن هؤلاء العروبيين الحاقدين على الإسلام المنحرفين على صراطه المستقيم شر مستطير علىعروبة نفسها». (الغزالى، حقيقة القومية العربية، ١٣٩٧ هـ، ص ١٨٨).

إن العرب «إذا نسبوا إلى قوميتهم لا يزيدون ولا ينقصون من سواهم من الأم ولكن الميزة التي ترفع قدرهم هي ما انفردوا بتقاديمه للحياة والإحياء من الإسلام، وأن هذه الرسالة التي حملها العرب أفاءات عليهم من الأمجاد والآلاء ما لا يحصيه عدده». (الغزالى، ١٣٩٧ هـ، ص ٥٧).

إن القومية العربية «ليست أكثر من جسم لا يمكن أن تكون له أية قيمة إلا بالروح وروح القومية العربية هي الإسلام وإن فبأي شيء تستطيع القومية العربية رفع رأسها إذا لم تعتمد على الإسلام كما اتضح من وصف "أبي جعفر بن أبي طالب" للعرب قبل الإسلام؟، وكيف كان حالهم؟. ومن هنا يستطيع الإنسان المسلم أن يقول لهؤلاء القوميين كفى تضليلًا للشعوب وكذبا وافتراء على التاريخ وافتئاتا على القومية العربية نفسها». (باشميل، حقيقة القومية العربية، ١٣٧٩ هـ، ص ٩٠).

ويوجز "باشميل" (١٣٧٩ هـ) الحديث عن التيارات الحديثة والتي تتفق «مع اختلافاتها» على شيء واحد هو مخاصمة الإسلام، ومن هذه الحركة القومية «والتي اندس أتباعها وصاروا يخاصمون الإسلام ويضعون الحواجز في سبيل دعوته باسم "القومية العربية" التي هي براء من كل من يدعوا بدعة لا تقوم على المبادئ الإسلامية؛ لأن كل دعوة تقوم في العالم العربي على أساس إهمال الإسلام هي قتل

للقومية العربية التي لا حياة لها إلا بالإسلام». (ص ٩٥).

ومحصلة القول إن «فكرة القومية العربية فكرة أوروبية نصرانية يهودية ولولم يكن من أمرها إلا أنها كذلك لكتفى كل ذي عقل رشيد أنه يرفضها ويرتاب بكل ما تروج به وتحسن من مغريات ومطامع لا تعدو أن تكون مصادف وحبائل ومكائد». (العبود، فكرة القومية على ضوء الإسلام، ١٤٠٢هـ، ص ٢١٧).

هـ - العرب والإسلام.

ولا يفهم من هذا أننا نحارب محبة العرب ونبغضهم فالعروبة هي وعاء الإسلام لكننا لا نستطيع أيضاً أن نذكر العروبة بلا إسلام أو إسلام بلا عروبة، فالدين أعلى من شأن العروبة وخلد أدبها والإسلام لا ينفك عن العروبة أبداً فثقافة الإسلام تقوم على دعامتين:

١ - «الدين بعلومه المختلفة». ٢ - «واللغة بفنونها المعروفة» وهذا الركنان يشد أحدهما الآخر ويمسكه فالإسلام بغير العربية يستعجم ويضمحل والعربية من غير إسلام تنكمش وتزول». (الغزالى، حقيقة القومية العربية، ١٣٩٧هـ، ص ١٩).

وإذا استقصى المرء القرآن الكريم يجد أن الدعوة "إلى العروبة كغاية . . ." لم ترد في القرآن المبين لفظة العروبة والعرب بعينها ولا يعثر المسلم في القرآن أن الله تعالى ناداهم بهذا اللفظ الخاص فلم يقل: «يا أيها العرب» أو «يا عرب» كذلك لا يجد أن الله تعالى أمر نبيه محمدا ﷺ بأن يناديهم بهذا اللفظ، فلم يقل: «قل يا أيها العرب» أو قل: «يا عرب» وإنما ورد «يا أيها الناس» و«يا بني آدم» و«يا أيها الذين آمنوا» و«قل يا أيها الكافرون». (العبود، ١٤٠٢هـ، ص ٢٢٣-٢٢٤).

والقرآن الكريم عند ما خاطب رسول الله ﷺ خاطبه بقوله تعالى: «يا أيها النبي» ولم يقل: «يا أيها العربي» أو «يا عربي» مع أن رسول الله ﷺ عربي صليبة «وذلك إشارة إلى أنه مخاطب بما هو أعلى وأعز بالرسالة وبالنبوة لا بالعروبة والعربية». (العبود، ١٤٠٢هـ، ص ٢٢٤).

ولا يفهم من هذا أيضاً أن القرآن بحاجة إلى لغة العرب وإلى العرب «بل العكس هو الصحيح، أي: أن اللغة العربية بحاجة إلى القرآن لتبقى وتشرف والعرب هم المحتاجون إلى أن يحملوا القرآن الكريم؛ لأنه ذكرهم وشرفهم كما قال

تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلَقُوْمَكَ﴾ (الزخرف ، ٤٤) «وما تبوا العرب مكانهم القيادي في العالم كله ولن يتبوأ بذلك إلا بالقرآن كما شهد بذلك الأعداء فضلاً عن أهل القرآن». (العبد ، ١٤٠٢ هـ ، ص ٢٢٥-٢٢٦).

وبما أنه ليس في القرآن ولا في السنة الشريفة دعوة إلى العروبة ولا إلى العربية كغاية يتنهى إليها «فأعداء الإسلام ليسوا إلا أعداء للعربية على الحقيقة وإن زعموا أنهم أولياؤها، إذ بمواالة الإسلام توالى العربية وبعداورة الإسلام تعادي العربية حتماً، ومحبة العرب لذلك من الإسلام وليس معنى هذا الحب أن نجعلهم غاية أو أن نحبهم من دون الله ونعبدهم فنولي فيهم ونعادي لأجلهم مجرد كونهم عرباً وأن أشركوا أو تهودوا أو تنصروا كما يدعوا إلى ذلك دعاة القومية ولكن حبهم لله وفق شرعه ومن حدودها أن لا تخرجنا عن الإسلام بل تكون وسيلة لزيادة التمسك به» .
(العبد ، ١٤٠٢ هـ ، ص ٢٢٧-٢٢٨).

لقد أجمع أهل التاريخ وقالوا كلمتهم وهي «أعز الله العرب بالإسلام وما بعدوا عنه ذلوا وانحطوا». (العبد ، ١٤٠٢ هـ ، ص ٣٥).

ويفهم من هذا أن الإسلام لا يرتبط بجنس من الأجناس وإنما يرتبط الإسلام بمن «أقام أحكامه ولو كان عبداً أسود». (الخراشي ، محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة ، ١٤١٣ هـ ، ص ٤١٨) أي : لا يلزم من فضل العرب أن يرتبط الإسلام بهم». إن التاريخ لم يشهد «أخوة أمتن ولا أظهر ولا أبعد عن الأغراض ولا أعمق من هذه الإخوة الإيمانية . . . "فقد" حاربت القبائل المتناثرة بالأمس تحت راية "المثنى بن حارثة" . . . » و«حاربت الأمم والشعوب والمعادية المتباudeة بالأمس تحت راية "صلاح الدين الأيوبي" . ألم يكن ذلك كله معجزة الإسلام؟ . . . ألا تزال العقيدة الإسلامية والرسالة المحمدية تجتمعان أبداً وشعوباً من أعظم الأمم والشعوب تبعاداً في الأوطان واختلافاً في اخضارات الثقافات وتتنوعاً في الألسنة واللغات؟ هل توجد مجموعة بشرية تختلف في الألوان هذا الاختلاف وتحد في العقيدة والغاية النفسية هذا الاتحاد؟». (الندوي ، العرب والإسلام ، ١٤٠٨ هـ ، ص ٨٢-٨٣).

إن الباحث ليؤكد على أن العرب هم أفضل الأجناس ويفضلون على غيرهم كما صرحت بذلك "ابن تيمية" (د. ت) في كتابه الموسوم "اقتضاء الصراط المستقيم

مخالفة أصحاب الجحيم" قائلًا: "أن التفضيل يكون بالعلم النافع والعمل الصالح، وأنه لا سبيل إلى فهم الدين إلا باللسان العربي وأن الحب والبغض إنما يكون على الإسلام وضده، فكم من عربي صحيح في نسبة عجمي في صفاته ودينه". (ص ١٦٠-١٦٧).

«ولكن لا يلزم من الاعتراف بفضلهم أن يجعلوا عماداً يتكل حوله ويوالى عليه ويعادى عليه إنما ذلك من حق الإسلام الذي أعزهم الله به وأحيا ذكرهم ورفع شأنهم بهذا اللون وهذا اللون، ثم هذا الفضل الذي امتازوا به على غيرهم وما من الله به عليهم من فصاحة اللسان ونزول القرآن الكريم بلغتهم وإرسال الرسول العام بلسانهم ليس مما يقدم لهم عن الله في الآخرة ولا يوجب لهم النجاة إذا لم يؤمنوا ويتقووا وليس ذلك أيضاً يوجب تفضيلهم على غيرهم من جهة الدين، بل أكرم الناس عند الله أتقاهم . . . بل هذا الفضل عند التحقيق يوجب عليهم أن يشكروا الله سبحانه أكثر من غيرهم وأن يضاعفوا الجهود في نصر دينه الذي رفعهم الله به، وأن يوالوا عليه ويعادوا عليه دون أن يتلفتوا إلى قومية أو غيرها.

من الأفكار المسمومة والدعوات المشؤومة، ولو كانت أنسابهم وحدها تنفعهم شيئاً لم يكن "أبو لهب" وأضرابه من أصحاب النار، ولو كانت تنفعهم بدون الإيان» (الخراشي، محمد عمارة في ميزان الإسلام، ١٤١٢هـ، ص ٤٢١)، لم يقل لهم النبي ص في الحديث الصحيح «يا معاشر قريش أو كلمة نحوها اشتروا أنفسكم من الله لأنتم عنكم من الله شيئاً». (البخاري، الجامع الصحيح، ١٣٧٩هـ، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: «وَأَنذِرْ عَيْشَرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ»)، ٨/٣٨٦.

إن هذه القومية التي تبنتها الاستراتيجية هي قومية علمانية «يحرص دعاتها على أن يكون لها لواء ليس له طابع ديني، وإنهم لذلك لا يرضون عن أية حركة تظهر في العالم العربي تسير حسب المخطط الإسلامي». (باشميل، القومية في نظر الإسلام، ١٣٧٩هـ، ص ٩٧).

يؤكد "أبو الحسن الندوبي" (١٤٠٨هـ) في كتابه "العرب والإسلام" «أن الأمم . . . لا تعيش بالحضارات ولا تعيش باللغات وإذا عاشت كانت حياتها قصيرة ومصطنعة وسطحية، إن الأمم تعيش بالرسالات». (ص ٩١).

فالعرب بغير الرسالة لا حياة لهم بدونها، ولما كانت الرسالة المحمدية هي الحاكمة والسيطرة على المسلمين جمعت أجناساً متعددة الألوان واللغات فقد اجتمع «في المجتمع الإسلامي المتتفوق العربي والفارسي والشامي والمصري والمغربي والتركي والصيني والهندي . . . إلى آخر الأقوام والأجناس وتجمعت خصائصهم كلها لتعمل متمازجة متعاونة متناسقة في بناء المجتمع الإسلامي والحضارة الإسلامية ولم تكن هذه الحضارة الضخمة يوماً ما "عربية" وإنما كانت دائماً "إسلامية" ولم تكن يوماً ما "قومية" وإنما كانت دائماً "عقيدية"». (قطب، معالم في الطريق، ١٤١٢هـ، ص ٥٩).

و- ما يسمى بمقومات القومية:

بالرجوع إلى الاستراتيجية العربية لتطوير التربية يجد المرء أن مقومات القومية العربية تعددت ووصلت إلى أربع عشرة مقوماً منها:

- ١ - رابط الوطن الواحد ورد في ص: ٢٢٨، ٢٤
- ٢ - رابط اللغة الواحدة ورد في ص: ٢٢٨، ٣٣، ١٢٥، ١٠٤، ٢٤
- ٣ - رابطة العقيدة ورد في ص: ١٢٥، ١٠٤، ٧٥، ٢٤
- ٤ - رابطة الثقافة السائدة ورد في ص: ٢٢٨، ٣٣، ١٢٥، ١٠٤، ٢٤
- ٥ - روابط التاريخ المشترك ورد في ص: ٢٢٨، ١٠٤، ٢٤
- ٦ - النضال المتكامل ورد في ص: ٢٤
- ٧ - المصالح المشتركة ورد في ص: ٢٢٤، ٢٦٠، ٣٣، ١٠٤، ٢٤
- ٨ - الإرادة المتألفة ورد في ص: ٢٢٤، ٢٤
- ٩ - المصير الواحد ورد في ص: ٢٢٨، ٢٢٤، ٢٦٠، ٣٣، ١٠٤، ٢٤
- ١٠ - وحدة الأمة أقوى من العقيدة ورد في ص: ٢٤
- ١١ - وحدة الشعور ورد في ص: ١٠٤
- ١٢ - وحدة الفكر ورد في ص: ٢١٠
- ١٣ - عراقة الحضارة ورد في ص: ٢٢٥
- ١٤ - وحدة الهدف ورد في ص: ٢١٠

ويلاحظ القارئ أن هذه المقومات كلها لا دخل للإنسان في الاختيار منها ماعدا العقيدة الإسلامية فمثلاً رابطة الوطن الواحد يجد المرء أن حب الوطن غريزة متأصلة في نفوس البشر تجعل الإنسان يستريح إلى وطنه ويحن إليه إذا غاب عنه ويدافع عنه إذا هوجم، ولكن يعرف ولو "الأباب" «أن الأرض ملك الإنسان وليس الإنسان ملك الأرض وأن المرء قد يخسر هذه الأرض التي يعيش عليها في ظروف حرب وساعات هزيمة، ولكنه يستعيدها ليحيا فوقها... في أي بلد يوجد وعلى أي أرض نحيا ليس لنا إلا رب واحد هو الله جل شأنه... وولا ونا النفسي وسلوكنا العام ينبغي جسنان من هذا الإيمان السماوي المensus». (الغزالى، حقيقة القومية العربية، ١٣٩٧هـ، ص ١١٠).

إن دعاء الرابطة الأرضية يصطدمون بواقع الأرض العربية نفسها والتي عاش فيها أجناس وشعوب متباينة في فترات من التاريخ مثل الفراعنة وغيرهم فهل نشعر نحن المسلمين بأي شعور يربطنا بهذه الشعوب، فدعاة هذه الفكرة الأرضية عندهم ضيق أفق وخرجوا على الناس بفكرة لا تتمشى مع أبسط العقول السليمة ولا تلتقي مع المنطق المتزن الحكيم. (علوان، القومية في ميزان الإسلام، ١٤٠٤هـ، ص ٢٣).

ذ - مضار الوطنية والقومية من منظور التربية الإسلامية.

وإذا وسع المرء نطاق دائرة المناقشة في مسألة الوطنية التي تعتبر الوثنية الخديئة في العالم العربي والتي «هي تقدس الوطن بحيث يصير الحب فيه والبغض لأجله، والقتال من أجله وإنفاق الأموال من أجله حتى يطغى على الدين وحتى تحل الرابطة الوطنية محل الرابطة الدينية». (العلياني، أهمية الجهد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطائف الضالة فيه، ١٤٠٥هـ، ص ٤١). فسيصل حتماً إلى أن مفهوم الوطنية هو مفهوم غربي ويكثر ترديده في الغرب لأمرین:

- أ - «تفتت وحدتنا وتقسيمنا إلى قوميات وأجناس مختلفة تتصارع فيما بينها.
- ب - التأثير في هذه الوطنية الضيقة يجعل مفاهيمها غريبة وبذلك يكن استعمارها بسهولة والإنتفاع بما فيها من خيرات». (القاضي، المفاهيم الأساسية في التربية الإسلامية، ١٤٠٧هـ، ٢/ ٥٤٧-٥٤٨).

إن تقدس الوطنية يعتبر من شعار الجاهلية التي نفر منها سيد الخلق محمد ﷺ

بل إن تقديم الوطن على الدين يعتبر كفراً صريحاً لا يحتمل التأويل لما يلي :

- ١ - مواد الكافرين ومعاداة المسلمين فالمسلم المصري مثلاً سبواه وسبواه المصري الكافر ويعاديان جميعاً التركي المسلم فالله يقول : ﴿إِنَّمَا وَلِتُكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ (المائدة: ٥٥)، ولو أخذ المسلم بالوطنية لأصبح المواطنون المؤمنون والكافرون أولياء، فموالاة الكفار واليهود والنصارى محادلة لله «الMuslim أخو المسلم». (مسلم، الصحيح، (١٣٧٥هـ)، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، حديث رقم ٢٥٨٠).
 - ٢ - تقديم الوطن على الدين يستلزم أن يكون الإسلام معلينا عليه بالقوانين الكافرة التي يقرها اليهود والنصارى.
 - ٣ - تقديم الوطن على الإسلام يستلزم منه تعطيل الجهاد واقتصار الحروب على الدفاع عن الوطن وفي هذا نبذ للإسلام وأحكامه وإحياء للشعارات الجاهلية المؤدية ب أصحابها إلى النار.
 - ٤ - تقديم الوطن على الإسلام مناقض لإرادة الله من إرسال الرسل وإنزال الكتب الداعية إلى عبادة الله وحده والدخول في طاعته وموالاته أوليائه. (الخرافي، محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة، ١٤١٣هـ، ص ٤٠١).
- يؤكد "محمد قطب" (١٤٠٥هـ) في كتابه "مذاهب فكرية معاصرة" بأن الدعوة إلى الوطنية لها أهداف هدامة منها :-
- أ - تحويل حركات الجهاد الإسلامي ضد المحتل الأجنبي إلى حركات وطنية لا تنظر إلى العدو على أنه صليبي مستعمر ولكن على أنه مستعمر فقط.
 - ب - تحويل حركات الجهاد الإسلامي إلى حركات سياسية عن طريق تحويلها إلى حركات وطنية يمكن التفاهم معها بسهولة.
 - ج - تيسير عملية التغريب من خلال تحويل حركة الجهاد الإسلامي إلى حركات وطنية ليس لديها ما يمنعها من الأخذ من أفكار وأنماط وسلوك من تحارب.
- (ص ٥٧٧-٥٧٨).

إن حب الوطن شيء فطري مركوز في النفوس ولا يعاب على المرء أنه يحب وطنه والإسلام لم ينف هذه الغريزة بل هذهبها ووضع لها معايير محددة لا يتجاوزها

بحيث لا تطغي على رابطة العقيدة والدين الذي جاء به محمد ﷺ. فالرسول ﷺ ثبت عنه أنه قال متحدثاً عن مكة بلده بعد ما أخرج منها: «والله إِنك لخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ وَأَحَبُّ أَرْضَ اللَّهِ إِلَيْيَّ وَاللَّهُ لَوْلَا أَنِّي أَخْرَجْتُ مِنْكَ مَا خَرَجْتُ». (ابن ماجه، السنن، د.ت، كتاب المذاهب، باب فضل مكة، ١٠٣٧/٢، حديث رقم ٣١٠٨).

ولكن قد يتساءل المرء قائلاً لماذا لا يحب المرء الوطن الذي يعيش فيه، كما كان رسول الله ﷺ يحب وطنه مكة ويحن إليها؟ وللدليل عليه يقال له: هل حب رسول الله ﷺ لبلده منعه من مقاتلة أهله؟ كلاً إن أحداً لم يقل إن أهل مكة «هم بذلك ووطنك فذرهم على كفرهم وتعاون معهم في نصرة هذا الوطن لم يقل أحد هم هذا؛ لأن الجميع يعلمون أن حب الوطن شيء ثانوي بجانب إقامة دين الله ولا ينبغي تقديمه عليه أو حتى مساواته به فكيف إذا الغيت رابطة العقيدة بالمرة».

(الخرافي، محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة، ١٤١٣هـ، ٣٨٦).

إن الوطنية أصبحت آلها تعبد من دون الله وأصبح لها في القلب محبة أعظم من محبة الله سبحانه وتعالى، فالله «يأمر أن تكون رابطة الدين هي العقيدة ولكن القومية أو الوطنية تأمر باستبعاد العقيدة من قاعدة التجمع وأن يكون الجنس أو القوم هو القاعدة! فمن الإله الذي تتبع أوامرها؟ أهو الله سبحانه أم هي الآلهة المدعاة»

(قطب، في ظلال القرآن، ١٣٩٣هـ، ٣/١٤١٣).

إن مفارقة الوطن في سبيل العقيدة التي يدين بها المرء مندوب إليه وواجب في حق المرء فراراً بدينه وحفظاً على عقيدته يؤكدها ما ذهب إليه "ابن حجر" (١٣٨٧هـ) رحمه الله تعالى في كتابه "فتح الباري" «عند شرحه لحديث الوحي الطويل والذي قال فيه ورقة بن نوفل للرسول ﷺ: «يا ليتني فيها جذعاً أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال ﷺ: أو مخرجك هم؟». (البخاري، الجامع الصحيح ١٣٧٩هـ، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، ٢١/١، حديث رقم ٣).

قال "ابن حجر" (١٣٨٧هـ) في شرحه لهذا الحديث: «قال السهيلي: «يؤخذ منه شدة مفارقة الوطن على النفس فإنه ﷺ سمع قول ورقة: إنهم يؤذونه ويذبونه فلم يظهر منه انزعاج لذلك فلما ذكر له الإخراج تحركت نفسه لذلك لحب الوطن وإلفه فقال: أو مخرجك هم؟ قال: ويفيد ذلك إدخال الواو بعد ألف الاستفهام مع

اختصاص الإخراج بالسؤال عنه فأشعر بأن الاستفهام على سبيل الإنكار أو التفجع ويؤكّد ذلك عنه أن الوطن المشار إليه حرم الله وجوار بيته وبلدة الآباء من عهد إسماعيل عليه السلام». (فتح الباري، شرح صحيح البخاري، ٣٥٩/٢).

إن الوطنية فكرة يونانية وهي تعني إن العنصر اليوناني أفضل البشر والتربيّة تسعى إلى إيجاد المواطن الصالح لا الإنسان الصالح والاستراتيجية تدور في هذه الحلقة الضيقة، وتؤكد على أن من أهداف التربية ووظائفها إعداد المواطن الملائم نحو مجتمعه (ص ٢٢٨) ولتكون التربية حقاً تربية عربية يجب أن تكون عاملة على تكوين المواطن المتمثّل لشخصيّته القوميّة، (٢٤٩) وهذا تدور نصوص الاستراتيجية في تنمية الوطنية. إن هذه دعوة مرفوضة لأنها تربية باطلة أحدثها الغربيون لتفريق المسلمين، والإسلام يدعو إلى تربية المسلم الصالح الذي ينظر إلى المسلمين جميعاً بأنهم أخوة له في العقيدة لا يختلف عنهم في الحقوق والواجبات فالوطنية التي تقدس الأرض وتجعل ولاء الإنسان للتراب وتعبده وتنفاني فيه والعمل به تعتبر مستحدثة في حضارتنا وتاريخنا ولا نقرّها أو نرضى بها». (الغزالى، حقيقة القومية العربية، ١٣٩٧هـ، ص ١١٠).

إن فقهاء التربية الإسلامية أكدوا على أن «ما يجمع بين الناس أو يفرق هو العقيدة . . . وأنها هي الوشيعة التي تنبع منها سائر الوشائع، . . . وأن الأمة في الاصطلاح الإسلامي هي جماعة المؤمنين بهذه العقيدة في كل الأرض . . . وأن وشيعة النسب والقريبي وشيعة القوم والجنس وشيعة الأرض والوطن كل هذه الوشائع لا تقوم بذاتها رابطة تقوم عليها الأمة إذا انعدمت وشيعة العقيدة». (قطب، معالم في الطريق، ١٤١٢هـ، ص ١٥١).

إن القومية والوطنية شجرة خبيثة لا تنمو إلا في مجتمع ضعيف الإيمان، ضعيف الصلة بالله سبحانه وتعالى. وإن نماء هذه الوطنية والقومية يكون على حساب ضعف الإيمان وقوته فكلما كان مفهوم الإيمان صحيحاً وسليماً في المجتمع الإسلامي تضاءلت القومية والوطنية؛ لأن التصور والسلوك الصحيح لمفهوم الإيمان يقضي على ظاهرة الوطنية والقومية وكلما ضعف هذا التصور والسلوك لمفهوم الإيمان في نفوس الناشئة قويت القومية والوطنية على حساب الدين.

«إن عصبية العشيرة أو القبيلة أو القومية أو الطائفية عصبية صغيرة متخلفة، عصبية جاهلية عرفتها البشرية في فترات انحطاطها الروحي، وسماها رسول الله ﷺ "نَتْنَةً" بهذا الوصف الذي يفوح منه التقرز والأشمزاز». (قطب، معالم في الطريق، ١٤١٢هـ، ١٥٩)، يقول عليه الصلاة والسلام محدرا من حمية الجاهلية: «دعوها فإنها منتنة». (البخاري، الجامع الصحيح، ١٣٧٩هـ)، كتاب التفسير، سورة المنافقون، باب قوله تعالى : ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ﴾، ٣١٠ / ٣، حديث رقم ٤٩٠٥ و ٤٩٠٧.

إن الإسلام احتضن جماعات مختلفة الألوان والأجناس واللغات وكان الرعيل الأول فيه «أبو بكر العربي، وبلال الحبشي، وصهيب الرومي، وسلمان الفارسي . . . الجنسية فيها هي العقيدة والوطن فيها هو دار الإسلام والحاكم فيها هو الله والدستور فيها هو القرآن».

ف الوطن «الMuslim الذي يحن إليه ويدافع عنه ليس قطعة أرض وجنسية المسلم التي يعرف بها ليست جنسية حكم وعشيرة المسلم التي يأوي إليها ويدفع عنها ليست قرابة دم ورابة المسلم التي يعتز بها ويستشهد تحتها ليست راية قوم وانتصار المسلم الذي يهفو إليه ويشكر الله عليه ليس غلبة جنس . . . إنه النصر تحت راية العقيدة دون سائر الرايات . . . وكل أرض تحارب المسلم في عقيدته وتتصده عن دينه وتعطل عمل شريعته فهي "دار حرب" ولو كان فيها أهله وعشيرته وقومه وماليه وتجارته، وكل أرض تقوم فيها عقيدته وتعمل فيها شريعته فهي "دار إسلام" ولو لم يكن له فيها أهل ولا عشيرة ولا قوم ولا تجارة». (قطب، ١٤١٢هـ، ١٥٨-١٥٩).

إن هناك نماذج تطبيقية تؤكد مصداقية قول الشهيد سيد قطب السابق الذكر فالقرآن أعطانا نماذج على ذلك "فنوح" عليه الصلاة والسلام عاتبه ربه بقوله عن ولده ﴿إِنَّهُ لَيَسْ مِنْ أَهْلِكَ﴾ (هود: ٤٦). ووشیحة البنوة والوطن في قصة "إبراهيم" عليه الصلاة والسلام ما كانت حاجزة لأن يتبرأ "إبراهيم" عليه الصلاة والسلام من أبيه ﴿فَلَمَا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوَّ اللَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ (التوبه: ١١٤) وكذلك وشیحة الأهل والعشيرة والوطن في قصة أصحاب الكهف لم تمنعهم من الفرار بدينهم واعتزالهم ﴿وَإِذَا اعْتَزَلُتُمُوهُمْ فَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (الكهف: ١٦) ورابطة الزوجية في قصة امرأتي نوح ولوط وامرأة فرعون لم تكن مانعة من التميز

والتفاضل ليميز الله الخبيث من الطيب . فهذه النماذج تؤكد أن هذه الأمة الإسلامية التي يريدها الله سبحانه وتعالى «لا ترتبط بجنس ولا ترتبط بلغة ولا ترتبط بأرض ولا ترتبط بوطن إنما ترتبط بإيمان وعقيدة». (نجيب، الحركات القومية الحديثة في ميزان الإسلام، ١٤٠٣هـ، ص ٢٨).

إن التربية المحمدية استطاعت أن تكون رجالة من نوع جديد يفهمون حقيقة وجودهم من غير أفضليّة ولا تمييز حيث كانت دار "الأرقام بن أبي الأرقام" هي المشرب الصافي والمنهل العذب الذي من خلاله تخرج الرعيل الأول وسما في سلوكياته وأخلاقه إلى أوج العلى وتمكن عليه الصلة والسلام من إعادة تشكيل سلوك الجيل الفريد في التاريخ تشكيلاً يتناسب مع حجم الرسالة ومقداصها وأهدافها فكان هذا الرعيل الأول بحق خير أمة أخرجت للناس وترسخت مفاهيم العقيدة في نفوسهم فرقت وارتقت وتعالت مؤمنة بربها وبرسولها ومعتزة بإخوانها في العقيدة والدين .

ومن ثم «لم تكن هناك قومية عربية على عهده طَبَّلَه إِنَّا كَانَ إِلَّا إِسْلَامٌ وَحْدَه؛ لأن المؤمنين بهذا الدين ترفعوا عن هذه الحزبيات الضيقة بعد أن لمسوا واسعة الإسلام وأفاقه الواسعة، وأن آيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ تقرع أسماعهم في كل لحظة تنبّهم بأن الفضل للأتقى». (الخراسي، محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة، ١٤١٣هـ، ص ٤٠٨).

"إن القومية" مصطلحاً ومفهوماً «من مفاهيم الغرب ولا تصلح في إطار المنظومة الإسلامية لاختلافها في الجذور والأهداف وهي غير "العروبة" التي لها في ترابطها بالإسلام ترابط جذري وثيق وليس بينهما صراع أو تضاد فقد حفظ الإسلام للعرب شخصيتهم وأقام وحدتهم وحفظ لغتهم العربية ولسانهم العربي . . . ومن لا يعرف العربية لا يفهم الإسلام الصحيح والعروبة بلا إسلام لفظ بلا معنى والعرب بدونه جثة هامدة وكلها مكمل للآخر ومتتم له ويحتاج إليه كما يحتاج اللفظ إلى المعنى والشكل إلى المضمون». (الجندى، نحو بناء منهج البداول الإسلامية، ١٤١٠هـ، ص ٢٢٥-٢٢٦).

إن القومية تربى في نفس صاحبها خصلتين ذميمتين هما:

- ١ - كره القوميات الأخرى وبغضها ومقتها.
- ٢ - الخوف الدائم من القوميات الأخرى المنافسة لها فتري القومي دائمًا يعيش في حالة خوف وحقد على الآخرين . (الشريف، الإسلام على حلبة الصراع، ١٤١٣هـ، ص ٧١).

لقد أبطل الإسلام فوارق الجنس واللون والنسب والثروة والجاه والسلطان وجعل المساواة قائمة بين أفراد المجتمع في مختلف العبادات لا فرق بينهم إلا بالتفاني والعمل الصالح ، ومن هنا كانت المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار - وسيأتي مزيد إيضاح عنها في الصفحات القادمة- تهدف إلى القضاء على نزعات القبيلة وحزازات الجاهلية . (ابن هشام، السيرة، ٤١٥-٤١٨).

وما كانت هذه المؤاخاة التي أقامها رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار إلا من باب التقرب والدمج والقضاء على العصبية بين المهاجرين والأنصار ولم «يكن كما يbedo للقارئ لسيرته عليه الصلاة والسلام مجرد أريحية أو عمل خيري وتعاوني إنما هو أساس كبير لتوحيد أجزاء الأمة الإسلامية في مختلف مسالكها ومراحلها واتجاهها عبر التاريخ . إن هذا العمل الذي قام به الرسول ﷺ لتوحيد كلمة الأمة الإسلامية؛ لأنهم ركاب سفينة واحدة إذا اغرقت غرق أهلها جميعاً وعند ذلك لا ينفع الرزي القومي أو الوطني» . (الحسني، المنهج الإسلامي، ١٤٠٤هـ، ص ٧٨-٨٠).

أما القومية فهي تفرق ولا تجمع وتشتت ولا توحد وتهدم ولا تبني وتخرب ولا تصلح وإذا تربى عليها الأجيال الناشئة فسيكون دمار العالم العربي والإسلامي؛ لأن هذه التربية تخرج عينات مختلفة وشرائح مشتلة فكريًا فكل يتعصب لبني جنسه وقومه ويصبح المجتمع الإسلامي شيئاً وأحياناً لا تجمعهم كلمة ولا يوحدهم صفاً كل واحد يكن العداوة والبغضاء لأخيه المسلم بسبب هذه الدعوة الخبيثة، ولهذا تualaت الأصوات وانطلقت الصرخات تحذر من مغبة القوميات التي تنتشر كانتشار النار في الهشيم فتشير العداوات والحزازات وتنكع الجراحات وتفرق الجماعات .

ويصور «الحسني» (١٤٠٤هـ) مضار القومية وغيرها من الدعوات الهدامة بشيء محسوس يلمسه كل إنسان، فيقول: «إن شجرة القومية والانفصالية والعصبية القومية لا تنمو إلا في مجتمع ضعف فيه سيطرة الدين وزوال سلطانه عليه،

ولا يمكن التغلب عليها بإقليمية أو قومية مثلها أو أخبت منها فالذى خبث لا يخرج إلا نكدا، ومثل من يواجهه قومية بقومية وعصبية بعصبية وجاهلية بجاهلية كمن يضع أشواكا جديدة إلى جانب أشواك قدية بدلاً من أن يقيلها أو يزيلها وما رأيك في من يصب البترول على النار ثم يشكو من السنة النيران واللهيب والدخان». (المنهج الإسلامي، ص ٧٨).

ح - القومية عند بعض علماء المسلمين.

يذكر العالم المسلم "ابن باز" (١٤١١هـ) في كتابه "نقد القومية العربية على ضوء الإسلام" إن القومية العربية فكرة مرفوضة للأسباب التالية:

أولاً: «إن الدعوة إلى القومية العربية تفرق بين المسلمين وتفصل المسلمين العجمي عن أخيه العربي وتفرق بين العرب أنفسهم لأنهم كلهم ليسوا يرتضونها وإنما يرضها قوم دون قوم وكل فكرة تقسم المسلمين وتجعلهم أحزاباً فكرة باطلة تخالف مقاصد الإسلام وما يرمي إليه وذلك لأنه يدعو إلى الاجتماع والوئام والتواصي بالحق والتعاون على البر والتقوى». (ص ١١).

ثانياً: «إن الإسلام نهى عن دعوى الجاهلية وحذر منها . . . بل قد جاءت النصوص تنهى عن جميع أخلاق الجاهلية وأعمالهم إلا ما أقره الإسلام من ذلك، ولا يrib إن الدعوة إلى القومية العربية من أمر الجاهلية؛ لأنها دعوة إلى غير الإسلام ومناصرة لغير الحق، وكم جرت دعوى الجاهلية على أهلها من ويلات وحروب طاحنة وقودها الفسوس بالأموال والأعراض وعاقبتها تزيل الشمل وغرس العداوة والشحنة في القلوب والتفريق بين القبائل والشعوب». (ص ١٦-١٧).

ثالثاً: إن القومية العربية «سلم إلى موالة كفار العرب وملاحتهم من أبناء غير المسلمين واتخاذهم بطانة والاستئصال بهم على أعداء القوميين من المسلمين وغيرهم ومعلوم ما في هذا من الفساد الكبير والمخالفة لنصوص القرآن والسنة الدالة على وجوب بغض الكافرين من العرب وغيرهم ومعاداتهم وتحريم مواليتهم واتخاذهم بطانة». (ص ٢٧).

رابعاً: «إن الدعوة إليها والتكتل حول رايتها يفضي بالمجتمع ولا بد إلى بغض حكم

القرآن؛ لأن القوميين غير المسلمين لن يرضوا بتحكيم القرآن فيوجب ذلك لزعماء القومية أن يتخدوا أحكاماً وضعية تخالف حكم القرآن حتى يستوي مجتمع القومية في تلك الأحكام» (ص ٣٩).

أما «باشمبل» (١٣٧٩هـ) فيؤكد في كتابه "القومية في نظر الإسلام" بأن القومية العربية تعتبر شعوبية جديدة؛ لأن الشعوبين لا يبغضون العرب «لأنهم عرب قوميون وإنما يبغضون فيهم الإسلام ويكرهون فيهم النصال تحت راية القرآن وأنه لو لا الإسلام وحمل العرب رسالته لما كان هناك حقد عليهم أو كره لهم . . . والقومية العربية تكره التكتل حول الإسلام وتخرق الميثاق الإسلامي الذي يدعو إلى الأخوة الإيمانية». (ص ٦٢).

والقومية هي حكم بغير ما أنزل الله سبحانه وتعالى ولهذا يوجب القوميون موالاة أعداء الله وشعارهم هو "الدين لله والوطن للجميع" أي: جعل إخوة الوطن مقدمة على إخوة الدين وتعتبر القومية العربية ديناً جديداً وشركاً بالله سبحانه وتعالى.

أما العالم المسلم "عبد الله بن ناصح علوان" (١٤٠٤هـ) فيقول: «إن فكرة القومية كمبدأ وعقيدة تتنافي مع مبادئ الإسلام» (ص ٥٢).

ثم أخذ يعدد الأسباب التي تؤيد فكرته ويلخصها في النقاط التالية: -

- ١ - كون القومية فكرة مستوردة وافدة لا تمت إلى العقيدة الإسلامية بصلة أو سبب.
- ٢ - لكونها من العصبية ودعوى الجاهلية.
- ٣ - لكونها جاحدة أخوة الإسلام.
- ٤ - لكونها جاحدة حاكمية الإسلام.
- ٥ - لكونها جاحدة حضارة الإسلام. (ص ٥٢-٦٦).

إن التربية الإسلامية تؤكد على الأخوة الإيمانية وتجعلها قاعدة أساسية للتمايز والتفاضل بين الناس «فلا العصبيات القومية أو النتن القبلي القائم على أساس الدم واللحم والنسب والعرق واللون تفرقهم ولا الحدود الأرضية المصطنعة أو الإقليمية الضيقة تشكل عقبة أمام وحدة كلمتهم، بل عدّ الإسلام المقاتلة أو التجمع على

أسس القوميات والعصبيات الجاهلية أو الهتاف بها والتناصر عليها أو محاولة بعث الحركة فيها وإحياء هارذيلة وافسادا وردة عن الإسلام ورجعة إلى الجاهلية والكفر». (اماًلاجـه، المسـألـةـ الـقـومـيـةـ بـيـنـ الجـاهـلـيـةـ وـالـإـسـلـامـ، ١٤٠٣ـهـ، صـ ٩١ـ).

وهـنـاكـ نـصـوصـ كـثـيرـةـ تـضـافـرـتـ فـيـمـاـ بـيـنـهـاـ لـتـأـكـيدـ عـلـىـ الـأـخـوـةـ الـإـيمـانـيـةـ وـبـذـ القـومـيـاتـ وـالـعـصـبـيـاتـ الـجـاهـلـيـةـ.

ثالثاً: الأخوة الإيمانية وأثرها في تماست المجتمع الإسلامي:

سيقدم الباحث هنا أدلة من القرآن والسنة يفهم من خلالها أن الأخوة الإيمانية هي القاسم المشترك بين مختلف الفئات والأجناس والألوان ما دام الجميع قد دخلوا في دين الله سبحانه وتعالى ثم يردف الباحث بعد هذا نموذجاً مشرقاً وصورة تطبيقية في مجال الأخوة الإيمانية، وهو التأخي بين المهاجرين والأنصار والذي يعتبر ركيزة مهمة في بناء الدولة الإسلامية والفرد والمجتمع

١- القرآن الكريم ودعوته إلى الأخوة الإيمانية:

ورد النهي عن القومية والعصبية في نصوص القرآن الكريم وهي كثيرة منها:
 أ - بما أن القومين يوالون أعداء الإسلام فهذه الولاة لكل البشر تعتبر مخالفـةـ للـدـينـ وـالـعـقـيـدةـ،ـ والـقـرـآنـ حـذـرـ مـنـ مـثـلـ هـذـهـ الـمـوـالـةـ بـقـوـلـهـ:ـ «لَا تَجـدـ قـوـمـاـ يـؤـمـنـوـنـ بـالـلـهـ وـالـيـمـىـمـ الـأـخـيـرـ يـوـادـوـنـ مـنـ حـادـ اللـهـ وـرـسـوـلـهـ»ـ (المجادلة: ٢٢ـ).ـ فـهـذـاـ دـلـيـلـ عـلـىـ أـنـ الـمـؤـمـنـ لـاـ يـوـالـيـ إـلـاـ الـمـؤـمـنـ،ـ قـالـ تـعـالـىـ:ـ «وـالـمـؤـمـنـوـنـ وـالـمـؤـمـنـيـتـ بـعـضـهـمـ أـوـلـيـاءـ بـعـضـ»ـ (التوبـةـ: ٧١ـ).ـ وـأـكـدـتـ الـآـيـةـ الـقـرـآنـيـةـ هـذـاـ بـقـوـلـهـ:ـ «إـنـاـ وـلـيـكـمـ اللـهـ وـرـسـوـلـهـ وـالـذـيـنـ أـمـنـوـاـ الـذـيـنـ يـقـيـمـوـنـ الـصـلـوةـ»ـ (المائدة: ٥٥ـ)،ـ فـالـآـيـةـ قـصـرـتـ الـوـلـاـيـةـ عـلـىـ الـمـؤـمـنـيـنـ الـمـقـيـمـيـنـ لـلـصـلـوةـ.

فـهـذـهـ الـوـحـدـةـ الـدـينـيـةـ هـيـ التـيـ يـغـبـطـنـاـ عـلـيـهـاـ أـعـدـاءـ الـإـسـلـامـ حـتـىـ إـنـ "ـأـرنـولـدـ توـينـبـيـ"ـ يـقـوـلـ:ـ "ـإـنـ مـنـ أـهـمـ الدـرـوـسـ التـيـ يـمـكـنـ لـلـغـرـبـ أـنـ يـأـخـذـهـاـ مـنـ الـإـسـلـامـ إـيجـادـ الـأـخـوـةـ وـالـمحـبـةـ بـيـنـ الـأـجـنـاسـ الـمـخـلـفـةـ وـالـشـعـوبـ الـمـتـبـاـيـنـةـ"ـ.ـ (ـالـشـرـيفـ،ـ الـإـسـلـامـ،ـ عـلـىـ حـلـبـةـ الـصـرـاعـ،ـ ١٤١٣ـهـ صـ ٧٢ـ).

ب - يقول الله تعالى: «إـنـاـ الـمـؤـمـنـوـنـ إـخـوـةـ»ـ (الـحـجـرـاتـ: ١٠ـ).ـ فـفـيـ الـآـيـةـ تـأـكـيدـ عـلـىـ أـنـ الـأـخـوـةـ الـإـيمـانـيـةـ أـبـلـغـ مـنـ أـخـوـةـ الـوـلـاـدـةـ لـأـمـورـ مـنـهـاـ:ـ

- ١ - بدأت الآية بالتأكيد على الأخوة الإيمانية بـ "إنما" المفيدة للحصر.
- ٢ - «إن أخوة الولادة منشأ الحياة ، وستتلهي وتزول بخلاف أخوة الإيمان فمنشأها البقاء والدوام في جنات الخلد».
- ٣ - إن أخوة النسب تنتقطع بخلافة الدين وأخوة الدين لا تنتقطع بخلافة النسب». (العبد، فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام، ١٤٠٢هـ، ص ٢٦٩).
- وهذه الآية تؤكد على أن «الرابطة الإيمانية والأخوة الإسلامية أكمل من أخوة النسب؛ فإن الله لم يقل إنما العرب أخوة». (العبد، ١٤٠٢هـ، ص ٢٧٠).
- ج - «الإسلام يعتبر كل دعوة إلى رابطة الجنس أو النسب أو العشيرة أو المصاهرة أو الوطنية أو المصالح المشتركة دعوة جاهلية»، (علوان، القومية في ميزان الإسلام، ١٤٠٤هـ، ص ٥٤-٥٥).
- ثم أخذ "علوان" يفتئن بهذه الدعاوى الجاهلية بما يسمى بـ "قوميات القومية" انطلاقاً من آية واحدة من كتاب الله قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ كَانَ أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَنَكُمْ﴾ «إشارة إلى رابطة الجنس والنسب».
- وفي قوله: ﴿وَأَزْوَاجُكُمْ﴾ «إشارة إلى رابطة المصاهرة».
- وفي قوله: ﴿وَعِشْرِتُكُمْ﴾ «إشارة إلى رابطة القومية أو القبيلة».
- وفي قوله: ﴿وَأَمْوَالُ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجْرِيَّةً تَخْشُونَ كَسَادَهَا﴾ «إشارة إلى رابطة المصالح الاقتصادية».
- وفي قوله: ﴿وَمَسْكُنُ تَرَضَّونَهَا﴾ «إشارة إلى رابطة الأرض والوطنية».
- وفي قوله: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَهَادٍ فِي سَبِيلِهِ﴾ لفتة صريحة إلى رابطة العقيدة الإسلامية «وكان القرآن الكريم يقول للMuslim: في حال الانسياق الأعمى وراء أي رابطة من روابط الجنس أو النسب أو المصاهرة أو القومية أو المصالح المشتركة أو الأرض أو الوطنية، وفي حال اعتبار هذه الروابط أو واحدة منها فوق رابطة العقيدة والإسلام، وفي حال هذا الانسياق والاعتبار يخرج المسلم - لا شك - من الإسلام ويختبط في دياجير الزيف والضلal ويتربي حتى يأتي الله بعذابه». (ص ٥٥-٥٦).

٤ - السنة النبوية المطهرة ومحاربتها للقومية:

إن موقف الإسلام جلي واضح من دعا إلى قومية أو وطنية أو إقليمية فهذا كله مع اختلاف لسمياته يندرج تحت العصبية الجاهلية التي حذر الرسول ﷺ منها بقوله :

١ - «دعوها فإنها منتنة». (البخاري، الجامع الصحيح، (١٣٧٩هـ)، كتاب التفسير، سورة المنافقون، باب قوله تعالى: «سواء عليهم استغفرت لهم»، حديث رقم ٤٩٠٧، ٤٩٠٥).

٢ - «من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه ولا تكنوه». (البخاري، الأدب المفرد، (١٣٧٩هـ)، حديث رقم ٩٦٣، ص ٣٣٤-٣٣٥). وعزاء الجاهلية تشمل كل ما ينكره الإسلام من شأن الجاهلية وعاداتها بما في ذلك القومية والوطنية والثار والحمية الجاهلية.

٣ - «أ بدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم». (البخاري، الجامع الصحيح، (١٣٧٩هـ) كتاب المناقب، باب ما ينهى من دعوى الجاهلية، ٥٤٦/٦، حديث رقم ٣٥١٨). وذلك ردًا عندما تخاصم غلامان. أحدهما مهاجرى والآخر أنصارى، وفي هذا يقول ابن باز (١٤١١هـ) : «فإذا كان من انتسب إلى المهاجرين واستنصر بهم أو إلى الأنصار واستنصر بهم يكون قد دعا بدعوى الجاهلية مع كونهما اسمين محظيين لله سبحانه، وقد أثني الله على أهلهما ثناء عظيمًا في قوله تعالى : ﴿وَالسَّبِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِخْسِنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ (التوبة: ١٠٠)، فكيف تكون حال من انتسب إلى القومية واستنصر بها وغضب لها؟ أفل يكون أولى ثم أولى بأن يكون قد دعا بدعوى الجاهلية». (نقد القومية العربية على ضوء الإسلام، ص ٥).

٤ - أورد أبو داود (١٣٩٥هـ) في كتابه "السنن" قوله عليه الصلاة والسلام : «ليس منا من دعى إلى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية». (كتاب الأدب، باب في العصبية، حديث رقم ٥١٢٠).

من مجموع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية يلمس المرء المسلم أن التقوى هو مفترق الطرق وأن التفاضل بين الأجناس مبناه على زيادة الخير فيها و «أن كل من دعا إلى رابطة نسبية أو أصرة وطنية أو عقيدة مذهبية أو فكرة قومية . . . وتعصب لها وجعلها أصلًا في الموالاة أو المعاداة والتناصر أو التخاذل والمحبة أو الكره يكون

داعيا إلى العصبية متعزيا بعزاء الجاهلية خارجاً عن سنن الإسلام». (علوان، القومية في ميزان الإسلام، ١٤٠٤هـ، ص ٥٩).

وبما أن الناس «من أصل واحد فلا تفاخر ولا تفاضل بينهم إلا بالتقوى فمن فضله تقوى الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه وأطاع رسوله ﷺ في كل ما يأمر به وانتهى عما نهى عنه فهو الفاضل وهو أفضل من غيره سواء كان عربياً أو أعجمياً». (العبد، فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام، ١٤٠٢هـ، ص ٢٦٩).

إن الجنس العربي لم يفضل على غيره من الأجناس اجمالاً في حد ذاته، ولأجل دمه أو لغته أو وطنه وإنما لما فيه من الخصال الحميدة والشميم الكريهة والسبق إلى الإسلام وحمل رايته إلى الأجناس الأخرى.

إن لواء التقوى هو اللواء الذي رفعه الإسلام لينقذ البشرية من عقابيل العصبية «للجنس والعصبية للأرض والعصبية للقبيلة». والعصبية للبيت وكلها من الجاهلية وإليها تتزيا بشتى الأزياء وتسمى بشتى الأسماء، وكلها جاهلية عارية من الإسلام، وقد حارب هذه العصبية في كل صورها وأشكالها ليقيم نظامه . . . في ظل راية واحدة راية الله لا راية الوطنية ولا راية القومية ولا راية البيت ولا راية الجنس، فكلها رايات زائفة لا يعرفها الإسلام». (قطب، في ظلال القرآن، ١٣٩٣هـ، ٦/٣٤٨).

لقد جعل الإسلام جامعة الدين هي الجامعة الحق «وأن هذه الجامعة جامعة العقيدة لا تبني إلا على مبدأ التقوى والأكرم في هذه الجامعة هو الأنقى والجنسية فيها هي العقيدة والوطن فيها هو دار الإسلام والحاكم فيها هو الله والدستور فيها هو القرآن». (قطب، معالم في الطريق، ١٤١٢هـ، ص ٢٩).

«هذا التصور الرفيع للدار وللجنسية وللقرآن هو الذي ينبغي أن يسيطر على قلوب أصحاب الدعوة إلى الله والذي ينبغي أن يكون من الوضوح بحيث لا تختلط به أو شاب التصورات الجاهلية الدخيلة ولا تسرب إليه صور الشرك الخفية الشرك بالأرض والشرك بالجنس والشرك بالقوم والشرك بالنسب والشرك بالمنافع الصغيرة الغريبة تلك التي يضعها الله في كفة ويضع الإيمان في كفة أخرى ويدع للناس الخيار». (قطب، ١٤١٢هـ، ص ٨٦).

«وهكذا كان المجتمع الإسلامي الجديد القائم على أساس الصلاح والتقوى

وعلى أساس الكفاية والكافح أعظم ما تحف به الإنسانية حيث كانت الروابط السائدة فيما بينها قائمة على أساس السلالة والدم والوطن واللون والحرف والصناعة والبيئات واللغات تلك - في معيار الإسلام - جاهليات زائفة وعصبيات مقوته تمزق الأسرة الإنسانية الواحدة إلى فئات متاحرة وجماعات متدايرة وأجناس وألوان مشتتة ممزقة تسودها عوامل الهدم والتخريب والدمار والشقاء». (إملاجه، المسألة القومية بين الجاهلية والإسلام، ١٤٠٣هـ، ص ٩٤).

٣- التأخي بين المهاجرين والأنصار صورة مشرقة لرفض القومية النتنية:

ولكي يرد على القوميين العرب وتنسف هذه الفكرة نسفاً وتحبّث من جذورها اجتثاثاً يقدم الباحث هنا صورة مبسطة عن كيفية الإخاء في منهج التربية الإسلامية الذي أقامه رسول الله ﷺ بين أصحابه رضوان الله تعالى عليهم أجمعين؛ وإذا اتضحت معالم هذا الإخاء لدى القارئ والمطلع سيحكم قطعاً ببطلان هذه الفكرة الزائفه القومية التي هي مستوردة من أعداء الإسلام، وهي فكرة مرفوضة باطلة؛ لأنها تفرق بين الإخوة المسلمين وتجعلهم يعيشون عيشة الانتقام والعداوة فيما بين بعضهم بعضاً.

إن الباحث هنا سيستعين في تقديم صورة عن كيفية الإخاء في عهد الرسول ﷺ بما كتبه "عطية بن محمد بن سالم" (١٤٠٨هـ) في كتابه "منهج الإسلام في كيفية المؤاخاة" ويقدم ملخصاً عنها في السطور التالية:

نظر "عطية بن محمد بن سالم" أولاً إلى طبيعة الإنسان وقسمها إلى عنصرين أساسين:

(أ) المادة "الجسد" "الطين". (ب) الروح "المعنوي".

فالعنصر المادي يؤكّد على إزالة الفوارق العنصرية وأسباب المفاحرات المادية، وعلى وحدة الأصل بالنداء العام، ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَّأُنْثَى﴾ (الحجرات، ١٣).

«وَإِذَا كَانَ ابْتِدَاءٌ إِيجادُ الْجَمِيعِ مِنْ تَرَابٍ وَّيَرْجِعُونَ جَمِيعاً لِأَبْوَيْنِ فَلَا مُوجِبٌ لِلتَّفَاضُلِ وَالتَّبَاعُدِ، وَإِذَا كَانَتْ سَنَةُ الْخَلْقِ مِنْ زَوْجَيْهِ فَلَا مُحِيدٌ عَنِ التَّالِفِ وَالتَّأْخِي»

فكون الناس جمِيعاً من زوجين اتَّلَفاً يُؤكِّدُ التَّأْخِي وَكُونَهُمَا مِنْ تَرَابٍ يُنْفِي التَّفَاضُل
وَبِوْحَدَةِ هَذَا الْأَصْلِ زَالَتِ الْحَوَاجِزُ وَتَلاَشَتِ الْفَوَارِقُ وَذَابَتِ الْعَنَاصِرُ وَأَذَّهَبَ اللَّهُ
نَخْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى». (ص ١٦-١٧).

وأصبح العنصر الثاني "الروح" أَهم عَنْصَرٍ في حِيَاةِ الإِنْسَانِ الْمُسْلِمِ، وَعَلَى
هَذَا الْأَسَاسِ جَاءَتْ دُعَوةُ الْإِسْلَامِ إِلَى الْمُؤَاخَاهَةِ مَرَاعِيَّةِ الْمَادَةِ وَالرُّوحِ.

لَقَدْ كَانَتِ التَّرِيَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ تَسْعَى إِلَى تَمِيزِ الْجَانِبِ الرُّوْحِيِّ عَلَى الْجَانِبِ
الْجَسَدِيِّ بِحِيثُ لَا تَهْمِلُ الْجَانِبُ الْمَادِيُّ مِنْ الْإِنْسَانِ عَلَى حِسَابِ الرُّوحِيِّ، وَمَا يَدْلِيلُ
عَلَى أَهْمَيَّةِ الْجَانِبِ الرُّوْحِيِّ مَا يَلِي:

١ - إِنْ نَفَرَا مِنْ سَادَاتِ قَرْيَشٍ جَاءُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَدْلُونَ بِنَسْبِهِمْ وَيَعْتَزِزُونَ
بِنَسْبِهِمْ وَكَانُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ جَالِسًا مَعَ "بَلَالَ" وَ"صَهَيْبَ" وَ"عُمَارَ"
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَطَلَبُوا مِنْهُ إِبْعَادَهُمْ مِنْ مَجْلِسِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ
﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾
(الْكَهْفُ: ٢٨).

٢ - وَكَذَلِكَ يَجِدُ الْمُسْلِمُ أَنَّ الصَّحَابَةَ الْكَرَامَ رَضْوَانَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ كَانُوا
يَقْتَدِيُونَ بِالرَّسُولِ الْكَرِيمِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ "فَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ" رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ عِنْدَ مَا وَافَتْهُ الْمَنِيَّةُ لَمْ يَعْهُدْ بِالْخَلَافَةِ إِلَى وَلْدِهِ بَلْ جَعَلَ الصَّلَاةَ بِالنَّاسِ
"لَصَهَيْبِ بْنِ سَنَانَ" الْرَّوْمَى لِمَدَةِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ حَتَّى تَنْقَضِي مَدَةُ الشَّوَّرِيِّ التِّي
جَعَلَهَا بَيْنَ نَفْرَيْنِ مِنْ أَصْحَابِهِ وَلَا تَوْفَى "عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ" رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
وَأَحْضَرَتْ جَنَازَتَهُ تَبَادِرَ "عَلِيَّ" وَ"عُثْمَانَ" أَيَّهُمَا يَصْلِي عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُمَا
"عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ" رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لَسْتُمَا فِي هَذَا فِي شَيْءٍ إِنَّا هَذَا إِلَى
"صَهَيْبَ" الَّذِي أَمْرَهُ "عُمَرَ" أَنْ يَصْلِي بِالنَّاسِ فَتَقَدَّمَ "صَهَيْبٌ" وَصَلَى عَلَيْهِ
... «لَانَ الصَّلَاتُ الْمَادِيَّةُ لَا أَثْرُ لَهَا وَإِنَّا الْعَبْرَةَ بِالْمَعْنَى وَجَهَةُ الْمَعْنَى فِي هَذَا
الْمَنْهَجِ نَعْمَةٌ عَظِيمَةٌ وَمِنْهُ جَسِيمَةٌ امْتَنَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا عَلَى خَلْقِهِ وَأَنْعَمَ بِهَا عَلَى
مِنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ»، وَدَعَاهُمْ لِلَا عِتْصَامَ بِهَا، «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جِمِيعًا
وَلَا تَنْقُرُوا» (آل عمران، ١٠٣).

(وَكَانَ اللَّهُ تَعَالَى يَرْشَدُنَا إِلَى أَنَّهُ إِنْ كَانَ عَنْصَرُ الْمَادَةِ مِنْ طَبِيعَتِهِ الْمُغَايِرَةُ شَعُورِيَّاً

وقبائل فإن عنصر المعنى من طبيعته الوحدة والإعتماد ولذا من الله تعالى بها» (ص ١٨-١٩).

ويعلل «عطيه بن محمد بن سالم» (١٤٠٨هـ) هذا بأن السبب هو «أن إيجاد الإنسان من العدم يشترك فيه الإنسان وغير الإنسان، أما إخراج الإنسان من الكفر إلى الإيمان فهو أعظم إنعاماً لأنه أعظم أثراً، ويتوقف صلاح الإيجاد الأول عليه». (ص ١٩).

٣- مما سبق يتضح للقارئ أن الله جعل التاليف للقلوب لا للأجسام، قال تعالى: «وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ» (الأناضال، ٦٣). أما عنصر المادة فالغرض من جعل الشعوب والقبائل التعارف «بإمكان ارجاع كل فرد إلى قبيلته وكل قبيلة إلى شعبها ليتم التعارف بين الجميع . . . ولما كانت القبيلة مظنة التفاضل بحسب أو نسب أبطلها وأوصد أبوابها بجعل التفاضل للتقوى؛ لأن عنصر المادة من تراب الأرض يخلد إليها وعنصر المعنى من نور السماء يسمون حروها». (ص ٢٠).

٤- وعلى هذا الأساس كانت مؤاخاة رسول الله ﷺ بين أصحابه حيث آخى بين "حمزة بن عبد المطلب" رضي الله عنه عم الرسول ﷺ و"زيد بن حارثة" رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ «فجمع بين عمه الذي هو في الذروة من النسب وبين مولاه الذي اختطف وبيع وأهدى إلى رسول الله ﷺ فأعتقه . . . كذلك فعل "بلال" مع "أبي رويح الخثعمي"، "بلال" الحبشي اشتراه الصديق " فأعتقه يجتمع مع "أبي رويح" ويضم ديوانه إلى "أبي رويح" فينضم معه ديوان الحبشي كلهم إليه ل مكان "بلال" فيهم». (ص ٢٠-٢١).

ليس هذا فحسب فقد قسم رسول الله ﷺ المجاهدين يوم الخندق إلى جماعات «فاختلقو في التقسيم عند "سلمان الفارسي" كل يقول هو منا». (ص ٢١).

ففي هذا عزوة وعبرة كيف أصبح الفارسي يحتل مكان الصدارة في القلوب وأصبح سيد قريش أبو لهب يحتل الكراهة في القلوب إنها الأخوة في الله سبحانه وتعالى ، وما كان في الله دام متصلة «الأخلاء يؤمنون بعضهم البعض عدو إلا المؤمنين» الزخرف، ٦٧).

«فالأخوة في الله تصحب الإنسان المسلم في الدنيا وتلازمه في الآخرة، ومن هنا كان الإخاء في الإسلام أعم وأشمل أنواع الإخاء بل واسبقه في الوجود ... في عالم الذر قبل الإنسان والماديات». (ص ٢٣-٢٤) لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رِبَّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذَرَّتْهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَّا سُتُّ بَرِّتُكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى﴾ (الأعراف، ١٧٢).

«فآخى الله بينهم بالإيمان والعقيدة والإقرار بالربوبية لله وحده ثم توالي هذا الإخاء بين الأمم عن طريق الأنبياء والمرسلين وبنفس الميثاق». (ص ٢٤).

٥- ومن نتائج هذه المؤاخاة في الجانب المادي «الترابط الشديد بين الأفراد كترتبط لبناء البناء المرصوص». (ص ٣٩). «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه ببعض». (البخاري، الجامع الصحيح، ١٣٧٩هـ، كتاب الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم ببعض)، (٣٧٦/١٠).

وأما النتائج المعنوية فهي «ربط القلوب بالشعور والأحساس ترابط الجسد الواحد في إحساسه وشعوره». (ص ٣٩).

«مثل المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكت منه عضو تداعي له سائر الجسد بالحمى والسهر». (البخاري، الجامع الصحيح، ١٣٧٩هـ، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ٣٦٧/١٠). وصور القرآن هذين الجانين بقوله تعالى: ﴿مَحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشَدُّ أَكْثَرًا عَلَى الْكُفَّارِ رَحْمًا بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح: ٢٩).

٦- «وفي عصرنا الحاضر وخاصة بعد تفرق المسلمين وتشتت كلمتهم وشدة غربة الإسلام وتقاطع أبناء المسلمين وتكالب أعدائهم عليهم وتداعيهم على بلاد المسلمين تداعى الأكلة على قصعتها أصبح لزاماً على الأمة الإسلامية أفراداً وجماعات شعوباً وحكومات أن تعود إلى هذا المنهج الإسلامي لتوحد صفوفها وتقارب بينها وتقوى روابطها بروح الإسلام ... وأن يرجعوا إلى منهج الإسلام العملي في كيفية مؤاخاته بين أبناء المسلمين فيزيلوا أسباب الفرقه بترك العنصرية ويفحلوا محلها دواعي الألفة». (ص ٤٧-٤٨).

إن «الأخوة الروحية فوق أخوة الدم والنسب، وفوق الأخوة المحلية المحدودة

بحدود الوطنية الضيقة؛ لأنها أخوة قائمة على دعائم من العقل والمنطق مستندة إلى مدد من الرأى والفكير مستجيبة لهواتف الوجдан، مستهدفة المثل الأعلى للحياة في تضامن وتعاون وسلام». (الغزالى، حقيقة القومية العربية، ١٣٩٧م، ص ١١٤).

و «إننا إذا جعلنا مبدأ الأخوة الإسلامية هو مبدأ التربية عندنا وأساس مناهجنا ونظمنا خدمتنا العالم الذي يسير إلى الإسلام خطوات واسعة وخدمتنا الحضارة والمدنية اللتين لن تجدان دينا يتمشى معها ويكملا ما نقص من مظاهرهما غير الإسلام وبنينا الجيل القادم على أقوى دعامة وامتز أساس». (الغزالى، ١٣٩٧هـ، ص ١٩٨).

إن مبدأ الأفضلية ومنبع الكرم هو التقوى كما جاءت النصوص بذلك تعلن للناس أن الأكرم هو الأتقى إذا «الفضل الحقيقي هو اتباع ما بعث الله به محمدا ﷺ من الإيمان والعلم باطناً وظاهراً فكل من كان فيه أمكن كان أفضل والفضل إنما هو بالأسماء المحمودة في الكتاب والسنة، مثل الإسلام والإيمان والبر والتقوى والعلم والعمل الصالح والإحسان ونحو ذلك لا بمجرد كون الإنسان عربياً أو عجمياً أو أسود أو أبيض ولا بكونه قروياً أو بدوي». (ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، د.ت، ص ٤٥).

إن هذه المؤاخاة «كانت تدرّبها عملياً على الأخوة الإسلامية التي تبعثها تلك العقيدة في نفوس المؤمنين بها **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾** (الحجرات، ١٠)، وكانت تدرّبها ناجحاً فذا في نجاحه فريداً في التاريخ، وكانت تدرّبها عملياً على "التكافل" وهو معنى من المعاني العميقية في بناء الجماعة الإسلامية القادرون يكفلون غير القادرين على أساس الأخوة في الله من جانب، وعلى أساس التصرف في مال الله بما يرضي الله من جانب آخر». (قطب، منهاج التربية الإسلامية، ١٤٠٣هـ، ٦٩/٢).

ومن هنا لم يعرف «التاريخ البشري كله حادثاً جماعياً كحادث استقبال الأنصار للمهاجرين بهذا الحب الكبير وبهذا البذل السخي وب بهذه المشاركة الرضية وب بهذه التسابق إلى الإيواء واحتمال الأعباء حتى ليروى أنه لم ينزل مهاجراً في دار أنصاري إلا بقرعة». (القططاني، الولاء والبراء في الإسلام، ١٤١٣هـ، ص ١٩٦).

«إن الاعتزاز بالإسلام . . . والظهور به تقدم ونبوغ وذكاء ورمز للاستقلال الفكري ، بالعكس من ذلك الانسحاب من الإسلام وتقليل الحضارة الغربية والإلحاد

على تطبيق النظم اللادينية في بلاد الإسلام وفي بيوت الإسلام رجعية وجمود وضعف عقلية وتفكير ورمز لمركب الفقص». (الندوي، العرب والإسلام، ١٤٠٨هـ، ص ١٠٥).

«لقد شاءت حكمة الله أن تكون قضية العقيدة هي القضية التي تتصدى لها الدعوة منذ اليوم الأول للرسالة وأن يبدأ رسول الله ﷺ أولى خطواته في الدعوة بدعة الناس أن يشهدوا «أن لا إله إلا الله» وأن يمضى في دعوته يعرف الناس بربهم الحق ويعبدهم له دون سواه». (قطب، معلم في الطريق، ١٤١٢هـ، ص ٢٦).

لقد كان عليه الصلاة والسلام قادرًا على تأجيج القومية العربية في نفوس متبعيه أو أن يرفعها راية اجتماعية أو دعوة اصلاحية لكن الله يعلم بما يصلح لعباده لم يوجهه هذا التوجيه «وما كان هذا المنهج المبارك ليخلص لله لو أن الدعوة بدأت خطواتها الأولى دعوة قومية أو دعوة اجتماعية أو دعوة أخلاقية أو رفعت أى شعار إلى جانب شعارها الوارد «لا إله إلا الله». (قطب، ١٤١٢هـ، ص ٣٥).

لقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله المشهورة وهي عبرة وعظة لمن يتغنى بالعروبة ويجد القومية العربية «كنتم أذل الناس وأحق الناس، وأقل وأعزكم الله بالإسلام، فمهما طلبوا العز بغيره يذلكم الله» (الندوي، العرب والإسلام، ١٤٠٨هـ، ص ٩٩)، «نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فلا نطلب بغير الله بدليلاً». (ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣٩٤هـ، ٦٠/٧).

وإنه لمن المؤسف حقاً «أن يقوم في هذا الوقت في العالم العربي رجال يدعون إلى القومية العربية المجردة من العقيدة والرسالة وإلى قطع الصلة عن أعظم نبي عرفه تاريخ الأديان وعن أقوى شخصية ظهرت في العالم وعن أمن رابطة روحية تجمع بين الأمم والأفراد والآشتات والأضداد إنها جريمة قومية، تبرز جميع الجرائم القومية التي سجلها تاريخ هذه الأمة، وإنها حركة هدم وتخريب تفوق جميع الحركات الهدامة المعروفة في التاريخ وإنها خطوة حاسمة مشؤومة في سبيل الدمار القومي والانتحار الجماعي». (الندوي، العرب والإسلام، ١٤٠٨هـ، ص ٩٤).

الفصل الرابع

المبدأ الديمقراطي في التربية

نمهيـ

أولا - المبدأ الديمقراطي من خلال
الاستراتيجية

ثانيا - المبدأ الديمقراطي من منظور
التربية الإسلامية

تمهيد:

أ— مفهوم الديموقراطية:

رحم الله الشيخ الفاضل "محمد المبارك" (١٤٠٠هـ) الذي وصف الفكر الغربي بعبارات دقيقة تنم عن المامه لهذا الفكر وسبره لأغواره حيث قال في كتابه "بين الثقافتين الغربية والإسلامية" عن هذا الفكر بأنه تسلل «في فلسفاته الفكرية ومذاهبه العقائدية بما فيها من حق وباطل وصحيح وزائف وصدق وإفك وخير وشر من خلال التعليم وعبر جميع فروع المعرفة والثقافة إلى عالمنا الإسلامي يحمله الاستعمار بجيوشه والغزو بشتى أنواع جنوده ودخل دخول القوي المستعلي بقوة الظاهر وفتنة الباطن». (ص ٩٧).

نعم لقد استطاع الغرب المنحل أن يتسلل إلى ميادين الحياة من خلال فلسفاته وتصوراته ومبادئه المنحرفة التي ضمنها مناهج التربية والتعليم في البلدان العربية والإسلامية التي تعرضت للغزو الفكري حيث انتشرت هذه المصطلحات والمبادئ انتشار النار في الهشيم وأصبحت تردد على السنة المختصين والمثقفين والعوام دون فهم صحيح لمقاصدها ودون أن يدركون واقعها وحقيقة أمرها وخطورة ما تحمله هذه المصطلحات والمبادئ الغربية من مفاهيم وأفكار مناقضة للإسلام بل هي هادمة له ومن هذه المبادئ التي أصبحت شائعة الذيع بين الناس مع مختلف الثقافات والمستويات مصطلح الديموقراطية التي يتغنى به غالب الشعب العربي باعتباره يحقق رغبات الفرد العربي في الحصول على حقوقه وينحه الحرية والاستقلال ومعارضة الآخرين والرد عليهم وما علم هذا الفرد العربي أن لهذا المصطلح أبعاداً وأثara خطيرة باطنها فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب، وفيما يلي مزيد إيضاح عنه.

الديمقراطية هي كلمة يونانية مكونة من كلمتين: Demos و معناها الشعب، و Kratos الحكم أو السلطة، والمعنى لها حكم الشعب أو سلطة الشعب. (الموسوعة العربية الميسرة، ١٤٠٧هـ، ١ / ٨٣٧).

«فالتعريف يقتضي جعل السيادة بيد الشعب وأن يكون زمام أمور الحكم في يد عموم الأمة . . . لئلا يكون الحكم مقيداً بفئة من فئات الأمة، فكل واحد يعمل ما يريد . . . ويقوم النظام من تلقاء نفسه». (البستانى، محـيطـ المـحيـطـ، دـ.ـ تـ، ٢٣٢/٨).

وتقوم الديقراطية على «العقيدة الرأسمالية بمعنى فصل الدين عن الحياة وأن الإنسان هو الذي يضع نظامه الذي يريد في الحياة». (محمد قطب، مذاهب فكرية معاصرة، ١٤٠٥هـ، ص ١٧٨).

ويعرف "الخالدي" (١٤٠٦هـ) الديقراطية في كتابه "الديمقراطية الغربية" بقوله هي : «فصل الدين عن الحياة هو الأساس الفلسفى لها» وهي «آتية من جهة أن الإنسان هو الذي يضع نظامه ولذلك كانت الأمة هي مصدر السلطات والسيادة للشعب لا للشرع». (ص ١١١).

ويوضح "أبو الأعلى المودودي" (١٣٨٧هـ) "مفهوم الديقراطية" في كتابه "نظريّة الإسلام و هديّه" ، بأنها أصبحت «منهاج الحكم تكون السلطة فيه للشعب جميعاً، فلا تغير فيه القوانين ولا تبدل إلا برأى الجمهور، ولا تسن إلا حسب ما توحى إليهم عقولهم فلا يتغير فيه من القانون إلا ما ارتضته أنفسهم وكل مالم توسعه عقولهم يضرب به عرض الحائط ويخرج من الدستور» (ص ٣٣-٣٤). أما الشيخ "الميداني" (١٤٠٥هـ) فيعرف "الديمقراطية" في كتابه "كواشف زيف" بأنها «حكم الشعب نفسه بنفسه» أو «حكم الشعب للشعب ومن الشعب». (ص ٦٩٣).

وهذا التعريف يفيد «أن الشعب هو مصدر كل السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية فالشعب هو واسع دستور حكمه وهو واسع القوانين والشائع والنظم وهو الذي يختار حكامه بإرادته الحرة». (الميداني، ١٤٠٥هـ، ص ٦٩٤-٦٩٣).

ويؤكّد "أبو الأعلى المودودي" (١٣٨٧هـ) في كتابه "نظريّة الإسلام و هديّه" أن الناطقين بالديمقراطية هم أكثر الناس جهلاً بالدين ويرون أن الإسلام نظام ديمقراطي فيقول: «كلمة كثيراً ما نسمعها اليوم في الأندية السياسية والمحافل العلمية، وهي لا تزال تعاد وتكرر منذ أواخر القرن الماضي، ولكن الذين ينطقون بها ويلهجون بذكرها قلماً يوجد فيهم من درس الإسلام دراسة علمية، وأنعم النظر في تعاليمه واجتهد أن يتفطن إلى أوضاعه السياسية ووقف شيئاً من جهوده لمعرفة مقام الديمقراطية في الإسلام». (ص ٩).

«فلا يصح إطلاق كلمة الديمقراطية على نظام الدولة الإسلامية . . . إنها

ليست من الإسلام في شيء». (المودودي، ١٣٨٧هـ، ص ٣٤).

ويلاحظ على التعاريف السابقة للديمقراطية أمران: "الحكم الديمقراطي"

١ - «استبعاده حق الله الذي له الحكم كله وبأمره تأتي سلطة كل من له سلطة من بعده»

٢ - «عدم إقرار الحكم الديمقراطي بأحكام الشرع ووجوب تنفيذها أولاً، وهي الأحكام الشاملة لأحكام الله ورسوله ﷺ واستنباطات المجتهدين من فقهاء المسلمين الذي يستبطون أحكام الشرع بالاجتهاد الذي أذن الله لهم به».

(الميداني، كواشف زيف، ١٤٠٥هـ، ص ٦٩٤).

ب - تاريخ الديمقراطية:

الديمقراطية ضاربة في أعماق التاريخ إلى ما قبل الميلاد حيث نشأت في المدن اليونانية القديمة مثل أثينا وأسبرطة. (الموسوعة العربية الميسرة، ١٤٠٧هـ، ص ٨٣٧).

وما الديمقراطية الحديثة في أوروبا إلا صدى لهذه الديمقراطية. وتقوم الديمقراطية الغربية على دعامتين أساسيتين هما:-

١ - مبدأ سيادة الشعب وما يتضمنه في حقه في اختيار حكامه ورقابتهم.

٢ - مبدأ كفالة الحريات الفردية في المجالين السياسي والإقتصادي مع العناية الخاصة بالمساواة السياسية. (الموسوعة العربية الميسرة، ١٤٠٧هـ، ١/٨٣٧).

يرى "عدنان بن علي النحوي" (١٤١٣هـ) في كتابه "الشوري لا الديمقراطية" «أن الديمقراطية الغربية المنشأ والتصور وأنها تحمل في طياتها سموما قاتلة فيقول:

«إنها لم تنشأ في العالم الإسلامي ولكنها تسللت إليه مع مظاهر الحضارة الغربية المادية من علوم وفنون وصناعة وآلات ثم أفكار ومبادئ حملت كلها زخارف المادة وفتنة حضارتها وشهواتها . . . وأخطر من هذا كله أنها حملت ميزان صالح المادية لتزن به وحده جميع الأمور والحقوق والواجبات والأحداث، إن هذا الميزان المادي لأمور الحياة الغي الدين ومبادئه والغي دور الإيمان والتوحيد في بناء المجتمع وعلاقاته ونشاطه واعتبر "المصلحة المادية" هي أساس العلاقات والأخلاق والقيم والمبادئ». (ص ١١٧).

ويستطرد "النحوى" (١٤١٣هـ) في توضيح هذه اللفظة فيؤكّد على «أن الديقراطية لفظاً ومعنى لم تكن معروفة لدى العرب ويبدو أن اللفظة بلغت من غرابتها أن استعصت على أن تجد مرادفاً أو اشتقاقة في اللغة العربية فانسللت اللفظة بذاتها وحملها كثير من الكتاب ودفعها بعضهم بعيداً في التاريخ الإسلامي وتاريخ العرب قبل الإسلام». (ص ٣٨-٣٩).

أما تاريخها الحديث فقد ظهرت -مع ضعف الدولة العثمانية- على السطح باعتبارها شعاراً براقاً وزخرفاً ملولاً يحمل معانٍ خطيرة وهو شعار «تحمله علوم الغرب وصناعته، تحمله جيوشه ومدافعيه . . . تحمله كل أدوات التضليل وزخارف الفتنة وبطش القوة . . .» ذلك الشعار هو «الديقراطية» ويتميز هذا الشعار عن سائر الشعارات أنه دخل بعظامه ولحمه وثوبه الغريب ولم يجد لفظة مناسبة في اللغة العربية». (ص ٢٩).

ويوجز "النحوى" (١٤١٣هـ) القول في الديقراطية قائلاً «هي السماح لكل المسافرين بقيادة القطار لتكون النتيجة المحتومة لاصطدام فالكارثة». (ص ٩, ١٣٦)

وبعد هذا التمهيد يحاول الباحث أن يكون حديثه عن الديقراطية منطلقاً من جانبين:-

أولاً: المبدأ الديمقراطي في التربية من خلال الاستراتيجية.

يود الباحث أن يقرر حقيقة يجب أن تكون خالدة في الذهن وهي أن نقطة الإنطلاق في تحرير المسلمين من التبعية الفكرية سواء في الشرق أم في الغرب هي في أسلمة المناهج الدراسية بحيث تكون منطلقة من الكتاب والسنة وما استنبطه علماء المسلمين من آراء وأفكار لا تتعارض مع المصادرين الخالدين.

إن التربية التي تنبثق من «عقيدة قوية وصالحة أقوى وأنفع من تربية صادرة عن عقيدة ضعيفة وفاسدة ذلك لأن المجتمع الذي يقوم على عقيدة ضعيفة وفاسدة يصيّب التفكك ويظهر فيه التناقض؛ لأن مؤسساته تفقد ما يهدّيها إلى هدف واحد وما يجعلها متماسكة ومنسجمة ويحيط به الانحلال؛ لأنه يفتقر إلى المصدر الثابت الذي يستمد منه إرادته وقوته،». (التوم، التربية والمجتمع، ١٤٠٣هـ، ص ٧).

أما حديث الاستراتيجية عن "المبدأ الديمقراطي للتربية" فيبرز في النقاط التالية:

١- قدرة الإنسان على صنع حياته بنفسه دون الحاجة إلى وحي الإلهي.

وردت نصوص كثيرة في الاستراتيجية يفهم منها على أن الإنسان قادر على صنع حياته بنفسه معتمداً في ذلك على عقله وضميره، ومن هذه النصوص ما يلي: أكدت الاستراتيجية أن لهذا الإنسان مكانة في الوجود، وهذه المكانة لا بد أن تهتم التربية بها لأن الدين أقر بهذه المكانة وبالتالي فلا بد من ت McKينه «من اعتماده على هدى عقله وهدى ضميره في سعيه المتواصل نحو الكمال». (ص ٢٢٧).

كما أن ت McKين المتعلم «من الاعتماد على جهوده الذاتية في تربية نفسه وتطوير شخصيته من جميع جوانبها» أمر ضروري أن يرسخ ذلك من خلال التربية و McKينه كذلك «من التعويل على عقله وضميره». (ص ٢٢٦).

ومن مميزات الإنسان العربي أنه معتز بكرامته و «يعتمد على جهوده الذاتية في التعلم ل التربية نفسه وتطوير شخصيته من جميع جوانبها». (ص ٢٤٩).

وهذا لا يأتي إلا عن طريق استدعاء بوعشه «في الاعتماد على العقل» «كما يجعل من الديقراطية وسيلة لتنمية تلك المواقف العقلانية». (ص ٢٤٩).

إن محرري الاستراتيجية يرددون عبارات يهدفون إلى ترسيخها في نفوس الناشئين والقارئين وهي أن الإنسان قادر على صنع حياته بنفسه ففي (ص ٢٥١) من التقرير وردت العبارة التالية:

«إن المبدأ الإنساني والقومي والديمقراطي هذه المبادئ توجب إثبات حق التعليم لجميع المواطنين «وهو حق متصل بمكانة الإنسان في المجتمع واعتماده على هداية عقله وضميره وسعيه في طلب الكمال» وعلى المجتمع المتعلم أن يقرر هذا الحق للإنسان «و McKينه من الاعتماد على هدى عقله وضميره». (ص ٢٥٢).

يعزو محررو الاستراتيجية قدرة الإنسان على صنع حياته إلى أن الدراسات التاريخية أثبتت «دور الإنسان في صنع التقدم ومواجهة التحديات». (ص ٢٠٤).

وأسهمت الحركات الاشتراكية في إقرار «مكانة الإنسان -أى إنسان وقدرته- على صنع حياته ومستقبله» (ص ٢٠٥)، كما أن الدراسات النفسية والاجتماعية أسهمت "في الكشف" عن قوى الإنسان وقدراته وعن بوعشه ومنازع اتجاهاته

وعن تفاعله المستمر ببيئته أخذها وعطاء تأثراً بها وتتأثراً فيها واستتبع ذلك تأكيد قدرة الإنسان على تطوير ذاته وبيئته وعلى إرادة التغيير التي يمتلكها وتتأثيرها في ثقته بنفسه وفي تشكيل مستقبله ومصيره». (ص ٢٠٤-٢٠٥).

ويعلل المحررون بأن التراث التربوي العربي هو «تراث يقرر مكانة الإنسان وحقه في الاعتماد على فكره وضميره وجهوده الذاتية في التعلم». (ص ٦٧). والعقيدة «ميزت الإنسان بالفضيل مولاً على عقله وضميره وعلى سعيه في طلب الكمال» (ص ٧١).

والإنسان العربي يعتمد «على هداية عقله وهداية ضميره، في مواجهة مشكلات الحياة وتحمل مسئولياتها» (ص ٢٤٩).

والبدأ الإنساني والإيماني والقومي والتنموي والديمقراطي وغيرها من المبادئ تؤكد هذه الحقيقة في اعتماد الإنسان على هداية عقله وضميره وإثبات حق التعليم له «وقد نصت عليه شريعة منظمة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان (١٩٤٨م) ونصت عليه دساتير الدول الحديثة، وأصبح من مسؤولية الدولة وواجبًا من واجباتها». (ص ٢٥١).

٤- الديمocrاطية والتربية:

من الأهداف التي تسعى إليها الاستراتيجية هي أنها جعلت «الديمقراطية غاية أساسية لها». (ص ١٠٧).

وتهدف الاستراتيجية إلى تحقيق ما يلي :

- أ - «توجيه التربية نحو الأهداف الوطنية على المستوى القطري»
- ب - «توجيه التربية نحو الأهداف القومية».
- ج - «نشر التعليم والعمل نحو تكافؤ الفرص فيه».
- د - «تنظيم التعليم على أساس تربية».
- ه - «اعتماد التجريب في تطوير المؤسسات التربوية وإرساء بعض أساس الفكر التربوي الحديث». (ص ٩٤).

«وإذا كانت الديمقراطية بجوائزها السياسية والاقتصادية والاجتماعية أساساً

لتنظيم المجتمع كما تضمنته العقيدة الإسلامية فإن رعاية هذا الأساس من مهامات التربية وأهدافها فهي بهذه المثابة تربية ديمقراطية». (ص ٦٠).

وبما أن الديمقراطية تهتم بجميع فئات الشعب فإن «أساس المجتمع المشاركة الإيجابية من جميع أفراده وفئاته وعناصره دون تمييز بسبب اللون أو الجنس أو العقيدة من أجل تحقيق أهداف واحدة ومصلحة مشتركة . . . وبهذه المبادئ تكون الديمقراطية هي أسلوب حياة هذا المجتمع». (ص ٢٤٨).

وإذا كانت الديمقراطية تقوم بهذه الأعباء فماذا بقي للعقيدة الإسلامية؟ وما هي وظيفتها في الحياة؟.

إن «إثبات حق التعليم لجميع المواطنين بلا استثناء، حق أصيل تفرضه جملة من المبادئ الرئيسية . . . الإنساني والإيماني والقومي والتنموي والديمقراطي وغيرها». (ص ٢٥١).

«والديمقراطية بهذا المعنى تؤكد الكفاية كما تؤكد العدالة الاجتماعية وأساسها ما يبذل كل فرد من جهد حسب استعداداته وطاقاته في فرص يتيحها له المجتمع بمؤسساته دون عوائق من أجل تحقيق الخير العام». (ص ٢٤٨).

٣ - الديمقراطية والأمة ومصدر السلطة:

لحرري الاستراتيجية رأى في مصدر السلطة سيتضح من خلال عباراتهم التي وردت في تقرير الاستراتيجية . وصف المحررون مجتمع المدينة في عهد النبي ﷺ وفي عهد خلفائه الراشدين بالمجتمع المتعلّم وبأنه مجتمع «من تفتح في الشخصية الإنسانية وحركة مستمرة في تطورها ومن صفاء في الأخلاق وطهارة النفوس ومن تعويل على العقل والضمير ، ومن تعاون وتكافل ومن شورى في الرأى والتدبر». (ص ٤٦).

وبما أن أساس «المجتمع السليم إقرار مبادئ الأخوة والتعاون والمساواة والمشاركة القائمة على ممارسة الحقوق والواجبات». (ص ٤٤).

فأساس الحكم هو الشورى والمشاركة «ولم يشترط في الشورى أن تكون مجرد مسألة عدد وكثرة وإنما يراعي فيها مبدأن وهما:

- ١ - أنه لا مصدر للسلطة العامة في الإسلام غير الأمة.
- ٢ - ولا مرجع فيه للمسؤولية العامة غيرها» (ص ٤٤).

واعتبر محررو الاستراتيجية بأن من آثار طلائع طلب الحرية والاستقلال في مصر «أن نشأت فيها أنظمة نيابية لا يستبعد أن تكون متاثرة بآراء مستمدّة من الفكر الإسلامي وبآراء مستمدّة من مفاهيم الحرية والمساواة وحقوق الإنسان التي أخذت في الشيوع في أوروبا بعد الثورة الفرنسية وبعد حركات الإصلاح البرلانية في بعض الدول الأوروبيّة، وبعض هذه الآراء مما نادى به المفكرون وال فلاسفة من الأوروبيّين في العصر الحديث وبخاصة كما تجلّت في المذهب الليبرالي، وقد كانت المفاهيم التي نادت بها الثورة العربيّة في مصر مستمدّة من هذه المصادر كما يبدو وكان شعارها في البداية مقاومة الاستبداد وتغيير الحكم المطلق للخديوي بتثبيت دعائم الحياة النيابية استناداً إلى حق الأمة في أن تكون مصدر السلطات». (ص ٨٦).

وعلى الرغم من الصيغة الحزبية التي صاحبت الحركات الاستقلالية والتي اختلفت فيما بينها حول معالجة مشكلة الاستعمار وقضية الاستقلال وكيفية مقاومته إلا أن هذه الحركات الاستقلالية «كانت جمیعاً تشتراك في الدعوة إلى الحياة النيابية على الرغم من اختلاف تفسيراتها لها ومارستها لاجراءاتها كما كان معظمها يرفع شعار الحرية السياسية ويدعو إلى أن تكون الأمة مصدر السلطات» (ص ٨٨).

٤ - الديمocrاطية والأخلاق والمجتمع:

للمحررين نظرة خاصة في أسس تنظيم المجتمع السليم والذي يتمثل في «إقرار مبادئ الأخوة والتعاون والمساواة والمشاركة القائمة على ممارسة الحقوق والواجبات». (ص ٤٤).

وفي «هذا المجتمع لابد أن تقرر مقومات أساسية وهي المسؤلية الفردية - وعموم الحقوق وتساويها بين الناس، ووجوب الشورى على ولادة الأمور والتضامن بين المواطنين وكلها تشكل في ترابطها وتلاحمها ما نسميه اليوم بالديمقراطية بجوانبها السياسية والاجتماعية والاقتصادية وبنظرتها الإنسانية الشاملة أيضاً». (ص ٤٤).

«وترتبط هذه المبادئ ببدأ أساسى وهو المساواة بين الناس فهم لا يتمايزون إلا

بالتقوى ، وهي حكمة جامعة لكل ما يحمله الإنسان من تبعات وحدود فلأفضل
لإنسان على إنسان إلا بما ينهض به من تبعات ويرعاه من حدود» (ص ٤٤-٤٥).

وبما أن «أساس الحكم هو الشورى والمشاركة» (ص ٤٤) فإن «كلمة الحكم
كما تكرر في القرآن الكريم على تعدد مشتقاتها ومواضعها ذات دلالة عميقة على
وثيق صلتها بالعدل والتفكير ووثيق صلتها بالديمقراطية». (ص ٤٥).

٥ - مبررات قبول الديمقراطية في الاستراتيجية:

أورد محررو الاستراتيجية دلالات واعتبارات تبرر أخذهم بالمبدأ الديمقراطي
في التربية واعتباره مبدأ أساسيا تقوم عليه التربية والتعليم .

أ - الدلالات:

١ - «المساواة لجميع المواطنين في الحقوق والواجبات أمام القانون وفي تكافؤ
الفرص وتنمية الموهاب والكفايات وتقدير كرامة الإنسان واحترامها» .
(ص ٢٣١).

٢ - «تنمية التعاون والتكافل بين المواطنين وتمكينهم من المساهمة في خير المجتمع
وفي اتخاذ القرارات في الشئون العامة وفيما يتصل بشؤونهم في الحياة» .
(ص ٢٣١).

٣ - «تنظيم المجتمع تنظيمًا مستندًا إلى إرادة الجماهير مؤديا إلى ما يكفل مصالحها،
والاعتماد على الشورى في ممارسة السياسة والإدارة». (ص ٢٣١).

٤ - «الاعتماد على المواقف العقلانية وحسن التعامل مع الآخرين ورعاية أحوالهم
ومصالحهم وعلى العلاقات الإنسانية السليمة أسلوباً في الحياة». (ص ٢٣١).

ب - الاعتبارات الأساسية لهذا المبدأ:

١ - «إن الديمقراطية بدلاتها السالفة قائمة في أصول الإسلام تجلت فيه نظاماً فكريًا
وتطبيقاً عملياً واستندت إلى ما أقره من مكانة الإنسان واعتماده على هداية
عقله وهداية ضميره، ومن المساواة بين الناس في تنظيم المجتمع ورعاية
مصالحه على أساس الشورى في الرأي والعدالة والتكافل في المعاملات
واقتراح الحقوق بالواجبات». (ص ٢٣١).

- ٢- «تطور مفهوم الديقراطية وتطبيقاتها في العصر الحديث فلم تعد تقتصر على السياسة وتنظيماتها ، وعلى نماذجها البرلمانية بل تجاوزت ذلك لتشمل الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، ولتكون تعبيراً عن طموح الشعوب لنيل حقوقها وتحسين مستويات حياتها ومشاركتها في تنظيم شؤونها . . . وأصبحت الديقراطية بهذا المفهوم مطمح شعوب العالم الثالث والمحرك الأساسي في مطالبتها بالإسراع في التغيير الشامل في مجتمعاتها» (ص ٢٣١).
- ٣- «تطور هذا المفهوم للديقراطية صراحة وضمنا في حركة القومية العربية في مراحلها الأخيرة فلم تعد تقتصر في أذهان الناس على الاستقلال السياسي أو تقنع به واتسعت آفاقها في تعين الأهداف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وتنظيم المجتمع على أساس من ضمان حقوق الإنسان وتمكينه من المساهمة في هذا التنظيم». (ص ٢٣١).
- ٤- «اعتماد التربية وسيلة فعالة للتنشئة على الديقراطية أسلوباً في الحياة وإعداداً للمسامحة في المجتمع وتنظيمها قائماً على العدالة والمساواة في الحقوق والواجبات كما أنها مجال صالح لممارسة الديقراطية في الإدارة والتنظيم وفي العلاقات الإنسانية في المؤسسات التربوية وفي التمتع بحرية التفكير والتعبير وقد تمثلت الديقراطية في التربية العربية قديماً، كما اقترن في بعض نماذجها في العصر الحديث، فأسهموا الطلاب والشباب في الحركات الوطنية وفي محاربة الاستعمار من أجل الاستقلال السياسي، وما يزالون يسهمون في الفترات الأخيرة بمزيد من الوعي بالأبعاد الشاملة للديقراطية».
- (ص ٢٣٢-٢٣١).

ثانياً: الديقراطية من منظور التربية الإسلامية.

١ - موقف الإسلام من المصطلحات الوافدة:

اتضح مما سبق أن لفظة "الديقراطية" يرجع تاريخها إلى عهد اليونان وأنها مركبة من كلمتين ديوس وتعني الشعب وكلمة "كراتوس" وتعنى السلطة الشعبية، وهنا يريد الباحث أن يوضح موقف الإسلام من هذه المصطلحات الوافدة وهل تقبل على علالتها أم ترفض؟.

يرى "الخالدي" (١٤٠٦هـ) في كتابه "الديمقراطية الغربية في ضوء الشريعة الإسلامية" بأن شعار "الديمقراطية" يعتبر استخدامه «من باب التضليل المؤدي إلى أبعد الحدود» حيث «يحاول الناس تطبيق المصطلحات التي لا صلة لها بالإسلام على الأفكار والأنظمة الإسلامية». (ص ٥٢).

ويؤكد "سيد قطب" (١٤١٢هـ) ما ذهب إليه "الخالدي" ويصف المفتونين بالحضارة الغربية أى في عصره بأنه غشى على أفكارهم ذلك التصور الغربي لطبيعة الدين». (معالم في الطريق، ص ٩٠).

إن هذا المصطلح الغربي له معانٍ التي يسعى إلى تحقيقها وهي حق الشعب المطلق في أن يشرع لجميع الأمور العامة بأغلبية أصوات نوابه، وإرادة الشعب ذات حرية لا تقييد مطلقاً بقيود خارجية فهي سيدة نفسها ولا تسأل أمام سلطة غير سلطتها. (الخالدي، ١٤٠٦هـ، ص ١٨).

ويتعجب "الخالدي" (١٤٠٦هـ) من لجوء بعض العلماء المسلمين إلى استيراد نظريات غربية في الوقت الذي يوجد فيه من يهاجم مثل هذه النظريات فيقول: «وإنه لعجب حقاً أن نجد بعض علمائنا ومتكلميها يحاولون أن يدخلوا تحت راية الإسلام نظرية غربية عليه، في الوقت الذي نجد فيه بعض كبار علماء الفقه الدستوري في الغرب يهاجمون تلك النظرية ويررون أن الظروف التاريخية التي أدت إلى استنباطها قد أصبحت في ذمة التاريخ». (٩-٨).

يعرف "إبراهيم بن مصطفى وزملاؤه" (د. ت) المصطلح بأنه لفظ خاص اصطلاح بعض الناس على معنى معين له فمتي ما ذكر هذا اللفظ "المصطلح" يتبادر إلى الذهن حالاً ذلك المعنى الاصطلاحي المتفق عليه. (المعجم الوسيط، ص ٥٢٢).

هنا لا يتطرق الشك إلى أي أحد أن المصطلح يمكن فصله عن المعنى الذي يدل عليه فالمصطلح له معنى محدد ومغزى مقصود، ومن هذه المصطلحات التي تكررت في الاستراتيجية مصطلح الديمقراطية، والتي مر معناها آنفاً إذ هي مصطلح عربي بحت وقد حذر الله سبحانه وتعالى المؤمنين من التشبه بالآخرين فقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِيمَنُوا لَا تَقُولُوا رَعْنَآ﴾ (البقرة: ١٠٤). جاء في تفسير هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى ينهي عباده المؤمنين ويحذرهم من التشبه بالكافرين في مقالهم وأفعالهم، ذلك أن اليهود كانوا يعلنون من الكلام ما فيه تورية وتمويه لما يقصدونه

من التبغيض والدس . (ابن كثير ، تفسير القرآن ، د. ت ، ٢٥٩ / ١) . وجاء في الحديث ما يفسر هذا بأنهم « كانوا يقولون أى : اليهود للرسول عليه الصلاة والسلام : « السام عليكم ». (الترمذى ، السنن ، ١٤٠٨ هـ ، كتاب الاستئذان ، باب ما جاء في التسليم على أهل الذمة ، ٥٧ / ٥ ، حديث رقم ٢٧٠١) .

لقد حذر الرسول ﷺ أمته من السير في ركاب أهل الكتاب ومن شايعهم أو الأخذ عنهم أو اقتباس مناهجهم وأوضاعهم ، وبين أن أمته عليه الصلاة والسلام ستقع في المحذور وفيما نهاها عنه يقول عليه الصلاة والسلام : « لتبعدن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تتبعتموهם قلنا : يا رسول الله اليهود والنصارى ، قال : فمن؟ ». (البخاري ، الجامع الصحيح ، ١٣٧٩ هـ ، كتاب الاعتصام ، باب قول النبي ﷺ لتبعدن سنن من كان قبلكم ، ٢٥٥ / ١٣) .

إن المسلمين اليوم قد أخذوا نظريات وأفكار الغرب وطبقوها في مجتمعهم وقد حذر الرسول ﷺ من ذلك قائلاً : « لا تسأوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا ». (ابن حنبل ، المسند ، ١٣٦٨ هـ ، ٣ / ٣٣٨) .

وعلينا نحن المسلمين « أن نقف في حذر إزاء المصطلحات الغربية المنقولة إلى اللغة العربية ولا بد من أسلمة هذه المصطلحات ووصفها في إطارها العربي ومضمونها الإسلامي ، لا أن نأخذ هذه المصطلحات بمضامينها الغربية ؛ فإن ذلك يؤدي إلى صهرنا في بوتقة الغرب وقيمه ». (الجندى ، نحو بناء منهج البدائل الإسلامية ، ١٤١٠ هـ ، ص ٢٠٧) .

إن المصطلحات إذا كانت نابعة من بيئه إسلامية فهى مصطلحات مقبولة ونافعة ، أما إذا كانت نابعة من بيئه غير إسلامية فهى مرتبطة بفكر معين ونظريات معينة وأحداث معينة وهي لا توافق واقع المسلمين ، وهذا هو التغريب ، وهذه المصطلحات تحارب الإسلام وتريد القضاء عليه وتحدم المحتل الأجنبي ؛ لأنها تؤدي إلى استعلاء أنظمة الغرب وقوانيه ونظرياته على أنظمتنا ومبادئ إسلامنا ، وتعمل أيضا على عزل مقومات الإسلام ومحاوله إيجاد أنظمة ومصطلحات منفصلة عن الدين الإسلامي ومرتبطة بفكر الغرب وثقافته وتحدم حضارته . (الزهراني ، مبادئ مختارة للإدراة التربوية في ضوء مواقف من السيرة النبوية ، ١٤٠٦ هـ ، ص ١١٣) .

إن محري الاستراتيجية يعبرون بجلاء واضح على أن الإنسان له القدرة على صنع حياته بنفسه دون الحاجة إلى وحي إلهي؛ لأن الدراسات النفسية والاجتماعية أسهمت في الكشف عن قدرة الإنسان «على تطوير ذاته وبيئته . . . وفي تشكيل مستقبله ومصيره» (ص ٢٠٤-٢٠٥). وهذه الدراسات أجريت بعزل عن الاستعانة بالوحي الإلهي وبالسنة الحمدية وحرمت من ذلك النور الرباني فكيف تقبل وهي بهذه الصورة؟.

وهذه العبارات التي تبناها تقرير الاستراتيجية مستوحاة من النظام الرأسمالي الديمقراطي الذي ينادي بفصل الدين عن واقع الحياة وإعطاء الأمة حق التشريع وسن القوانين وهذا مصطلح خطير؛ لأنه يهدم مبدأ أساسياً من مبادئ الإسلام وهي أن الحاكمة المطلقة هي لله وحده لا شريك له. (الزهراني، ١٤٠٦هـ، ص ١١٨).

والمسلمون يرفضون هذه المصطلح باعتباره مخالف لما هو مقرر في القرآن الكريم والسنة المطهرة؛ ولأنه يدعو إلى غير منهج الله فالديمقراطية تعتمد على العقل أو الشعب وترفض التحاكم إلى شرع الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام. (الزهراني، ١٤٠٦هـ، ص ١١٨).

إن تبني مثل هذا المصطلح يعتبر تقليداً أعمى للغرب وتنازلاً عن كياننا وذاتيتنا وإسلامنا الذي هو شامل كامل وواسع «بحيث يرفض كل غريب عليه ولو كان هذا العنصر اصطلاحاً تعبيرياً من المصطلحات التي تقتضيها أزياء الفكر الأجنبية». (قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ١٤١٣هـ، ص ٩٧).

وإذا أنعم الإنسان المسلم النظر في الآية المذكورة سابقاً يجد أيضاً أن لفظة «رعنَا» مصطلح مشهور عند اليهود تعني "الرعونة" التي هي النقيصة والواقعية والسب والشتمة و«وجه النهي عن ذلك أن هذا اللفظ كان بلسان اليهود سباً . . . وكانوا يقولون للنبي ﷺ كذلك مظہرین انہم یریدون المعنی العربي مبطئین انہم یقصدون السب الذي هو معنی هذا اللفظ في لغتهم وفي ذلك دلیل على أنه ينبغي تجنب الألفاظ المحتملة للسب والنقص وإن لم یقصد المتكلم بها ذلك المعنی المقيد للشتم سداً للذریعة ودفعاً للوسيلة وقطعًا لمادة المفسدة والتطرق إليه». (الشوکانی، فتح القدير، د. ت، ١٢٤/١).

ولهذا أمر الله بعدم استخدام مثل هذه المصطلحات التي تحمل معنى مبطنًا.
وإذا كان القرآن الكريم قد نهى المؤمنين عن استخدام اصطلاح مشهور «فكيف يكون الحال باستعمال ألفاظ لم تعرف في مجتمعنا ولم تذكر في تراثنا، وهي تحمل مصطلحات مخالفة للإسلام صراحة بل تحمل معنى الكفر». (البدري، حكم الإسلام في الاشتراكية، ١٣٨٤هـ، ص ١٢٥).

ويقرر "البدري" (١٣٨٤هـ) قاعدة الاصطلاح في كتابه "حكم الإسلام في الاشتراكية" قائلاً: «كل لفظ يحمل اصطلاحاً موجوداً معناه في الإسلام فلا مانع شرعاً من جواز استعماله بذكره أو الدعوة إليه، أما إذا كان الاصطلاح يخالف معناه ما في الإسلام من معانٍ فلا يجوز ذكره على سبيل الدعوة إليه وإن قيد بوصف إسلامي له؛ لأنَّه تعبير وضع بالأصل لفكرة معينة أو لنظام خاص عرف به أصحابه وحملته». (ص ١٢٥).

إن لكل نظام عقيدة وهذه العقيدة هي القاعدة الفكرية التي تبني كل أمة نظام حياتها «انطلاقاً منها وتعالج مشكلاتها وتحل على أساسها، وهذه العقيدة هي الضمانة الحقيقة لحسن تطبيق الأنظمة في المجتمع، وبقدر صحة وصلاح العقيدة تكون صحة وصلاحية النظام المنبثق عنها، أما إذا كانت العقيدة فاسدة ... فإن ما انبع منها من أنظمة ... تكون فاسدة ... لأن ما بنى على الفاسد فاسد».
(البدري، ١٣٨٤هـ، ص ٣٣-٣٤).

والبدأ الديمقراطي الذي تبنته الاستراتيجية لا يؤخذ إلا مع عقيدته؛ لأن «أنظمة حياة الأمة ومعالجات مشكلاتها منبعثة عن عقيدتها وموجهة بتوجيهها». (البدري، ١٣٨٤هـ، ص ٤٠).

وبما أن مصطلح "الديمقراطية" هو إعطاء الفرد سلطة التشريع وسن القوانين والأنظمة عن طريقأخذ رأي الجماعة وتنفيذ رأي الأغلبية فهذا يعني أن الديمقراطية تقوم في أساسها الفلسفية على «العقيدة الرأسمالية، بمعنى فصل الدين عن الحياة وإن الإنسان هو الذي يضع نظامه الذي يريد في الحياة». (قطب، مذاهب فكرية معاصرة، ١٤٠٥هـ، ص ١٧٨).
وحيث أن هذا المصطلح الخطير هو صورة من صور النظام الرأسمالي الذي

ينادي بفصل الدين عن واقع الحياة وإعطاء الأمة حق التشريع وسن القوانين وجعل الحكومية لبعض أفراد المجتمع حسب أهوائهم وشهواتهم فالإسلام يرفض مثل هذا المصطلح الذي يحمل معنى مبطنًا مخالفًا لعقيدة الإسلام، ويدعو أتباعه إلى نبذ كل غريب عليه حتى ولو كان مصطلحاً تعبيرياً من الاصطلاحات التي تقتضيها أزياء الفكر الأجنبية.

- غاية التربية ومصدر السلطة:-

إن محرري الاستراتيجية لم يستطعوا أن يحددوغاية من التربية تحديداً دقيقاً فتراهم يتخطبون خطط عشوائية دون أن يصلوا إلى غاية معينة يتفقون عليها، فهم مثل حاطب ليل؛ إذ هم يقولون كلما يخطر على بالهم من أقوال وأراء وأفكار؛ لأن ثقافتهم ليست على أساس ثابت متيقن، فحالهم مثل الريشة في مهب الريح لا يستقر لها قرار فهي تدور بمنة ويسرة مع اتجاه الريح.

إن الباحث هنا لن يلقى الكلام على عواهنه أو يصدر أحکاماً من عند نفسه على تقرير "الاستراتيجية" فهو سيقدم هنا عبارات يترك للقارئ الحكم عليها أو الاعتراض على النتائج إذا كانت مخالفة لما ورد في تقرير الاستراتيجية.

إن فهم محرري الاستراتيجية للغاية من التربية يعتبر فهماً انشطايرياً ومتبايناً ذلك أن الغاية من التربية تعتبر الركيزة الأساسية التي ينطلق منها ميدان التربية والتعليم والتي تنطلق جميع الأنشطة التربوية منها تدندن حولها وتدور في إطارها.

من يستقرء الاستراتيجية ويستقصي أهدافها والغاية التي تسعى إلى تحقيقها عندئذ يتضح له مدى الجهل المخيم على محرريها الذين لم يستطيعوا أن يبلوروا غاية معينة تكون منطلقاً لتحقيق أهداف التربية والتعليم في العالم العربي.

وبما أن محرري الاستراتيجية مختلفون في الغاية فلا شك أن فهمهم لها سيأتي بوجهات نظر متباينة ومتعددة، ففي (ص ١٧٩) حددت الغاية من التربية على لسانهم بقولهم:

«إذ غاية التربية القصوى وهدفها الأسمى أن تساعدنا على أن نفهم أنفسنا وأهلنا الأقربين وإنحصارنا الأبعدين ومجتمعنا وأمتنا وسائل إخواننا منبني الإنسان».

ليس هذا فحسب فهناك غاية بعيدة في مفهوم تقرير الاستراتيجية ، فالتربيـة هي «عملية سلوـكية واجتمـاعية غـايـتها القصـوى خـير الإـنسـان وـخـير الـجـمـعـونـ وـخـير الإـنـسـانـيـة جـمـعـاء». (ص ٢٢٠).

وهـكـذا يـجـدـ المـرـءـ أـنـ التـقـرـيرـ يـهـدـفـ إـلـىـ غـايـاتـ مـتـعـدـدـةـ ،ـ وـهـذـاـ عـائـدـ إـلـىـ ضـعـفـهـمـ وـقـلـةـ بـضـاعـتـهـمـ فـيـ الثـقـافـةـ إـلـاسـلـامـيـةـ وـفـاقـدـ الشـيـءـ لـاـ يـعـطـيـهـ ؛ـ لـأـنـهـمـ يـتـحـدـثـونـ مـنـ فـرـاغـ وـيـفـرـزـونـ عـبـارـاتـ مـنـ ثـقـافـاتـ غـيـرـ إـلـاسـلـامـيـةـ .ـ

وـفـيـ الـمـبـدـأـ الـدـيمـقـراـطيـ لـلـتـرـبـيـةـ وـالـذـيـ يـقـومـ الـبـاحـثـ بـنـقـدـهـ يـجـدـ الإـنـسـانـ الـمـسـلـمـ أـنـ مـحـرـرـيـ الـاسـتـرـاتـيـجـيـةـ تـفـتـقـتـ قـرـيـحـتـهـمـ وـتوـسـعـتـ مـدارـكـهـمـ وـتـفـجـرـتـ مـواـهـبـهـمـ وـعـشـرـواـ عـلـىـ غـايـةـ أـخـرىـ تـسـعـيـ الـاسـتـرـاتـيـجـيـةـ إـلـىـ تـحـقـيقـهـاـ وـتـمـثـلـ هـذـهـ الغـايـةـ فـيـ أـنـ الـاسـتـرـاتـيـجـيـةـ «ـجـعـلـتـ الـدـيمـقـراـطـيـةـ غـايـةـ أـسـاسـيـةـ لـهـاـ»ـ (ص ١٠٧)ـ ،ـ وـتـعـتـبـرـ الـدـيمـقـراـطـيـةـ مـنـ وـجـهـةـ نـظـرـهـمـ «ـأـسـاسـاـ لـتـنـظـيمـ الـجـمـعـونـ كـمـاـ تـضـمـنـتـهـ الـعـقـيـدـةـ إـلـاسـلـامـيـةـ»ـ وـبـهـذـاـ «ـفـإـنـ رـعـاـيـةـ هـذـاـ أـسـاسـ مـنـ مـهـمـاتـ التـرـبـيـةـ وـأـهـدـافـهـاـ فـهـيـ بـهـذـهـ الـمـاثـبـةـ تـرـبـيـةـ دـيمـقـراـطـيـةـ»ـ (ص ٦٠)ـ .ـ

إنـ الـبـاحـثـ يـرـىـ أـنـ مـحـرـرـيـ الـاسـتـرـاتـيـجـيـةـ قـارـنـواـ بـيـنـ الـعـقـيـدـةـ إـلـاسـلـامـيـةـ وـالـنـظـامـ الـدـيمـقـراـطـيـ وـوـصـلـوـاـ إـلـىـ نـتـيـجـةـ مـغـلـوـطـةـ ،ـ وـهـيـ أـنـ الـعـقـيـدـةـ إـلـاسـلـامـيـةـ تـعـتـبـرـ تـرـبـيـةـ دـيمـقـراـطـيـةـ ،ـ كـمـاـ أـنـهـمـ أـكـدـواـ عـلـىـ أـنـ الـدـيمـقـراـطـيـةـ تـسـتـمـدـ قـوـتـهـاـ مـنـ الـحـرـيـةـ وـالـحـكـمـ الـقـائـمـ عـلـىـ الشـورـىـ وـتـقـدـيرـ حـقـوقـ الـإـنـسـانـ ،ـ وـهـذـاـ أـيـضاـ مـسـتـمـدـ مـنـ أـصـوـلـ الـعـقـيـدـةـ أوـ مـاـ وـفـدـ مـنـ أـفـكـارـ صـاغـتـهـاـ الـحـضـارـةـ الـغـرـبـيـةـ فـيـ صـيـغـ جـديـدـةـ .ـ (ص ٨٥)ـ ،ـ وـيـؤـكـدـ مـحـرـرـوـ الـاسـتـرـاتـيـجـيـةـ عـلـىـ أـنـهـ يـجـبـ الشـورـىـ عـلـىـ وـلـةـ الـأـمـورـ وـالـتـضـامـنـ بـيـنـ الـحـاـكـمـ وـالـمـحـكـومـ وـتـقـرـيرـ الـحـقـوقـ وـتـسـاوـيـهـاـ بـيـنـ النـاسـ ،ـ وـهـذـهـ كـلـهـاـ تـشـكـلـ فـيـ تـرـابـطـهـاـ وـتـلـاحـمـهـاـ مـاـ نـسـمـيـهـ الـيـوـمـ بـالـدـيمـقـراـطـيـةـ بـجـوـانـبـهـاـ السـيـاسـيـةـ وـالـاجـتمـاعـيـةـ وـالـاـقـتصـادـيـةـ وـبـنـظـرـتـهـاـ الـإـنـسـانـيـةـ الشـامـلـةـ أـيـضاـ»ـ .ـ (ص ٤٤)ـ .ـ

يـحدـدـ "ـمـحـمـدـ قـطبـ"ـ (ـ١٤٠٥ـهـ)ـ فـيـ كـتـابـهـ "ـمـذاـهـبـ فـكـرـيـةـ مـعاـصـرـةـ"ـ أـمـرـينـ فـيـ غـايـةـ الـأـهـمـيـةـ لـمـ يـعـقـدـ مـقـارـنـةـ بـيـنـ الـنـظـامـ الـرـبـانـيـ وـالـنـظـامـ الـجـاهـلـيـ فـيـ :ـ ١ـ -ـ "ـأـنـهـ لـاـ يـنـبـغـيـ مـنـ الـوـجـهـةـ الـعـقـيـدـيـةـ أـنـ نـقـرـنـ الـنـظـامـ الـرـبـانـيـ إـلـىـ نـظـامـ جـاهـلـيـ أـوـ أـنـ مـنـتـدـحـ الـنـظـامـ الـرـبـانـيـ عـنـدـ مـاـ نـسـبـهـ إـلـىـ نـظـامـ جـاهـلـيـ»ـ .ـ

- ٢ - إن القاعدة التي يقوم عليها الإسلام تختلف اختلافاً جذرياً عن القاعدة التي تقوم عليها الديقراطية، فالفرد في الإسلام يعبد الله وحده ويحكم شريعته أما الديقراطية فيعبد غير الله ويحكم شرائع البشرية» . (ص ٢٥١-٢٥٢).
- ٣ - وفي الديقراطية يجد المرء أنها تهدف إلى إسعاد شعب معين في حدود معينة، وهي ذات أهداف مادية فقط، أما الإسلام فهو يهدف إلى إسعاد البشرية وذو أهداف عامة للدنيا والآخرة ويهتم بالأهداف المادية والروحية». (الجندى، التجربة الغربية في بلاد المسلمين، ١٤٠٠هـ، ص ٨).

ويوضح "عبد الرحمن بن صالح بن عبد الله" (١٤٠٦هـ) في كتابه "المنهج الدراسي أسسه وصلته بالنظرية التربوية الإسلامية" أن الديقراطية هي مصطلح يوناني ولها معنى محدد وتقوم على رأى الأغلبية في جميع مظاهر الحياة، والمجتمع هو الذي يقرر ما يصلح وما لا يصلح.

والإسلام لا يغمس الفرد حقه ولا ينكر قيمته وإبداء رأيه غير أن مبدأ الشورى بين واضح فهو يقع في دائرة معينة «فالمجتمع المسلم لا يนาش قضية تحريم الخمور أو الحجاب فيعرضها على مبدأ الشورى ليأخذ بشأنها فتوى تبيح الخمور أو تقر السفور لكنه يقر مبدأ الشورى في الأمور التي لم يرد فيها نص محدد في الكتاب أو السنة ، أما في المجتمع الديقراطي فإنه يستطيع اتخاذ أي قرار ، ولقد سمعنا كيف أن الديقراطية البريطانية قد وصلت قبل عدة سنوات إلى إباحة ما كان يفعله قوم لوطن». (ص ٥٥).

ويستطرد "عبد الرحمن صالح عبد الله" (١٤٠٦هـ) موضحاً الخطأ الجسيم الذي يقع فيه من يحاول أن يعقد مقارنة بين الشورى والديقراطية ويصل إلى نتيجة خاطئة ، وهي أن الإسلام يدعو إلى الديقراطية أو أن العقيدة الإسلامية تربية ديمقراطية كما زعم بذلك محروم الاستراتيجية فيقول : إنه «من الخطأ الجسيم أن نقارن بين الشورى والديقراطية ثم نصل إلى نتيجة مغلوطة ، وهي أن الإسلام يدعو إلى الديقراطية . . . فإن المقارنة جائزة بل واجبة شريطة أن لا يكون لدى من يفعل ذلك نية مبيبة لتبني الآراء موضع المقارنة ، فالشورى ليست الديقراطية ، ثم إن مبدأ الشورى يتم في بيئه تؤمن بأن الحاكمة لله سبحانه وتعالى ، أما الديقراطية فتتم في

بيئة تؤمن بأن الحكمية للشعب ولا يعقل أن يلتقي حكم الشعب في المجتمع الغربي الجاهلي مع حكم الله». (ص ٥٥-٥٦).

ويتحمس "عبد الرحمن صالح عبد الله" (١٤٠٦هـ) وينعي على المفتونين بالديمقراطية وأهم دورهن في ذلك الآخرين، فيقول: «وحتى لو سلمنا بنوع من التشابه بين الديمقراطية والشوري فإن مبدأ الشوري سبق من حيث التطبيق الفعلي الديمقراطيات الغربية ومع ذلك فإننا لم نسمع عن غربي واحد يطلق على مبادئه اسم الشوري؛ وإذا كان الأمر كذلك فإن القبول بالديمقراطية حتى كإصطلاح دليل على تبعية فكرية شاء المفتونون بها أم أبوا» !! (ص ٥٦).

إن محري الاستراتيجية يرون أن الديمقراطية لا بد أن تكفل للأفراد «اتخاذ القرارات ذات الصلة بأعمالهم وبعتقداتهم وموافقهم من الحياة». (ص ٢٣). فهي الموجه لختلف أنشطة الحياة الاقتصادية والاجتماعية والتربية والسياسية، بل وتحكم في معتقداتهم فالعقيدة في المجتمع الإسلامي تخضع للديمقراطية التي تعتبر العقيدة الجديدة لدى محري الاستراتيجية وهي المسؤولة عن جميع القرارات التي تمس شؤون الحياة.

إذا كانت الديمقراطية بهذه المثابة فلا حاجة للعقيدة الإسلامية لأن الديمقراطية تحل محلها وتصبح العقيدة الإسلامية معطلة ولافائدة منها، فالديمقراطية هي التي تسيرها وتمتنح الأفراد أنماطا سلوكية ومفاهيم ومبادئ جديدة تناسب المتغيرات الطارئة على المجتمع الإسلامي وتقدم حلولاً لمشاكله.

إن إفراد الله بالحكمة ركن أساسي في حياة كل مسلم، وإن شريعة الله سبحانه وتعالى تمثل منهاجاً شاملًا كاملاً متكاملاً للحياة البشرية «يتناول بالتنظيم والتوجيه والتطوير كل جوانب الحياة الإنسانية في جميع حالاتها وفي كل صورها وأشكالها». (ياسين، التربية الإسلامية في ظلال القرآن، ١٤٠٣هـ، ص ٢٨).

ويستطرد "عبد الله ياسين" (١٤٠٣هـ) موضحاً أهمية المنهج الإسلامي وأنه «المنهج الوحيد الذي يتحرر فيه الإنسان من العبودية للإنسان ففي كل منهج غير المنهج الإسلامي يتعبد الناس الناس ويعبد الناس الناس، وفي المنهج الإسلامي -وحده- يخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده بلا شريك» (ص ٣٠).

فالذى يشرع لمجموعة من الناس يعتبرون عباداً له لا عباداً لله وهم في دينه لا في دين الله.

إن التلقي من غير الله سبحانه وتعالى في أي شأن من شؤون الحياة الخاصة والعامة معناه الشرك بالله «الذى يتحقق ب مجرد إعطاء حق التشريع لغير الله من عباده ولو لم يصحبه شرك في الاعتقاد بألوهيته ولا تقديم الشعائر العبادية له».

(ياسين، ١٤٠٣ هـ، ص ٤٩).

وعليه يعتبر إقرار سلطان الله وحده وإبطال سلطان الطواغيت هو من مدلول الشهادة». (ياسين، ١٤٠٣ هـ، ص ٥٤).

إن المعركة الحقيقية التي خاضها الإسلام ليقرر وجوده لم تكن هي المعركة مع الإلحاد أو مع الفساد الاجتماعي أو الأخلاقي فحسب، بل كانت المعركة الأولى التي خاضها ليقرر وجوده هي معركة الحاكمة وتقريرها لله سبحانه وتعالى.

(ياسين، ١٤٠٣ هـ، ص ٦٧-٦٨).

إن من ينعم النظر في تقرير الاستراتيجية يجد أن المحررين أثناء تناولهم للمبدأ الديمقراطي يرون أن مصدر السلطة هي الأمة. (ص ٨٦)، وأن الأمة هي مصدر السلطة العامة ولا مرجع فيها غيرها. (ص ٤٤)، وأن جميع الثورات التي قامت تدعوا إلى أن تكون الأمة هي مصدر السلطة. (ص ٨٨).

طبعاً يحق لهؤلاء المحررين أن يقولوا مثل هذا القول؛ وذلك لأن ثقافتهم غير أصلية وهم يعتمدون على منظمة "اليونسكو" في ثقافتهم ويستمدون منها العون المادي والمعنوي ويستلهمون الأفكار والمبادئ التي تتبعها المنظمة وبالتالي فهم يفرغون ما في جعبتهم من أفكار ونظريات وفلسفات عاكسة للمنهج الذي تسير عليه منظمة "اليونسكو" التي تعتبر المصدر الوحيد لمختلف الآراء والمبادئ التي يعتنقها محررو الاستراتيجية والتي هي صدى لمنظمة "اليونسكو".

- ٣- الحاكمة المطلقة لله:-

من الأصول الاعتقادية والقواعد البدوية في التصور الإسلامي هو الإقرار لله تعالى بالسيادة المطلقة في التشريع فهو المتفرد بذلك لا يشاركه أحد فيه ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ (الأعراف: ٥٤).

يقول "ابن القيم" رحمه الله تعالى (١٣٧٤هـ) في كتابه "إعلام الموقعين" مؤكداً المعنى السابق عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِلَّا إِمْرٌ مِنْكُمْ﴾ (النساء: ٥٩) قائلاً: أمر الله «بطاعته وطاعة رسوله وأعاد الفعل إعلاماً بأن طاعة الرسول تجب استقلالاً من غير عرض ما أمر به الكتاب . . . ولم يأمر بطاعة أولي الأمر استقلالاً بل حذف الفعل وجعل طاعتهم في ضمن طاعة الرسول إيذاناً بأنهم يطاعون تبعاً لطاعة الرسول». (٤٨/١).

إن من واجب الفرد المسلم أن يكفر بكل سيادة مطلقة لغير الله تعالى ولا يكتمل إيمانه إذا لم يحصل منه الإذعان لله سبحانه وتعالى، ولهذا نفي الله الإيمان عنمن لا يحتمل إلى شريعة الله ويسلم بما جاء عن الله، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبَّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيْمًا﴾ (النساء: ٦٥).

لكن لا يفهم من هذا أن الجهد البشري أصبح شيئاً لا يؤبه له كلام النصوص الشرعية تؤيد الاجتهاد وتمدح فاعليه وتحصره في دائرة الكتاب والسنّة والاجتهاد غير مقتصر على القضاة بل في مختلف الميادين، ومنها المجال التربوي بشرط أن يكون منطلقاً من القرآن الكريم والسنّة النبوية المطهرة.

إن الأمة في الإسلام ليس لها حق التشريع المطلق أى: أنها لا تملكه ولكن الشارع خول إليها في حدود ضوابط معينة الحق في اختيار أئمتها الذين يسوسون البلاد وأمورها وفقاً لما جاء في الكتاب والسنّة وهي لا تملك التحليل والتحريم، كما هو الشأن في الفكر الغربي الذي يصوت على الأشياء المحرمة فيجيزها كما حدث في بريطانيا التي أباحت فعل قوم لوطن نتيجة التصويت عليه في البرلمان، والذي أصبح الأخذ به ملزماً نزولاً عند رأي الأغلبية.

أما في الإسلام فيرفض مثل هذا لأنه يهدم أركان الإسلام ويضاده ويقوض بنائه فمهما صوتت الأمة على شيء محرم لا يمكن أن ينبع صبغة الحلال ويصبح تصویتها حقاً مشرعاً لإياحته. لم يرد في القرآن ولا في السنّة دليل يدل على أن السيادة للشعب بل جميع النصوص تنص صراحة على أن السيادة للشرع لا للشعب، وإن التشريع إنما هو للذى أتى به الوحي لا البرلمان أو مجلس الأمة وإن المصدر الوحيد للرجوع إليه

أثناء التنازع إنما هو القرآن والسنة والإجماع وقد «تضافرت النصوص القطعية الثبوت والقطعية الدلالة على نفي إيمان كل من يحتكم إلى غير الله ورسوله ﷺ». (الخالدي، الديقراطية الغربية في ضوء الشريعة الإسلامية، ١٤٠٦ هـ، ص ٦٨).

يقول "سيد قطب" (١٣٩٣ هـ) في كتابه "في ظلال القرآن" عند تفسيره لقوله: «إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» (النساء: ٥٩)، وفي هذا النص القصير بين الله سبحانه وتعالى ١- شروط الإيمان، ٢- وحدة الإسلام . . . ٣- وقاعدة النظام الأساسي في الجماعة المسلمة ٤- وقاعدة الحكم، ٥- ومصدر السلطان، وكلها تبدأ وتنتهي عند التلقي من الله وحده والرجوع إليه فيما لم ينص عليه نصاً من جزئيات الحياة التي تعرض في حياة الناس على مدى الأجيال مما تختلف فيه العقول والأراء والأفهام». (١/٦٩٠).

ويوضح "سيد قطب" (١٤١٢ هـ) في كتابه "معالم في الطريق" الفرق بين المجتمع الإسلامي والمجتمع الجاهلي قائلاً: أما «حين تكون الحاكمة العليا في مجتمع الله وحده - متمثلة في سيادة الشريعة الإلهية». تكون هذه هي لصورة الوحيدة التي يتحرر فيها البشر تحرراً كاملاً و حقيقياً من العبودية للبشر». (ص ١١٨-١١٩).

أما المجتمع الذي بعضه أرباب يشرون وبعضه عبيد يطيعون فهذه هي الجahلية بعينها والتي هي «عبودية الناس للناس بتشريع بعض الناس للناس ما لم يأذن به الله كائنة ما كانت الصورة التي يتم بها هذا التشريع والإسلام هو عبودية الناس لله وحده بتلقيهم منه وحده تصوراتهم وعقائدهم وشرائعهم وقوانينهم وقيمهم وموازينهم والتحرر من عبودية العبيد هذه الحقيقة المنشقة من طبيعة الإسلام وطبيعة دوره في الأرض هي التي يجب أن نقدم بها الإسلام للناس الذين يؤمنون به والذين لا يؤمنون به على السواء إن الإسلام لا يقبل إنصاف الحلول مع الجahلية لا من ناحية التصور ولا من الأوضاع المنشقة من هذا التصور فإما إسلام وإما جahلية وليس هنالك وضع آخر نصفه إسلام ونصفه جahلية يقبله الإسلام ويرضاه فنظرية الإسلام واضحة في أن الحق واحد لا يتعدد وأن مaudعاً هذا الحق فهو الضلال». (ص ١٦٣-١٦٤).

إن العبودية لله تمثل «في التصور الاعتقادي كما تمثل في الشعائر التعبدية كما تمثل في الشرائع القانونية سواء». (قطب، ١٤١٢ هـ، ص ٩٤).

إن الحاكمة المطلقة هي لله سبحانه وتعالى وما رسول الله ﷺ إلا مبلغ عن ربه والآيات القرآنية تؤكد هذا المبدأ وقول الرسول ﷺ فعله يدلان على ذلك فقد غضب عليه الصلاة والسلام عند ما قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعض كتب أهل الكتاب وبين أيديهم كتاب الله فقال : «امتهوكون فيها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده لقد جئتم بها بيساء نقية ... والذي نفسي بيده لو أن موسى صلى الله عليه وسلم حيا ما وسعه إلا أن يتبعني». (ابن حنبل، المسند، ١٣٦٨هـ، ٣٨٧). وهذا الحديث حدد الحاكمة المطلقة لله عزوجل وليس لأحد من البشر.

أما تطبيقه عليه الصلاة والسلام لمبدأ الحاكمة فيظهر من خلال الصحيفة التي كانت بين المهاجرين والأنصار واليهود والذي كان من بنود هذه المعاهدة «أنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو شجار يخاف فساده فإن مردہ إلى الله عزوجل وإلى محمد رسول الله ﷺ». (ابن هشام، السيرة، ١٧٠ / ٢ - ١٧١).

لقد أصبح الناس يتحاكمون إلى أنظمة وقوانين ومبادئ غريبة ما أنزل الله بها من سلطان «وسبب ذلك هو جهلهم بهذا الدين أولا ثم عدم معرفتهم بأن الحاكمة لا تكون إلا لله ، ثانيا : لأن هناك كثيرا من الباحثين المسلمين يخلطون بين مزاولة السلطة وبين مصدر السلطة فالناس بجملتهم لا يملكون حق الحاكمة إنما يملكون الله وحده والناس إنما يزاولون تطبيق ما شرعه الله بسلطانه ، أما مالم يشرعه الله فلا سلطان له ولا شرعية». (قطب، في ظلال القرآن، ١٣٩٣هـ، ٤ / ١٩٩٠).

إن هناك أمورا اجتهادية في الجانب الديني من قبل البشر وهي نافعة للمسلمين فلا بأس من الأخذ بها ، أما الأمور المتصلة بجوانب التشريع والعبادة أو الأخلاق أو التربية فلا تؤخذ من غير منهج الله؛ لأن ذلك يعني تحكيم غير الله ورسوله وجعل الحاكمة للبشر وهذا يدل على أن لسان الحال يؤكّد أن منهج الله قاصر ولا يصلح أن يطبق في واقعنا سواء السياسي منها أم التربوي ، ومن هنا تأتي الخطورة؛ لأن «من اعتقد أن حكم غير الرسول ﷺ أحق من حكمه وأتم وأشمل لما يحتاجه الناس من الحكم بينهم عند التنازع ، إما مطلقا أو ما استجد من الحوادث التي نشأت عن تطور الزمان وتغير الأحوال ، فهذا لا ريب في كفره لتفضيله أحكام المخلوقين التي هي محض زبالة الأذهان وصرف حالة الأفكار على حكم الحكيم الحميد وإنه ما من قضية كائنة ما كانت إلا وحكمها في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ نصاً ظاهراً أو

استنباطاً أو غير ذلك علم ذلك من علمه وجده من جهله». (آل الشيخ، تحكيم القرآن، ١٤١١هـ، ص ١٧).

إن القاعدة التي يقوم عليها النظام الإسلامي في المجال التربوي أو غيره يختلف عن القواعد والمبادئ التي تقوم عليها الأنظمة البشرية، فالقاعدة في النظام الإسلامي تقدم على أساس أن الحاكمة منه وحده فهو الذي يشرع وحده، وسائل الأنظمة الأخرى تقوم على أساس أن الحاكمة للإنسان فهو الذي يشرع بنفسه وهمما قاعدتان لا تلتقيان. (قطب، العدالة الاجتماعية، ١٤٠٣هـ، ص ٩٦).

إن المجال التربوي يجب أن يعمق مفهوم الحاكمة في نفوس الناشئة من خلال المواد الدراسية التي تقدم للمتعلمين حتى تكون التنظيمات التربوية وغيرها خادمة وخاضعة لهذا المبدأ وخاضعة لميزان الإسلام حيث جاء في حديث «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما مسكتم بهما كتاب الله وسننبيه» (مالك، الموطأ، ١٣٧٠هـ، كتاب القدر، باب النهي عن القول بالقدر، ٨٩٩/٢، حديث رقم ٣).

ففي هذين المصدرين كل خير والمجال التربوي لا بد أن يستمد مفاهيمه ومبادئه وتصوراته وقيمه من خلالهما، وأن يكون النظام التربوي قائماً من هذا المنطلق وتلغي كل النظريات الهدامة والمبادئ المنحرفة المستوردة من خارج بيئته العالم الإسلامي.

ويختتم الباحث هذه الفقرة بعبارات هي في متنه الدقة وغاية في الاتقان من «سيد قطب» (١٤١٢هـ) في كتابه «معالم في الطريق» والذي لخص الفكرة قائلاً: «إن الإسلام يتسامح في أن يتلقى المسلم عن غير المسلم . . . في علم الكيمياء . . . أو الطب . . . ولكنه لا يتسامح في أن يتلقى أصول عقيدته ولا مقومات تصوره ولا تفسير قرآن وحديثه وسيرة نبيه ولا منهج تاريخه وتفسير نشاطه ولا مذهب مجتمعه ولا نظام حكمه . . . من مصادر غير إسلامية ولا أن يتلقى عن غير مسلم يثق في دينه وتقواه في شيء من هذا كله». (ص ١٤٣).

٤- الفرق بين الديمقراطية والشودى عند بعض علماء المسلمين:
ال التربية الإسلامية تقوم على دعامتين، هما: التخلية والتخلية، والأولى هي الأساس في التربية، والثانية تأتي مرحلة تالية للأولى.

إن التربية الإسلامية تسعى إلى إعداد الفرد المسلم العابد لله سبحانه وإعداداً كاملاً

يختلف جوابه بحيث يحقق العبودية الخالصة لله ولن يتم تحقيق العبودية الخالصة لله تعالى إلا إذا توفر تصور صحيح واعتقاد سليم للمبادئ والمفاهيم الإسلامية، فصحة المعتقد وفساد السلوك قد يدخل بإعداد المسلم، كما أن فساد المعتقد وفساد السلوك لا يفيد، ومن هنا لابد من توفر النوعين معاً صحة التصور وصحة المعتقد (سلامة المفهوم) لإيجاد الفرد المسلم إذ أن صحة المعتقد وفساد السلوك أقل خطراً من فساد المعتقد وصحة السلوك.

لقد رفض كفار قريش النطق بالشهادة ذلك لأنها تعنى القضاء على كل طاغوت يعبد من دون الله؛ ولأن معنى "لا إله إلا الله" «كما يدركها العربي العارف بمدلولات لغته: لا حاكمة إلا لله ولا شريعة إلا من الله ولا سلطان لأحد على أحد إلا بإذن الله؛ لأن السلطان كله لله؛ ولأن الجنسية التي يريد لها الإسلام للناس هي جنسية العقيدة القائمة على الولاء لله، والتي يتتساوى فيها العربي والروماني والفارسي وسائر الأجناس والألوان تحت راية الله». (قطب، معالم في الطريق، ١٤١٢هـ، ص ٢٩).

وعودة إلى الاستراتيجية يجد المرء أن التقرير يؤكد على أن الأسس التي يقوم عليها المجتمع السليم الديمقراطي يتمثل في «إقرار مبادئ الأخوة . . . والمشاركة القائمة على ممارسة الحقوق والواجبات». (ص ٤٤).

إن من الدلالات والاعتبارات الأساسية للأخذ بالبدأ الديمقراطي أنه يضمن الحقوق والواجبات لكل أفراد المجتمع (٢٣١-٢٣٢) وعلى هذا يجب أن تغرس التربية في نفوس الناشئة هذا المبدأ الديمقراطي ليكون أسلوب حياة لهم. (ص ٢٣١). إن المحررين بهذه العبارات يغمزون الإسلام ولو من طرف خفي فهل الإسلام يرفض تلك الحقوق والواجبات ولا يقرها أو يعترف بها؟

وهل الديمقراطي كفيلة بتوفير هذه الحقوق لكل أفراد المجتمع؟ كلاً!

«إن الإسلام لا يرفض تلك الحقوق والضمادات في عمومها . . . فهذه الضمادات والحقوق كلها من صميم الإسلام، والإسلام هو الذي منحها للبشر قبل أن تمنحهم إياها الديمقراطي بأكثر من ألف عام، إنما الذي يرفضه الإسلام ويصر على رفضه هو إعطاء البشر - أيّ بشر - حق التشريع ابتداء، أي: حق التحليل والتحريم

من دون الله وبما يخالف أوامر الله وهذا -بالذات- هو الذي تصر الديقراطية عليه، وهو الذي يضع الديقراطية في خانة الجاهلية على الرغم من كل ما تحمله للناس من حقوق وضمادات لا يعارضها الإسلام، بل كان هو أول من منحها للبشرية» . (قطب، العلمانيون والإسلام، ١٤١٤هـ، ص ٩٣).

«إن الديقراطية تمنح الناس هذه الحقوق وتربىهم عليها فما الذي يمنع إذن من تربية الناس عليها في الإسلام، وهي نتاج إسلامي أصيل مارسه المسلمون قبل بزوع الديقراطية بأكثر من ألف عام» (قطب، ١٤١٤هـ، ص ٩٩).

من المعلوم أن الديقراطية بيقين ليست فكراً أصيلاً لمن يتشدق بها أو يتغنى بخصائصها فهي فكر مغلوب من غير بيئة الإسلام وهي تحمل معانٍ الهدم والتدمير للأمة الإسلامية ولمن يعتنقها، وفي التمسك بها دعوة صريحة للارتباط بالغرب والتبعة له واللحاق به حتى في مبادئه وقيمته.

إن الأمة التي ترفض فكرها وقيمها ومبادئها لن تكون حريصة على الضمادات والحقوق التي توفرها المبادئ الوافدة.

فالنظام المستورد لا يحمل ضمانته بصورة آلية وإنما يحتاج إلى أنس يتمثلونه تطبيقاً وسلوكاً عملياً في عالم الواقع ليؤتي ثماره يانعة.

وفي هذا السياق يؤكّد «محمد قطب» (١٤١٤هـ) في كتابه "العلمانيون والإسلام" أن أي نظام قائم إذا أريد له النجاح فلا بد من اعتناق مبادئه وتطبيقاتها تطبيقاً عملياً.

إن الأمة «التي فرطت في دين الله وضمانته لن تحرص على الضمادات التي تحملها "الديقراطية" أو غيرها من نظم الحكم البشرية ومن السذاجة المفرطة أن يظن أحد غير ذلك؛ فإنه لا يوجد نظام -بشري أو رباني- يحمل ضمانته بصورة آلية ، إنما تعمل الضمادات من خلال البشر الذين يؤمنون بها ويتربون على مارستها في عالم الواقع وعلى عدم التفريط فيها حتى تصبح جزءاً من كيانهم الحي الذي يعيشون به، فإذا كان لابد من التربية في كل حالة سواء كان النظام المطلوب تطبيقه بشرياً أو ربانياً وإذا كانت النظم -كل النظم- لا تؤتي ثمارها ولا تعطي ضمانتها إلا من خلال تلك التربية فما الذي يجعلنا نبذل الجهد المضنية -إن بذلناها حقاً! في نظام لا يوافق عقيدتنا ولا يرضي ربنا» (ص ٦٩).

ويرى "محمد قطب" (١٤١٤هـ) في كتابه "العلمانيون والإسلام" أن هناك معيارين لتقويم الديقراطية:

- ١ - «من المعبد في هذا النظام أو من المشرع»
- ٢ - مدى تحقق إنسانية الإنسان في ذلك النظام.

ويرى أن الديقراطية تحصر الدين «في دائرة الاعتقاد والعبادة وتنزعه من الهيمنة على عالم السياسة فتجعل الأمة هي مصدر السلطات، وهي التي من حقها التشريع ... وهذا في الإسلام ليس له إلا إسم الجاهلية» (ص ٩٢-٩٣).

أما "محمد عمارة" (١٤١٤هـ) في مقالته والتي عنون لها بـ "الشوري والديقراطية في الإسلام" ونشرتها مجلة المنهل (٥٠٩/ع).

فيري أن الديقراطية تجعل السيادة في التشريع ابتداءً للشعب والأمة إما صراحة وإما في صورة ما أسماه بعض مفكريها بالقانون الطبيعي.

وأما في الشوري فالسيادة في التشريع ابتداء هي لله سبحانه وتعالى تجسست في الشريعة التي هي "وضع إلهي" وليس إفراز بشرياً ولا طبيعياً. (ص ٤٧).

ويستطرد موضحاً ميدان الفكر الديقراطي فيقول بأن الديقراطية باعتبارها فكراً بشرياً لا تجد بصرها إلى ما هو أبعد من صلاح دنيا الإنسان بالمعايير الدينية لهذا الإصلاح على حين نجد أن الشوري باعتبارها فريضة إلهية تربط بين صلاح الدنيا وسعادة الآخرة فتعطي الصلاح الدينيي بعداً دينياً يتمثل في المعيار الديني لهذا الصلاح. (ص ٤٩).

ويرى "محمد بن علي المرصفي" (١٤٠٣هـ) في كتابه "من المبادئ التربوية في الإسلام" «بأن الديقراطية من وجهة نظره ما هي إلا وسيلة من وسائل تلهية الشعوب وشغلها في عالمنا المعاصر وقد أصبحت مصطلحاً خالياً من المضمون والجوهر. (ص ٥٦).

وإن الأخذ بهذا المصطلح الغربي هو استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير، فالديقراطية تعتبر عقيدة عند كثير من المربين المسلمين الذين تلقوا مبادئ الثقافة من بيئه غير بيئه المسلمين، وهي فكرة "جون ديوي" التي انتشرت أفكاره عنها في العالم العربي وتبناها من تللمذ في الغرب وسار في ركبها. (ص ٥٦).

ويصف "عدنان النحوي" (١٤١٣هـ) في كتابه "الشورى لا الديقراطية" المتطفلين على الموائد الغربية والمتبنون مثل هذه المبادئ الهدامة بأنهم مساكين «هانت عليهم أنفسهم وهان عليهم فكرهم وهان عليهم دينهم وهانت عليهم لغتهم فلم يجدوا ما يغتروبا به إلا الأسمال الممزقة والخرق البالية». (ص ٣٤).

إن الديقراطية تقوم على «العقيدة الرأسمالية بمعنى فصل الدين عن الحياة، وأن الإنسان هو الذي يضع نظامه الذي يريده في الحياة». (قطب، مذاهب فكرية معاصرة، ١٤٠٥هـ، ص ١٧٨)

وال المسلمين يرفضون الديقراطية لأنها تتحكم إلى غير منهج الله وتحكم العقل في أمور الحياة الدنيا.

وتهدف الديقراطية إلى إسعاد شعب معين في حدود معينة بينما يجد المسلم أن الإسلام ينشد السعادة للبشرية جموعاً وأهدافه عامة للدنيا والآخرة. (الجندى، التجربة الغربية في بلاد المسلمين، ١٤٠٠هـ، ص ٨).

ويرؤكـد الدكتور عبد الرحمن بن صالح بن عبد الله (١٤٠٦هـ) في كتابه "المنهج الدراسي أسسه وصلته بالنظرية التربوية الإسلامية" أن الديقراطية تعتبر مصطلحاً يونانياً لها معانٌ محددة وغايات معينة بينما الشورى مصطلح إسلامي وتكون في الأمور التي لم يرد فيها نص من الشارع وكذلك يجد المرء أن مبدأ الشورى سابق للمبدأ الديقراطي من حيث التطبيق وتم في بيئه تؤمن بـأنـاـحاـكـمـيـةـلـلـهـسـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ بـيـنـماـ الـدـيـقـرـاطـيـةـ تـمـ فـيـ بـيـئـةـ تـؤـمـنـ بـأـنـاـحـاـكـمـيـةـلـلـشـعـبـ وـشـتـانـ بـيـنـ بـيـئـتـيـنـ. (ص ٦٥-٥٥).

أما "عدنان بن علي النحوي" (١٤١٣هـ) فقد قدم في كتابه "الشورى لا الديقراطية" فروقاً جوهـرـيةـ بـيـنـ الشـورـىـ وـالـدـيـقـرـاطـيـةـ فالـشـورـىـ . «قضـيـةـ إـيـانـيـةـ رـبـانـيـةـ»ـ . وـهـيـ «وـحـيـ مـنـ عـنـدـ اللهـ»ـ .

«والديقراطية» انتاج بشـرـىـ فيـ تـرـبةـ الـكـفـرـ وـالـفـسـادـ»ـ .

والـشـورـىـ «نـظـامـ إـيـانـيـ تـحـمـلـهـ رسـالـةـ السـمـاءـ إـلـىـ إـلـاـنـسـانـ فـيـ كـلـ الـعـصـورـ»ـ .

«والـدـيـقـرـاطـيـةـ صـورـةـ بـشـرـيـةـ لـأـجيـالـ مـحـدـودـةـ»ـ .

والـشـورـىـ «نـظـامـ يـنـمـوـ فـيـ أـحـضـانـ إـيـانـ وـتـرـبةـ الطـهـرـ وـمـنـابـعـ الخـيـرـ»ـ .

«والديمقراطية تنمو لتقديم الجريمة وتمهد للضياع».

والشوري «نظام متماسك القواعد متكامل الأسس لا يحتاج إلا إلى صدق الممارسة والإيمان وقوة العلم وترابط الأمة حتى تنمو الممارسة البشرية مع فن الخير والبركة ويستكمل تفاصيله من خلال الممارسة والتطبيق».

«والديمقراطية تجربة بشرية تحمل الأصياغ والطلاء والزخارف لتغري وتخدر وتحمل في طياتها بذور الشر والفساد حتى يظهر الشر والفساد وتتلاشى الزخارف والأصياغ بعد سنين أو قرون».

والشوري «توقع في المؤمن كل شعور المسؤولية وأحساس الأمانة وجدية العمل حين تفريطه بعقيدة ونهج وخطة وقواعد وإيمان بالله واليوم الآخر».

«والديمقراطية تنفتح فيه الخدر والسكر وتطرحه في واد سحيق أو فلاء تائهة».

(ص ٤٣).

والشوري «مع عظمة خيرها وامتداد بركتها وعظمة نظامها لم ينهض بها أبناؤها وعلماؤها ليقدموا للعالم كله الصورة المشرقة العظيمة للشوري، أما الديمقراطية فمع سيئاتها تلك فلها أبناء وعلماء وبيذل جنودها ودهاء شياطينها جهدا كبيرا من الأصياغ والزخارف لإقناع الناس بها». (ص ٤٤).

وفي ميدان المسؤولية يجد المرء أن أساس الصالحيات والمسؤوليات في الإسلام تنبع كلها نبعا خالصا نقيا من الإيمان بالله واليوم الآخر من عقيدة ودين ومنهاج رباني متكامل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

أما في الديمقراطية:

فتشغل المسؤوليات والصالحيات منبثقه من جهد بشري محض ومن تجربة بشرية فقط معزولة كل العزل عن قواعد الإيمان بالله واليوم الآخر. (ص ٥٥).

وفي ميدان الأكثريية والأقلية فالديمقراطية تعزل الدين كلية وتقول: الحكم للشعب. (ص ١٠٢).

لكن في الشوري نجد أن الحق «في الحياة الدنيا لا يقاس بالكثير من الناس ولا بأكثر الناس ولا بأكثر أهل الأرض ولكن الحق يعرف بمنهاج الله الذي أنزل من السماء». (ص ١٠٢).

٥- واقع الديمocrاطية اليوم:-

بما أن الديمocratie لم تنشأ في العالم الإسلامي ولكنها تسللت إليه مع مظاهر الحضارة المادية فهي بلا شك سيكون لها رصيد سئ؛ لأنها جسم غريب في المجتمع الإسلامي والجسم الغريب يلفظ ويلقى خارج الجسم لأنه مؤذ ويحدث خللاً واختلالاً للجسم.

ومن هنا فإن واقع الديمocratie يعتبر أسوأ صورة على وجه الأرض فباسم الديمocratie قهرت الشعوب ونهب خيراتها وأبيح الزنا واللواء والخمر والميسر وولدت أمراضًا فتاكه بالبشرية وحاولت الديمocratie أن تبحث عن علاج لهذه الأمراض نتيجة الإباحية التي أشاعتتها الديمocratie، وأعلنت من قيمتها بواسطة مختلف وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقرؤة ولكنها لم تبحث عن أسباب هذه الأمراض معلنة بذلك محاربة الله ورسوله لكي تستمر الإباحية والفوضى الخلقدية والجنسية، وهذه هي عقلية الديمocratie التي يريد لها من في قلبه مرض . (النحوى، نهج الدعوة وخطة التربية، ١٤١٣هـ، ص ١٢٠-١٢٩).

ويتساءل "عدنان بن علي النحوى" (١٤١٣هـ) أين نجد الديمocratie؟ فيجب عن واقعها المؤلم ويعدد المأسى والجرائم التي ارتكبت باسم الديمocratie من قبل بريطانيا وفرنسا وأمريكا في شعوب العالم الإسلامي مثل : كشمير والهند وأفغانستان وبورما والجزائر وفي معاملة السود في أمريكا، ويؤكد "النحوى" بأن الديمocratie افقدت المسلمين أبسط حقوقهم إذ هي إسم بلا محتوى ، ومن أراد أن يعرف ذلك معرفة حقيقة فليطوف بنظره شرق العالم الإسلامي وغربه فلن يرجع إلا بما يدمع العين ويجرح القلب وينكأ الجراح فهي مأسى وجرائم وليس من اسمها إلا الشكل الظاهر فهي باب باطنها فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب . (الشورى لا الديمocratie، ص ١١٧-١٥٦).

فالديمocratie دعوة هدامه لا تصلح للتطبيق في المجتمع الإسلامي ويجب أن لا نستعملها أو نصف بها مبادئ الإسلام كالعدل والحرية والمساواة .

ومن يتبعها فهو بسلوكه هذا يتناسى أن الإسلام عقيدة توجه أساليب الحياة وليست الديمocratie التي تبعد الناشئة عن عقيدة التوحيد وعبادة الله وتصرفها عنها .